كتاب

الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة

تأليف

المغبوط المثلث الرحمة الانبا كيرلس مقار

بطريرك الكاثوليك التبع

الجزء الأول

مترجم

من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية

بقلم الفقير صاحب مجلة صهيون

« حقوق الطبع محفوظة للمترجم »

سنة ١٩٢٥ افرنجية أو سنة ١٩١٧ مسيحية قبطية

وسنة ١٦٤١ للشهداء الاطهار

مطبعة الشمس بشارع كلوت بك لصاحبها زكى رزق

كلمة المترجم

(كتاب الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة)

هذا الكتاب النفيس لم يسبقه كتاب من نوعه فقد ألف علماء الكنيسة الرومية في موضوعه وألف نوابغ الجميات البروتستانية في موضوعه أيضاً ولكن لم يجد هؤلاء ولم يتقن أولئك ما اجاده واتقنه المغبوط المثلث الرحمة الانبا كيرلس مقار بطريرك القبط التبع في تأليف هذا الكتاب وموضوعه وترتيبه وتنسيق عباراته وقوة حججه وأسانيده التي استقاها من مصادرها الاصلية من اقلام كتبة ومؤلفي القرون الاولى المسيحية ولغاتهم التي ألفوا بها كاللاتينية القديمة واليونانية القديمة اللتين يندر الآن من يحسن معرفتهما المعرفة التامة وقد كان المؤلف رحمة الله على أنفاسه نابغة هذا الزمان فيهما كما كان نابغة في الفرنسية وغيرها

ومن مميزات هذا الكتاب البليغ في كتابه هذا أنه أطلعنا على أسرار مؤيدة بالادلة تمس مركز الكنيسة الغربية وتزري بمقامها لرفضها بضعة أسفار من العهد الجديد لم تقرها الا في الاجيال المتوسطة في حين أن الكنيسة الشرقية أقرتها من أول وهلة ذلك مالم يكن يخطر لنا على بال ولم نقف عليه في مؤلف آخر قبل الان

لاحاجة بنا الى كتابة شيء من تاريخ حياة هذا النابغة فقد قصت

البارونة نانالي (التي تولت الصرف على اخراج هذا الكنز الدفين الى عالم الوجود وطبعته ثلاث مرات ووزعته مجانًا في الغرب والشرق) طرفًا من ترجمته وسبقنا حضرة العلامة الاستاذ فرنسيس افندي العتر الى تأليف نبذة في حياة المومأ اليه عقيب وفاته ومن جهة أخرى فان الكل يعلم أن المذكور نشأ في قرية من مديرية أسيوط تدعى الشنانية يوجد فيها نفر من ناسه الآن وقد علمه اليسوعيون وتخرج على أيديهم ولما صار كاهنًا ثم أسقفًا شرع يحارب الارثوذكسية بنبذ ورسائل وكتب فانهالت عليها الردود من المرحوم العلامة النابغة علامة الكنيسة المرقسية الارثوذكسية القمص فلتاوس مرة ومن الراهب البرموسي (المترجم) أخرى فكان يعجب بردودها ويدهش عند سماعه براهين لم يسمع الرد عليها من أفواه الجزويت ولكونه كان خالي الغرض وغير متعصب ومحبًا للحقيقة عند تجليها ترك قشور دروسه وعلومه الجزويتية على جانب كما قال ذلك في مقدمة كتابه هذا وشرع في أن يدرس المسألة المختلف بها من جديد ويرجع الى آراء الاقدمين بها وخرج من درسه الجديد بهذا المؤلف النفيس وبالاسف أنه كان القاضي على حياته وراحته بسرعة كما نوهت الى ذلك تلك البارونة مستدلة عليه بموته الفجائي

ماعلينا من ذلك ليكن موته بناموس طبيعي لاخلافه فعلى كل حال كان كريمًا أمام الله وكان خسارة على العلم وعلى الدين وعلى رجال الدين أيضًا ان كانوا يعلمون ويقدرون نوابغهم فيه

الف المذكور كتابه هذا باللغة الفرنسية . التي كما أسلفت كان متبحرًا جدًا فيها وكان أول من شعر به الفقير لما حواه من الحجج القوية وقد خدمتني الفرص أن أضم الى طبعة تاريخ الكنيسة الثالثة مواضيع هذا الكتاب المتعلقة بالتاريخ أثناء الطبع بعد أن ترجمت بعضها وكلفت من ترجم البعض الاخر وزاد هيامي بهذا الكتاب من يوم لاخر حتى رمت ترجمته كله وطبعه ونشره واستغثت بمن يقدم لي هذه الخدمة فلم أجد من يتفرغ لهذا العمل وكان بعضهم بالرغم عن كونه يتقن اللغتين الفرنسية والعربية يعتذر ويقول أن لاطاقة له أن يجيد هذا العمل لان موضوع الكتاب غريب عن علمه فكنت أسمع هذا العذر وأحله محل القبول وهذا العذر هو الذي شجعني على أن افرغ وقتًا من حياتي واعالج عمل الترجمة بالرغم عن ضعفي في معرفة اللغة الفرنسية التي تعلمتها في الصغر ولعدم الاستعمال نسيت كلماتها ماعدا قواعدها التي لاتزال راسخة في ذهني

فعلت ذلك بسرعة ولاكون واثقًا من الترجمة تكبدت مشاق السفر الى أسيوط في فصل الحر وتعاونت على صحة الترجمة بنيافة مطرانها الجليل ونيافة أسقف منفلوط. على أني وجدت بعض جمل لاتينية لم يترجمها المؤلف الى الفرنساوية أوردها بنصها فقط فهذه كلفت صاحب العزة كامل بك صالح بوزارة المعارف بترجمتها بواسطة من له المام فيها

وقد صدرت البارونة طبعتها باسم (رومة والشرق) ثم باسم الكتاب وما (رومة والشرق) سوى مجلة كان المؤلف يلاحظ على عباراتها فتركت

في الترجمة هذا الاسم واكتفيت باسم الكتاب . ومن جهة أخرى بما أن الكتاب عبارة عن مناظرة بين واحد وآخر جعلت جمل الجمع التي للمخاطبين بصيغة المفرد

وأنا كعادتي وعادتي لن أغيرها تمشيت وراء المتن ولم ابتعد عنه قيد شعرة واجتهدت أن أطبق الترجمة على المتن واجعلها واضحة جداً ولو كان فيها شيء من التكلف واعتبر أني قمت بهذه الخدمة الجليلة وأن خدمي السالفة لاتساوي ذرة منها فعسى أن يشكرني القارىء ويدعو لي بالخلاص الابدي بنعمة فادي الذي اتعبد له وبموهبة روح قدسه ومحبة والده الذي له المجد دائماً سرمداً

الاسقف

ايسوذورس

صاحب مجلة صهيون

﴿ الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة ﴾

(تأليف غبطة (المرحوم) البطريرك كيرلس مقار)

(الطبعة الثالثة (بالفرنساوي) سنة ١٩٢٢)

(بمطبعة اونست برسار . جمعية الاتحاد في برن)

(تمهيد) «للبارونة صاحبة الامضاء»

ان غبطة السيد كيرلس مقار بطريرك الاقباط التابعين من الاسكندرية توفي وهو منفي في بيروت في شهر مايو سنة ١٩٢١ وموته كان فجأة وعلى انفراد وسراً غامضاً

رباه الجزويت حتى ارتقى كرسي بطريركية القبط التبع قبل بلوغه سن الثلاثين سنة

اختاره اولئك آباء الجزويت للقيام بعبء حمل الكنيسة الجديدة التي انشأوها ولكنه ما عتم ان كدرهم بما ابداه من مقاصده المستقلة في وجوه اولئك الذين ساعدوه وذبوا عنه

لم يجر بحث عن سبب موته ولكن رئاسة الجزويت العليا في بيروت بادرت الى تصبيره ووضعه داخل تابوت مزدوج . وانا من يديه مباشرة استلمت مخطوطة قلمه التي رجاني ان انشرها واليكم طبعتها الثالثة

انها لا تلذ للقارىء عند أول نظرة ولكن بواسطة تكرارها لا يلبث ان يجني منها الآراء التي توافقه لان كاتبها كان متشرعا وحراً وسلم

النية اشبه بطفل متواضع وبسيط ومع ذلك فانه لم تنقصه اهلية لانه كانت له حيوية نادرة وقد تحمل كل المشاق والمنع بدون ان يفقد حيويته وكرم خلقه . وذكاؤه كان طبيعياً وتمسكه بالديانة كان كاملا ومهارته جزءاً لا يتجزأ . وحق الله ومملكة الله كانا خلاصة ذاتيته

هكذا كان الرجل الذي توارى فجأة قبل ان يحصل من عمره نصف قرن في مقابل الذين يحلمون بطولة اعمارهم

انك تشرع في ان تطالع كتابه الذي موضوعه (الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة) والذي لم يكمله ولكن لحسن الحظ ان الاجزاء الاساسية (الموضوعة) هي كاملة

(تأسيس واعادة كنيسة الله)

ليت الله يوحد كنيسته ويمحصها كما كانت منذ الابتداء وبذلك تنتصر وتنتشر الى النهاية بعناية الله فتصير جميلة ومقدسة وجمالها وقدسها لا يكون لهما نهاية قبل نهاية العالم

ان في عقيدة الارثوذكسيين الاساس وفي اساس الارثوذكسية الضمانة الكافلة

ان في حرية الاستقلال قياساً عظيما للنمو الشخصي . وفي عزل المرتكبين ليجر القضاء عليهم بحسب قواعد الانجيل والرسائل لانها تتضمن وحدها الحدود التي لا يمروها تغير المختصة بالاوضاع الاساسية

واستقلال وادبية كنيسة الله . فاذا كانت تعاليم المجامع لا توافق الانجيل فيلزم ان تتغير لان الفصل في امور الايمان او كيان الكنيسة هذا يتعلق بالمجامع المسكونية وبالآباء

فيلزم ان نثابر على الصلاة الى الله لان المرضى في حاجة الى الصلوات لكي يرد كنيسته المقدسة متعافية ويجعلها جميلة ونقية ويهديها في كل شيء لكي يكون استئناف وضعها الاساسي حسب تعليم الآباء والمجامع السبعة المسكونية . وحسب مصادر العلماء الاعلام الثلثة الذين وضعوا الحدود على اساس لكل ذي حق حقه امام نظر الله . الذين وحدهم عصموا في تعاليمهم من الاضاليل والاغلاط التي لم يرتكبوا منها شيئاً . فلا توجد تعاليم اخرى سوى تعاليم هذه المصادر الثلثة وتعاليم العهد الجديد التي لقنها يسوع المسيح ذاته ورسله

ليانو في ٢٩ مايو سنة ١٩٢٢

البارونة

ناتالي ايكسيل

الفاتحة

منذ زمن مديد ونحن في شركة الكرسي الروماني وقد كتبنا كثيراً دفاعاً عن سلطة البابا على الكنيسة العمومية يعني عن سلطته على كل البطاركة وكل الاساقفة معتمدين على ثقة وامانة العلوم والمعارف التى درسناها وربينا فيها والقواعد التى قلدها لنا مؤلفو الاقرار بالسلطة الرومانية ولكن الظروف فيما بعد استمالت نظرنا الى هذه المسألة الرئيسية والحياة الانفرادية التى عشنا فيها مدة ثلاث سنوات ونصف في صحبة ومسامرة الكتب المقدسة وتعاليم الآباء والمجامع المسكونية آذنت لنا ان نفحص من جديد وبعمل شخص مستقل هذه القضية الهامة . وملخص هذا الدرس الجديد ضمناه في هذا المؤلف الحالي بصورة محاورة بين شخص ارثوذكسي من كنائس الشرق الرسلية وشخص روماني من شركة كنائس الغرب

كيرلس مقار — اسكندرية في اول يناير سنة ١٩١٢

نظرة اساسية

(الكنيسة مملكة يسوع المسيح لا لبشر)

ألِفتُ منذ زمن تعليماً كنيسياً مختصاً باقرار الكنيسة الرومانية . كان المؤلف حينئذ رجلا موقراً في كل مراكز الحياة المرغوبة مقيداً خضوعه بلواء علمه ذاك وما كانت تخالجه تلك العواصف الهابة المحقرة التي تضع اعتيادياً مبادىء كل نقط اعتقاداته ازاء الارثوذكسيين وهكذا لم تتأخر المحبة العميقة عن أن تجذبنا الى نقطة الوفاق

أن مادة محاوراتنا تشغل أولاً أدب وفلسفة القدماء ثم تقدم العلوم في الاجيال الحديثة وبالتدريج تنحدر الى سطح الارض الدينية . هذه المحطة كانت تلتهب لو لم تقف حيال التهابها صداقة الالفة التي تربطنا معاً والتي تأذن لكل منا أن يعبر عن فكره بكل حرية وليس لاحد منا نحن الاثنين أن يكدر زميله باستعمال حرية لسانه الاخوي

وفي الحالة هذه في سياق محاوراتنا تحريت أن زميلي الروماني بكل ما أوتي من العلم والحشمة يفرغ جهده في أن يتوقى سائر هجمات الارثوذكسيين بكل ما يعتقده . وفي مقامهم يعتقد أننا يبعدنا عن البابا ببساطة وعدم معرفة في اعتقادنا بالوضع الالهي في تأسيس الكنيسة وبالقياس اليه كما بالقياس اليهم يقول أنه لا توجد مسيحية حقيقية خارجاً عن الخضوع

التام لاسقف : ومة الراعي والسيد العام لكل المسيحيين ويلمح غالباً مراعياً سلطة البابوات على ملوك الغرب واحياناً يظهر لي بظهر تقريع رؤساء كنيستنا الارثوذكسية لاستعبادهم لامراء بلادهم ولا يتأخر عن المفاخرة بعلوم المدارس اللاهوتية الغربية ويفترض لسانه نغمة كون الشرق منذ انفصاله من البابا أصبح هاوياً في ظلمة الجهل بالنسبة للامور الدينية

فاليك حالة زميلي ونفسه فانه في يوم ما ألقى أمام عيني مجلة لاتينية عنوانها (رومه والشرق) هذه المجلة مصدرة باول موضوع وهو (آراء بشأن اتحاد الكنيسة) موقع عليه القس مكس أميرسكس . فهذا الرجل كان هياباً أن يختبر الدفاع بحرارة عن الارثوذكسية ضد كنيسة رومه. ثم أن زميلي الذي أطلعني على هذا الفصل اسرع مخبراً اياي في الوقت نفسه ان البابا شجب كل هذه الآراء وان المؤلف اضطر ان ينكرها

— فالاحظ ان هذا الحكم لا يخصني منه شيء . لانه من جهة ان البابوات ليس لهم أقل اهتمام الا بتعزيز اعتقاد ذويهم بان سلطتهم يمدونها على الكنيسة العمومية ومن جهة أخرى ان كل المسافات التي تفصل الكنيسة الارثوذكسية من الكنيسة الرومانية تقف عند هذا الحد المشترك وهو سيادة البابا المعصومة من الغلط التي يجعلها ذووك قاعدة ايمانهم وبالعكس نحن الارثوذكسيين ننظر اليها كمن ينظر الى هرطقة شنعاء

— فهتف مخاطبي هرطقة شنعاء : بأقل احتكاك من الكلام وبمقدار

ما انه يخلو منه نعقد الخناصر للمحادثة على هذه المسألة الهامة . تقول الهرطقة الشنعاء عن التي وضع اسها يسوع المسيح نفسه في مصلحة الوحدة المسيحية والتي كانت معلومة دائمة في الكنيسة منذ تأسيسها

— هذه النقطة أنا أعرفها ووجدانك يختلف بها عن وجداني كلية . لان ما هو في نظرك قاعدة ايمان أو بالحري قاعدة كل القواعد ليس في نظري الا ضلالا شنيعاً وحيث تجد دليل قاعدتك نحن نرى الدليل واضحاً بالعكس

وعلى ذلك لاجل الشروع أقول اننا بهذا نصل الى نقطة الوفاق معك . بان كتب العهد القديم تميز الكنيسة باسم (المملكة) والاناجيل تدعوها (مملكة السماء) وأنت تنزلها منها دائماً بقولك ان الكنيسة هي مملكة بطرس والبابا أما بالنسبة لنا فهذه المملكة هي هي وتبقى دائماً مملكة يسوع المسيح وحده الذي قيل عنه : ان الاب مسح ملكه على صهيون الجبل المقدس : والذي قال عنه الاب : أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك الامم ميراثاً لك وأقاصي الارض ملكاً لك (مز ٢ : ٦ — ٨)

هذه المملكة التي ادعى بها المخلص علناً أمام بيلاطس يوم آلامه وقضيب الملك الذي هو الاستقامة والعدل (مز ٣٤ : ٦) خص برب واحد هو يسوع وصليبه ارتفع فوقه عنوان هذا الملك الازلي الذي لا يباع ولا يرهن (مت ٢٧ : ٣٧ ومر ١٥ : ٢٦ ولو ٢٣ : ٣٨ ويوحنا ٢١ : ١٩)

لان رئيس الملائكة غبريال عند بشراه للعذراء أمه بميلاده قال ان الله يعطيه كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية (لو ١ : ٣٢) وبولس رسول الامم في دوره وكلامه عن هـذا الملك الفادي الذي صعد سلفاً الى السماء يصرخ قائلاً (لانه يجب ان يملك حتى يضع جميع الاعداء تحت قدميه . آخر عدو يبطل هو الموت (١ كو ١٥ . ٢٥ و ٢٦) . هذا ما أقوله لك ان الرب يسوع بصعوده الى السماء لم يكف عن ان يكون ملكاً ولم يترك بمعزل عنه من يمارس ملكه الخلاصي ولذلك فان الله الاب عند صعود ابنه الى السماء جعله فوق كل امارة وكل قوة وفوق كل نفوذ وكل حكم وبكلمة واحدة فوق كل اسم يسمى ليس في هـذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً واخضع كل شيء للكنيسة التي هي جسده بامتلائه (اف ١ : ٢١ — ٢٣)

ومن المعلوم ان الرب يسوع بموته اقتنى الكنيسة مملكة له بتخليصه اياها من ايدي القوات الاعداء الذين كانوا يشغلون هذه الحكومة السرية وأول عمل افتتح به ممارسة تملكه على الكنيسة هو انسكاب روحه يوم عيد الخمسين على المجمع الرسولي الذي اصطفاه ليجعلها أساس هذه الكنيسة . ألم تقل اذاً أبداً ان المخلص بصعوده الى السماء تبرأ من ان يمارس ملكه على الكنيسة ولهذا السبب وضع قضيب ملكه بين يدي بطرس ؟ . ان الرب يسوع بصعوده الى السماء لم يجعل بطرس ولا شخصاً آخر وارثاً

لملكه على الكنيسة وانما جعل بطرس والآخرين سفراءه ووكلاء سرائره (١ كو ٣ : ٥ و ٤ : ١)

أن سفير الملك ليس هو الملك والمملكة ليست للسفير بل لمن جعله سفيراً ونفوذ السفير في المملكة ليس نفوذاً ملكياً وانما نفوذ سفيري محدود ضرورة بحدود الموكل وواضح أن موزع خيرات سيد ليس هو ذلك السيد والخيرات التي يدير حركتها ليست له بل لمن جعله ناظراً عليها والنفوذ الذي له محدود بالوكالة على الخيرات بصورة تتصل بالمالك. فالوزير او الناظر الذي يغفل عما له يتعلل بالنفوذ الذي ناله ويدعي بالسلطة على المملكة أو بحق الملك على الخيرات ليس هو الا خائناً ولذا فان القديس بولس عند ماذكر أهل كورنثوس الذين كلهم لرب واحد يسوع الذي اقتناهم بدمه والذين يحملون سماتهم بمعموديتهم صاروا يشمرون دائماً بكل مايوجب التجديف اذا قالوا نحن منتسبون لواحد من السفراء لذلك الذي عتقدوا به ان كان ذلك السفير كيفا يعني بطرس نفسه (١ كو ١ : ١٠ — ١٣ و ٣ : ٤ — ١١ و ٢١ — ٢٣)

— كل هذا جيد جداً. انحسم الكلام يازميلي أننا نوقع عليه لاننا لم نقل البتة أن يسوع المسيح جعل بطرس وارثاً لملكه ولكننا نقول أنه عين بطرس خليفته على الارض هذا ولا شيء سواه

— ألم تقل أبداً أن يسوع المسيح جعل بطرس وارثاً لملكه ؟ من تقنعون ذلك ؟ لتكن أحراراً . ألم تقل أن يسوع المسيح قبل صعوده

الى السماء خلف بطرس مكانه وتنازل له عن السلطة الملكية والرياسة على كل الكنيسة ؛ ألم تقل في نصوص أخرى أن يسوع المسيح جعل بطرس وارثاً لملكه ورئيساً عاماً على الكنيسة ؟ ثم ماذا تريد أن تعني بقولك أن يسوع المسيح عين بطرس خليفته على الارض سوى أن الرب يسوع الذي أصبح بعد صعوده الى السماء غير أهل أن يمارس سيادته الملكية على الكنيسة التي كانت على الارض نقل هذه السيادة الى رأس بطرس ؛ شيء جميل وهو عين ورأي ذويك ولاهوتييك في التعبير الذي يدلون به عن ايمانك قائلين بوضوح أن الكنيسة هي سلطنة وان البابا في شخص بطرس دعي بيسوع المسيح صاحب لقب هذا السلطان يعني يشرحون السيادة المطلقة والرياسة العامة على الكنيسة

— أرجوك أن تلاحظ هذا نحن لانقتصر على القول بان البابا في شخص بطرس تعين رئيساً أعلى أو سلطاناً على الكنيسة بل نضيف الى هذه العناوين نص (المنظور) هذا التقييد يظهر جيداً أننا نعترف ليسوع المسيح دائماً بملكه الغير المنظور على الكنيسة ولا نمنح البابا سوى الملك المنظور . هذا ليس فيه عدم المستحيل ولا التجديف وانك تفهم ذلك بسهولة بعد الذي أبديته نفسك ألم تعترف في الواقع أن يسوع المسيح عين سفراء لملكه الذين خولهم سلطان تعليم شريعته وتوزيع سرايره وولاية كنيسته. حسناً حينما نقول أن بطرس تعين رئيسا أعلى أو سلطاناً للكنيسة نريد أن نقول ببساطة أن يسوع المسيح بتعيينه السفراء كما أبديت ميز

بطرس من كل الاخرين معطياً له وحده السلطان المطلق والحكم الاعلى والعام لتعليم شريعته وتوزيع سرايره والولاية على كنيسته لكي تكون الكنيسة باجمعها واحدة خاضعة لتعليم وادارة واحد . ان هذا واضح في كتب العهد الجديد فيلزمكم أن توافقوا عليه كما وافق عليه أباؤكم

— هذا اي الاختلال الروماني يدهشني جداً . انك اعترفت من جهة ان الرب يسوع لم يعين في كنيسته سفراء محتفظاً لذاته كل عناوين السيادة ومن اخرى تذيع انه منح بطرس السلطان المطلق والسيادة الملكية العليا العامة على الكنيسة وعلى السفراء الالهيين هذا ادعاء واضح بانه لا يوجد في الكنيسة بين السفراء البسطاء ليسوع المسيح الا رجلا واحداً متقلداً مكان يسوع المسيح السلطان المطلق والعام على الكنيسة وعلى أولئك السفراء أنفسهم . زد على ذلك (جنون اعظم ايضاً) قولك ان قوة هذا السلطان منحت لواحد الغرض منه اقرار وحدة الكنيسة في خضوعها لتعليم وادارة رجل واحد ونسيت ان وحدة الكنيسة ثابتة في البر والحق وهذا عمل فائق طور البشر. يفيض من قدرة الله وحده الذي لهذا السبب نفسه وعد الرب يسوع بانجازه لا بواسطة بشر بل بذاته صراحة وبعمل روحه الثابت الذي هو روح الحق والعدل . والذي يريد ان يقلد الكنيسة رجلا بصفة رئيس عام ينكر سيادة الرب يسوع ويقتدي بشعب اليهود في زمن صموئيل .

هذا الشعب الذي كان له ملكا منذ موسى الاله نفسه واستمر في

الحكم الالهي في وحدته واهليته وانتصاراته على اعدائه انذر من ثم النبي صموئيل آخر قضاته قائلا نحن نريد رجلا يكون ملكا لنا نحن نريد ان نكون مثل الامم أن يحكمنا ملك ويقودنا ويحارب حروبنا التي نقاسيها . فصموئيل الذي ساءه ذلك استشار الرب فاجابه يهوه (الاله) بهذا (هذا الشعب الخائن رفض ان املك عليه . انكر ملكي مريداً ان يملك عليه بشر ليقتص منه اني امنحه طلبه) وبالفعل ان الحكم الملكي التي بين يدي رجل فكان ذلك اسفاً محتما على مصالح شعب الله وخصوصاً على وحدته وراحته . اسفاً محتما على وحدته لان شعب الله ما عتم ان انقسم الى مملكتين متعاديتين بكراهة الى حد الموت ومتلاطما في كل فرصة . وقضى ذلك على راحته لان الملوك جعلوا يضعون على عنقه نيراً من حديد ويغتصبون حقوقه المقدسة.والشعب المظلوم اصبح قطيعاً لا قيمة له بدون بصيرة ولا ارادة مستعداً ان يخضع لنظامات ملوكه الكفرية حتى بلغ ان يضحي في الاماكن المرتفعة . والكهنة والانبياء تصدوا وظيفتهم وبسعيهم المستمر خانوا سفارتهم الالهية ولكن الذين منهم من حملته شهامته على ان يوبخ الملوك والشعب على خرقهم للشريعة خضعوا لكل نوع من العذاب ضربوا بالسياط رجموا ضربت اعناقهم بحد السيف نشروا (عب ١١ : ٣٥ — ٣٨) وعبادة يهوه نفسه لم تجد ما تتحصن به من هجمات هؤلاء الناس (الملوك) الذين لما سكروا بالسيادة العالية بلغ من امرهم ان يعتقدوا ان كل ما في اسرائيل لهم وانهم يمكنهم ان يخضعوه لاغراضهم

ومن ثم ليس من الصعوبة أن نطبق هذه الرواية المؤلمة رواية شعب الله الذي قايض مملكة الله في مقابل مملكة انسان على تاريخ المسيحية الغربية التي بدلت في الكنيسة سيادة الرب يسوع بسيادة بشر ما الذي قسم الكنيسة العمومية وقسم أيضاً الشرق من الغرب سوى هذه المسألة التعسة وهي سيادة انسان عامة على الكنيسة بدل سيادة الرب يسوع ؟ وفي الغرب ذاته ما الذي سبب الانشقاق الهائل وقسم شعوبك الى حزبين متعادين في ظروف أكثر من نصف جيل سوى الهيام بالسلطة على الكنيسة بين بابوين متزاحمين اللذين أول عمل جبري أجرياه حرمان أحدهما الآخر وتحريض من في طاعته على اشهار الحرب المقدسة ضد ذوي الطاعة المعارضة . الحالة التي لم تقف عند حد الا بعزل كل منهما . قاعدة ونعم بها على هذا وهو أن الهيام بالسيادة العامة برهنت من الاول عندهم على محبة وحدة الكنيسة ؟ ؟

ما الذي فصل بلا جدل الولايات البروتستانية من الكنيسة الرومانية يعني نصف الغرب اللاتيني الا سيادة البابوات الذين أضحوا ممقوتين بواسطة استبدادهم الذين خدعوا الشعوب بقحة شنعاء باختلاسهم الحجة القديمة العهد . الذين عقدوا بانتظام كل النيات مائلين نحو استئصال الحكم من حضن الكنيسة الرومانية على السيمونية وتجارة الاشياء المقدسة ؟

فهوذا السلطة العامة لرجل واحد التي اتخذتها الاساس لوحدة الكنيسة كيف كانت الاصل لنجاح الانقسام وكيف كانت قيمة الكنيسة

في الغرب منذ ما اعترفت بسلطة رجل واحد عامه ؟ فان الشعب بلغ من العبودية ما بلغ أو باحسن قول أن المالك لشيء كف عن أن يتصرف بما له من الحق أن يملكه الا بفروض الطاعة العمياء . وحق قطيع يسوع المسيح المقدس الذى كان له منذ نشأة الكنيسة من نحو اختيار رعاته الخصوصيين صار من أول وهلة مجهول الاستعمال ثم انكر بجسارة بواسطة ناموس نظري . لان البابوات جعلوه من حقوق سلطتهم العامة وتصرفوا به كأنه غير خاص بأولئك سواء كان ببيعه الى بعض الملوك المسيحيين بأثمان بعض منافع متنازل عنها بكونكوردات الى البابوية وسواء بالخصوص بشرطونية رعاة للقطيع الالهي مكروهين من جملة وجوه وبتعزيزهم (ضد كل احتجاجات كلية مشروعة) بكل سبل الاغتصاب

وقائمة الشعب المسيحي برمتها بالنظر الى الايمان في الحال الحاضرة من نحو الكنيسة الرومانية تنحصر في الاعتقاد أن البابا يعلم وفي أن يفعل ما يأمر به البابا بدون أن يتسآل أبداً اذا كان ذلك ضد التعليم أو ضد التهذيب الرسولي . وفي الوقت نفسه أن قيمة رؤساء هذا الشعب الروحيين تنازلت الى الحضيض فان الاساقفة الذين حسب تعليم الكتب يستلمون سلطانهم أبداً من يسوع المسيح الملك والرب الوحيد الذين هم سفراؤه والذين وضعوا بالروح القدس نفسه في القطيع ليدبروا كنيسة الله تربصوا متوسلين ونائلين كل سلطتهم وكل حكمهم كنعمة من سلطان البابوات الاعلى العام وبلغوا من الاحتياج للاقرار بان كل مالهم متعلق بالبابوات

الذين لهم حق أن يدعوهم ويعينوهم ويحددوا سلطتهم وأن ينزعوها منهم بالتمام كأن ليس لهم مكان أن يقفوا فيه في هذا السبيل الجميل . ومنزلة الملوك المسيحيين أنفسهم الذين هم رؤوس جسم شعب الله لم يحصلوا سخرية أقل . هؤلاء الملوك الذين سلطتهم الزمنية على شعوبهم آتية مباشرة من الله والذين يجب أن تطيعهم رعاياهم بموجب نظام الله الصريح طاعة ليست عن ضرورة أو كيف ما اتفقت بل طاعة من الضمير (رو ١٣ : ١ — ٥) فعل البابوات في دورهم معهم قصداً أعظم جسارة وتهجم لانهم أدعوا أن سلطات السلاطين والامبراطورين والملوك مقيد بسلطتهم العامة الذين بحسب وضع السيد المسيح لهم الملك المطلق على الشؤون الزمنية كما على الروحانية في الولايات المسيحية

والنتيجة ان هؤلاء البابوات أدعوا بأنهم قياصرة هؤلاء السلاطين وبهذا اللقب حتموا عليهم دفع الضريبة السنوية بعلامة سيادتهم الحقة على المقاطعة وبلغ من أمرهم ان أدعوا بحق ان يحلوا رعاياهم من يمين الامانة لملوكهم وبحق خلعهم من عروشهم الامر الذي لم يقصروا عن ان يجروه أو يشحنوا اجراءه عشرين مرة مثيرين هكذا في جملة ممالك حروب مدنية عديدة هائلة ومريقين سيولاً من دماء المسيحية . ان منزلة الكنيسة العمومية لم توقر هذه الكنيسة المقدسة التي حسب تعريف الرسول فلك الحق التي سيادتها سيادة الروح القدس والتي بموجبه موضوع مادة شريعتنا حسب هذه الفقرة من دستور الايمان (أؤمن بالروح القدس وبكنيسة

مقدسة جامعة) قاست ان تنحط من ذروتها الالهية الى ان تسجد تحت قدمي بشر

ان البابوات بعد ان اعترفوا زمناً طويلاً بتعليم نظري وعملي بسلطة الكنيسة العليا عروس يسوع المسيح على ذواتهم كما على الآخرين انتهوا بان وجدوا ان هذا لا يتفق مع سيادتهم الشاملة فحالاً أدعوا أولاً وحددوا حالاً في الغرب بصفة قاعدة ايماناً بان سلطتهم العامة هي أعلى من سلطة كل الكنيسة الاسيرة عندهم وبالجملة انها هي التي يجب عليها ان تخضع لهم في كل أمر لا هم الذين يجب ... ان يخضعوا لها التي بالنسبة لولايتهم عليها ليست شيئاً لانهم فوق كل القوانين وكل شرائع المجامع المسكونية الذين يمكنهم أن ينسخوها أو يحوروا فيها لما يكون ذلك حسب رغبتهم لان الكنيسة العامة غير معصومة بذاتها من الغلط لان كل عصمة تتعلق بشخصهم ولا تبلغ الى كنيسة الله بشيء سوى بمجرى خضوعها لسلطانهم الاعلى

واليك ما كان تحدد منذ اربعين سنة في مجمع الفاتيكان الملقب بالمسكوني فهل التفت أعضاؤه الى قليل من حقوق الله ذاته لا أكثر؟ وانما التفتوا لاجل ان يقضوا على البقية الباقية منها . ان البابوات بدعواهم بالسيادة العليا العامة على الكنيسة اغتصبوا مكان يسوع المسيح الذي هو رب الكنيسة وحده هو رئيسها الحقيقي العام وينبوع الحق لعصمتها وقداستها بروحه الحق المقدس

— ان البابوات اغتصبوا مكان الرب يسوع. انك دفعت الامور الى أقصى بعد . أ كرر لك ذلك

— أجل ان البابوات بادعائهم بالسيادة العامة على الكنيسة التي ليسوع المسيح اغتصبوا منزلة الرب الحقة .قد قدمت لك البرهان عن ذلك سلفاً وبالخصوص ليس الارثوذكسيون الذين يقولون ذلك وحدهم . وانما هذا تعليم القديس بولس الذي شرحه البابا غريغوريوس القديس الكبير أحد الاربعة العلماء الاعلام لكنيستك اللاتينية في عصر هذا البابا تلقب يوحنا الصوام بطريرك القسطنطينية مثل اسلافه وعلى الخصوص ببطريرك المسكونة لا بدعوى رئاسة عامة على الكنيسة الامر الذي لم يخطر له على بال لكن ليعبر فقط عن انه بطريرك العاصمة عاصمة مملكة المسكونة

ومن ثم ان البابا القديس غريغوريوس هاج بقوة ضد هذا اللقب لا باحتجاج كون بطريرك القسطنطينية اغتصب لقباً كان في حيازة بطرس والبابا لكن بتعليمه ان لقب اسقف او رئيس عام لا ينسب لا لبطرس ولا لبابا ولا لاي راع على الارض كحق مزدوج ولان هذا اللقب يسلب كل الاساقفة الآخرين منزلة الاسقفية ولانه يسلب فوق ذلك حق يسوع المسيح الذي هو وحده الرئيس العام للكنيسة حسب تعليم القديس بولس.

ارجوك ان تصغى . قال في خطابه الى اونوجيوس [١] الاسكندري (انه لا يجب عليكم ان تمنحوا مثل هذا اللقب لا لي ولا لشخص آخر وانك في مطلع خطابك تدعوني (البابا العام) فانا اشكرك فلا تفعل ذلك مطلقاً فان ما تنسبونه لآخر زيادة لا يطلبه الحق (لاحظ هنا ان ذلك يخالف الحقيقة لا التواضع كما يريد ان يزعم لاهوتيوك) هذا انسبوه لكم انفسكم وانا ارغب ان انجح لا في الالفاظ بل في الاخلاق فاني لا الاحظ شرفي الذي يمس شرف اخوتي فان شرفي هو شرف الكنيسة العمومية والشرف الذي لي هو نشاط اخوتي القوي فانه حينما ينسب لاحد شرف يستحقه من ينسب فاني اجد نفسي فرحاً بذلك بكل تأكيد (القديس غريغوريوس البابا كتاب ٦ خطاب ٣٠) وقبل هذا كتب الى بطريرك القسطنطينية نفسه الاشعارات التالية

(ان بطرس أول الرسل وأول عضو في الكنيسة المقدسة العمومية ولكن من بولس واندراوس ويوحنا بالحقيقة سوى رؤساء شعوب خصوصيين ومع ذلك جميع اعضاء الكنيسة لهم رأس واحد (الذي هو يسوع المسيح) وبقصير العبارة اقول ان القديسين الذين قبل الناموس والذين بعد الناموس والقديسين الذين تحت الرحمة كلهم يؤلفون جسد الرب ويعدون اعضاء الكنيسة العمومية لا اكثر وليس منهم من اراد في وقت من الاوقات ان يسمى مسكونياً . . . ان بولس علم يوماً ان البعض يقولون : انا لبولس وانا لابلس وانا لكيفا (بطرس) : فارتعب من هذا

(١) المترجم راجع الجزء الثاني من كتاب الخريدة النفيسة صحيفة ٤٦ — ٤٩)

التمزيق لجسد الرب الذي يضم اعضاء الجسم الالهي الى رؤساء آخرين غير الرب نفسه فصرخ : هل بولس صلب من اجلكم او باسم بولس اعتمدتم ؟ فاذا كان بولس القديس لم يأذن لاعضاء جسد الرب ان تخضع لرؤساء آخرين الا للمسيح نفسه وهؤلاء الرؤساء كانوا الرسل انفسهم (وكيفا الاول منهم) ماذا تقول يوم الفحص والحكم الاخير للمسيح يعني لرئيس الكنيسة العمومية أنت الذي يريد بلقب المسكوني ان يخضع جميع اعضائه ؟ (القديس غريغوريوس البابا ك ٥ خطاب ١٨)

لو كان هذا اللسان لم يكف عن التكلم لقال بصراحة وامضى على ان لا بطرس ولا البابا ولا أي أسقف رئيس الكنيسة العمومية وان هذا أمر مكروه وعدواني لسيادة الرب يسوع وهو الزعم بانه يوجد في الكنيسة رئيس عام آخر غيره

— ان هذا رأي خاص بالقديس غريغوريوس فلا يتخذ سنداً . ان الكنيسة الكاثوليكية تعترف عكس فهمه الشاذ تعترف ان بطرس كان راعياً عاماً وان البابا هو الاسقف أو الرئيس العام للكنيسة لان هكذا تعليم كتب العهد الجديد وتعليم الآباء الشرقيين أنفسهم .

— شكراً جزيلاً . الكل بدعواهم ان البابوات معصومون لم يتحزبوا لك تماماً بهذه الاشياء الا لما صاروا في حسابك وكفوا عن ذلك منذ صارت تعاليمهم تقاومك ان هذا درس ثمين سأربحه في فرصة مناسبة . ومع ذلك بما انك تريد ذلك لندع على جانب القديس غريغوريوس وكل بابا وكل كبير وجد في كنيستك اللاتينية فانه ما هو أمام ناظريّ هذا البابا هو بعينه أمام أعين الكنيسة الارثوذكسية وهو انه تطاول واضح على

سيادة الرب يسوع على عموم الكنيسة وانك تتشبث بقولك ان ذلك حسب تعليم كتب العهد الجديد وان آباءنا كانوا موافقين على ذلك. لانك ربيت كما أنت في تعليم لاهوت الغربيين الحديث فلا يمكنك ان تفكر أو تتكلم بسوى أن قدرة السيادة التي وضعها يسوع المسيح للولاية على كنيسته تظهر لك ضرورة تحت قوة السلطنة السامية الممنوحة لشخص بطرس للبابا الذي يعد ذاته هكذا مالكا على الرعايا لا على عوام المؤمنين في الكنيسة فقط بل أيضاً على كل سفراء يسوع المسيح أنفسهم . أما بالنسبة لنا نحن الشرقيين الذين ربينا على مبادىء الكنيسة الرسولية وعشنا تحت جو يخالف جوك فقد تلقينا الامر بنوع مخالف بالكلية . وحسب الايمان الذي تقلدناه من آبائنا والذي تقلده آباؤنا من الرسل الذين قضوا تقريباً كل حياتهم معهم . ان يسوع المسيح الملك هو وحده رئيس الكنيسة المسكوني وفي وضعه سلطة السفارة المتكفلة بسيادة هذه الكنيسة لم يعين سلطاناً بل مجمعاً رسولياً مركباً من اثني عشر عضواً الذين خولهم السلطة والمواعيد بالمعونة الالهية وقد اهتم جداً في تحذيرهم بالاكثر بما أنهم كلهم اخوة متساوون بان لا يخطر على بال أحدهم الفكر بالسلطة العامة وبالاولى ان لا توجد في كنيسته

ان المجمع الرسولي كان عنده شخص بطرس متقدماً وأولياً لكن ما كان في احتياج ما لان يكون عنده شخص بطرس رئيساً أعلى أو سلطانه الحقيقي قط كما كان عنده سابقاً والواجب ان يكون بلا انقطاع

رئيسه الاعلى وسلطانه الحقيقي وهو يسوع المسيح الذي هو رب الكل وحده . ان المجمع الرسولي ما كان بحاجة ان يخضع لسلطة تعليم أو ادارة بشر ما لكي يستمر في الوحدة والحق والعدل في حين ان يسوع المسيح هو معلمه الحقيقي ومدبره وله قال صريحاً انه يكون قاعدة الوحدة بروح حقه وبره وليس بواسطة بشر ما . وبكلمة . ان يسوع المسيح الرب الواحد المعلم الوحيد والروح الفرد المقدس لكنيسته لا يفترق من كنيسته . بل يحيا دائماً معها وفيها لكي ينيلها بذاته مباشرة مالم يستطع بشر ان ينيلها من العصمة في التعليم وعمل الصلاح الذي يدعوه الرسول وحدة الروح (اف ٤ : ٣)

فهوذا ما تعلمناه من آبائنا وما نراه واضحاً في كتب العهد الجديد التي تستمدون منها الشهادة في البشائر الاربع أولاً ثم في أعمال الرسل

الفصل الاول

البشائر

القسم الاول

(طبيعة المجمع الرسولي)

غير كافية قراءة الاناجيل وانما يلزم فهمها أيضاً . بلاشك أن يسوع المسيح ابن الله صار انساناً وأتى ليبتاع الجنس البشري أجمع وسلمه التعليم والاسرار والقواعد التي تقوده الى الراحة الابدية ولكن لتفهم هذا العمل الالهي المحسوس في وضع الكنيسة تمس الحاجة لتضع أمام الانظار ما روته الاناجيل عن النظام الاصلي وعلم التاريخ الذي تبعاً لذلك يجب أن تشارك حصتنا البشرية (المذكورتان) أمر الفداء وما يتعلق بالكنيسة التي هي مملكة يسوع المسيح

لان يسوع المسيح أولاً ومن باديء بدء فادي اسرائيل الذي هو ملك له بحق ولادته وبالتتابع ملك ثان على الامم ملكها بحق الفتح وبزيادة مراحمه . وفي الواقع أنه ملك اسرائيل بالفعل وحده لانه ابن داود . أن رئيس الملائكة غبريال كما أسلفت لك صرح لامه (ان الله سيعطيه كرسي داود أبيه وسيملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء

(لو ١ :٣٢) وزكريا والد القديس يوحنا هتف في دوره عند ولادة السابق المفروض عليه أعداد سبل الملك الفادي « مبارك الرب اله اسرائيل الذي افتقدنا وصنع فداء لشعبه وأقام لنا مملكة (قرن) خلاص (سلام) في بيت داود فتاه (لو ١ : ٦٨ و ٦٩)

أن المجوس الذين رأوا نجم الملك الفادي في المشرق وبادروا الى اليهودية لكي يسجدوا له استخبروا هكذا عن مكان ولادته قائلين أين هو المولود ملك اليهود ؟ (مت ٢:٢) وجواب هذا السؤال كما قال الانجيل هو في كلام ميخا النبي (وأنت يابيت لحم يهوذا لست الصغرى بين مدن يهوذا لانه منك يخرج الرئيس الذي يملك شعبي اسرائيل (مت ٢ :٨) ولما أجرى الفادي دخوله الانتصاري في أورشليم عاصمة مملكة داود قبل آلامه بخمسة أيام اخبرتنا الاناجيل أن ذلك كان لتحقيق نبوة زكريا وهي (قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك بحالة تواضع (مت ٢١ : ٥ ويو ١٢ : ١٥) وأن شعب اسرائيل رحب بقدوم المخلص بهذا المديح الحق : مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل (يو ١٢ : ١٣) مباركة مملكة أبينا داود الآتية الينا (مر ١١ : ١٠)

ان الفادي في ادوار آلامه المسأله بيلاطس رسمياً اعترف بملكه على اليهود كاشفاً القناع عن نقاء طبيعة هذا الملك الروحي الفدائي (يو ٢٠ : ٣٣ — ٣٦ ولو ٢٢ : ٣ ومر ١٥ : ٢ ومت ٢٧ : ١١) وتبعاً لهذا

الاعتراف تضمن عنوان صليبه هذه الكتابة باللغات اليونانية والعبرية واللاتينية (يسوع الناصري ملك اليهود (مت ٢٧ : ٣٦ مر ١٥ : ٢٦ لو ٢٣ : ٣٨ يو ٢١ : ٢٢) وألم يكرز المخلص ايضاً بانجيل ملكوته الذي كان في بلد ختانته الذي كان ملكه الخاص ؛ (يو ١ : ١١) وايضاً في خطابه عن ارساليته التي تلقاها من ابيه ألم يؤكد لنا انه لم يرسل الا للخراف الضالة من بيت اسرائيل ؛ (مت١٥ : ٢٤) وفي خطابه عن صفته لكونه الراعي الصالح لقطيعه والاغنام التي هي خاصته والتي يدعوها باسمائها لم يسمعه الا بيت اسرائيل لانه عند ما يريدان ينوه في نفس الخطاب عن هداية الامم في المستقبل يقول حتما هذا (ان لي خرافاً أخر ليست من هذا القطيع ينبغي ان آتي بتلك ايضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة لراع واحد (يو ١٠ : ١٦)

بهذا التمييز الجوهري بين شعب اسرائيل وشعب الامم بالنسبة الى يسوع المسيح بصفة كونه ملكا وراعياً وبهذا الاختلاف في زمن الاهتمام بخلاص احدهما والآخر المسيحي يوجد حق مزدوج احدهما هو ان شعب الامم لم يخص ملك المسيح الا بحق الفتح وبانتصار صليبه على كل القوات المضادة في حين ان شعب اسرائيل يخصه بالجملة بحق ولادته وبحق فدائه هذا الذي اشار اليه بايضاح داود في المزمور الثاني حيث يتجلى لنا فيه المسيح (من الاول مسح ملكا على صهيون الجبل المقدس) ومن ثم

نسمع بعد قيامته [1] كلمات الآب هذه : اسألني فاعطك (في المستقبل) الامم ميراثا لك واقاصي الارض ملكا لك (مز ٢ : ٦ — ٨)

ان المخلص ذاته شرح هذا الرأي بهذه الفقرات (الحق الحق اقول لكم حبة الحنطة ان لم تقع في الارض وتمت تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير . . وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليّ الجميع (يو ١٢ : ٢٤ و ٣٢) . الثاني هو ان دعوة الامم لم تكن سابقة ولا مرافقة لدعوة اسرائيل الشعب الممتاز لكنها تابعة لها فقط وهذه الدعوة لم يبدأ بها الا في حين الخيانة التامة من جانب الشعب المختار (مت ٢١ : ٣٢ — ٤١ مر ١٢ : ٩ لو ٢٠ : ١٦ الخ) وشعب الامم ما تعين ان يكون متفوقا على شعب اسرائيل لكن فقط ليتطعم فيه . في مكان الجزء المقطوع

ذلك منتظم جيداً ومطروح جيداً أمام عينيك لتنظر كيف أن المخلص دبر في الاول دعوة شعب اليهود ثم أتبعها بدعوة شعب الامم لانه بعد أن كرز ذاته وحده في وطن الختان بانجيل ملكوته وتلمذ بعض تلاميذ اختار اثنى عشر منهم لكي يكونوا رفقاء له غير مفترقين في حياته ومساعدين له في الانذار (مر ٣ : ١٤) فهؤلاء الاثنا عشر وضمهم في مجتمع رسولي واحد . من هذا عينه نجم اسم رسل الذين وضمهم ذاته ومن الجمع الاثني عشر الذي تمنحه الاناجيل دائماً لرفقاء حياة يسوع

(١) هكذا القديس بولس (اع ١٣ : ٣٣) يشرح هذه الكلمات : انت ابني وانا اليوم ولدتك

المسيح الغير المنفصلين من تبشيره في مدن الختان (لو ٥ : ١٢ — ١٦ مر ٣ ١٣ — ١٦ و ٥ : ٧ و ١ ٣٢ و١٥ ٥٠ مت ١٠ — ٧ و١١ : ١ — ٢٠ و١٧ . ٢٦ الخ) هذا ماينجم من وحدة القوات الممنوحة للاثنى عشر رسولا

وفي الواقع فان السيد في عشية آلامه اثناء العشاء الاخير والسري وضع سر الافخارستيا وقلد الاثنى عشر درجة كهنوت العهد الجديد باعطائه الى كل منهم سلطان تقديس جسده ودمه (مت ٢٦ : ٢٠ — ٢٣ مر ١٤ :١٦ — ٢٥ لو ٢١ : ١٤ — ٢٠) ١ كو ١١ : ٢٣ — ٢٧) وفي الوقت عينه قال للاثنى عشر الذين سيكونون شهوده بشركة الروح القدس الذي كان مزمعاً ان يرسله والذي سيكون رابطة شركتهم وقاعدة وحدتهم في نفس التعليم والمحبة ان الروح القدس سيمكث معهم وفيهم دائماً (يو ١٤ : ١٦ و ١٧) روح الحق الذي سيعلمهم كل شيء ويلهمهم كل تعليم يسوع المسيح ويعلمهم كل الحق (يو ١٤ : ٢٦ و ١٦ . ١٣) ولكن سيكونون شهوده عند اولئك الذين نظروا كل معجزاته ثم ابغضوه واضطهدوه (يو ١٥ . ٢٠ — ٢٧)

وفي هذا الظرف قال أيضاً للاثني عشر انهم يحصلون في ملكوته سلطة القضاء لكن استثني اذ من يقضون عليهم هم الاثنا عشر سبطاً لاسرائيل (لو ٢٢ : ٢٠ — ٣٠) وبعد قيامته في مساء أول يوم ظهوره للرسل الذي كان في اورشليم منح المخلص للاثني عشر (ماعدا توما الذي لم

يكن حاضراً مع هؤلاء الآخرين ويهوذا أحد الاثني عشر الذي ش نفسه) نفس ارساليته وروحه اللذين يحصلون بهما سلطة غفران ومسك الخطايا (يو ٢٠ : ١٩ — ٢٣) ومن ثم لاحظ ان هذه الارسالية التي قلدها للاثني عشر ليست سوى الارسالية التي تسلمها من أبيه : كما ارسلني أبي أنا أرسلكم . ومن ثم نرى من ذلك أن المخلص في خطابه عن امتداد ارساليته من أبيه حصر ذلك واضحاً (في الخراف الضالة من بيت اسرائيل (مت ١٥ : ٢٤) وفي هذا البيت الى شعب الختان منح الاثنى عشر في أول ظهوره في أورشليم عاصمة بلاد الختان نفس الارسالية التي تقلدها من أبيه لكن في ظهوره التالي لرسله أنفسهم لافي أورشليم بل على جبل الجليل الذي هو جليل الامم (مت ٤ : ١٥) اتخذ لهجة عبر بها أمراً أعظم مما قاله حتى الآن للاثني عشر مما يتعلق بامتداد الارسالية الرسلية حيث صرح قائلا (أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض فاذهبوا اكرزوا بالانجيل لكل الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ١٨ — ٢٠) وباعتماده لاعلى ارساليته من أبيه بل على سلطته العامة التي أعطيت له على كل الخليقة والتي تحصل عليها بصليبه أرانا هذه المرة أنه أوصل الى الرسل ارسالية متميزة عن الارسالية التي أبلغها لهم سلفاً متميزة لافي العمل بل في الاتساع

ومن ثم أن أقوال المخلص هذه المتعلقة بالارسالية الرسلية الى جميع

الامم بوعده بدوام العناية الالهية للوكلاء الالهيين المكلفين بتلقين علوم الانجيل لجميع الامم وبتوزيع أسرار الحياة الابدية عليهم ويحملهم أن يحفظوا تعاليم المملكة المسيحية من الواضح أنه لم يخاطب الرسل بها بهذا المقدار الا بصفة كونهم المجمع الرسولي الاثني عشري . لا بكونها تستحضر سلسلة بسيطة من خلفائهم الخصوصيين بل بقدر كونها تشخص بجمع الرسل والرعاة الذين أضاف الله لهم على حياتهم كأنهم سلسلة للمستقبل للوكلاء الالهيين الذين الى انقضاء العالم يخدمون الوظيفة الرسلية . لانه من دون شك أن الاثني عشر من جهة ماكان لهم أن يعيشوا بذواتهم الى انتهاء العالم ومن أخرى أنه لايوجد أقل تأكيد أن هؤلاء الاثني عشر لم يتمكنوا من أن يذهبوا لا واحد منهم ولا جميعهم جملة الى جميع الامم في سبيل تنفيذ هذه الوكالة الالهية ولكن لاستمرار حياتهم (المعنوية) عين الله بولس رسولا ومعلماً للامم (رو ١٥ : ١٦ ١تي ٢ : ٦ ٢ تي ١ : ١١) ولاستمرار حياتهم عين الله ذاته البعض رسلاً والآخر مبشرين والبعض رعاة ومدبرين لاجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح (اف ٤ : ١١ و١٢)

فهذا يسوقنا الى القول بان هذه الارسالية العامة للذهاب بها الى جميع الامم وانذارهم بالانجيل وتعميدهم وتعليمهم حفظ كل تعاليم يسوع المسيح . هذه ليست ارسالية خاصة بالاثني عشر وحدهم لان ارسالية الاثني عشر انتهت قبل ذلك وهي ارسالية يسوع المسيح نفسها التي لم يرسل الا للخراف الضالة من بيت اسرائيل لانه كان محتماً عليهم أن

يواصلوا ارسالية يسوع المسيح هذه محتماً على أولئك الذين كانوا شهود ورفقاء حياته بغير انفصال ومعاوني الانذار في وسط شعب الختان . ولكي يزيل المخلص ارتيابهم من نحو ذلك زودهم بهذا الامر القطعي قائلا (الى طريق أمم لاتمضوا والى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة (مت ١٠ : ٥)

هذا الامر لايلاحظ فقط كرازة الاثني عشر حالة كون يسوع المسيح حياً كما يرتأي لاهوتيوك بل يلاحظ ارساليتهم في المستقبل لان المخلص في نفس الخطاب يستتلي قائلاً (ولكن احذروا من الناس . لانهم سيسلمونكم الى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللامم (مت ١٠ : ١٨)

هذه الاقوال التي تلاحظ صريحاً زمن كرازة الاثني عشر الرسولية وكرازة الاخرين بعد صعود المخلص يوجد ماهو أهم منها كما رأينا سلفاً فان يسوع المسيح وقت العشاء الاخير السري بوضعه كل الاثني عشر بصفة كهنة العهد الجديد وبصفة شهود قيامته بالروح القدس الذي وعد أن يرسله اليهم أعلمهم بانه يقدم لهم الملك كما قدمه له الاب حتى يأكلوا ويشربوا على مائدته في ملكوته وأنه يجلسهم على كراسي ليدينوا اسباط اسرائيل الاثني عشر (لو ٢٢ : ٢٩ و٣٠)

وبالاخص نحن نرى بعدئذ كما في سفر الاعمال الرسلية كيف قام

الاثنا عشر باعمام ارساليتهم وكيف والحالة هذه فهموها [١] وفي هذه اللحظة نحن نتحصل على هــذه النتيجة وهي ان يسوع المسيح بالنسبة للرسل المكونين كتلة رسلية منحهم نفس الاسم واختصاصاته عينها يعني الوظيفة الرسلية والارسالية وسلطان التعليم ووظيفة الكهنوت والقضاء مع الوعد باقتبالهم روح الحق والمحبة وفي النهاية نفس الوعد بدوام العناية الالهية بقدر مالهم بقدر ذلك لزملائهم في المستقبل في السفارة الرسلية وللسلسلة الغير المنقطعة لرعاة الكنائس

وبالحقيقية ان كل هيئة مجمع محتاجة لمتصدر أو رئيس الذي صفته ان يستحضر وحدته ويتكلم ويطلب باسمه في أحوال خصوصية وان يدعوه عند ما تمس الحاجة ليقرر بالاشتراك الامور الهامة . ولذا فان سمعان الذي قال له السيد من أول وهلة أنت ستدعى كيفا أو بطرس (يو ١ : ٤٢) والذي أعطاه حقيقة هــذا الاسم في وقت تكوين المجمع الاثني عشري تعين ان يتسمى الاول في التعداد الذي اجراه الانجيل للاثني عشر رسولا (مت ١٠ : ٢ — ٤ مر ٨ : ٢٩ و٣٠ لو ٩ : ٢٠ و ٢١)

(١) لا نريد ان نقول ان لا واحداً من الاثنى عشر كرز بالانجيل خارجاً عن بلاد الختان بل اذا كان واحد او جملة منهم فعلوا ذلك فهذا لا يمكن ان يكون الا بعد تفويض خصوصي بالتمام وبعد كرازة امم باخرين مثلهم وهذا لا يدخل ابداً في سبيل الامم بل في سبيل الامم الخاضعة سلفاً الى ملكوت المسيح ومشتركة مع اسرائيل

وهو كان يشخص الاثني عشر دائماً متكلماً وطالباً باسمهم (مت٢٦ : ١٥ — ٢٠ يو ٦ : ٦٨ — ٧٠ الخ)

لكن المتقدم أو رئيس المجمع ليس له الحكم الخصوصي المسجل على زملائه وفي تقرير المسائل ليست سلطته أعظم من سلطة الآخرين فان ذلك منوط بجسم المجمع الذي يقرر نهائياً لان كل واحد من أعضائه له صوت ابداء الرأي بقدر ما للرئيس . والجلسة المركبة من المجمع تسمي اعتيادياً رئيساً لها فلها من ثم ان تعيد ذلك بالعكس الى رأيها الشخصي والمجمع أيضاً له ان يصدر الحكم على واحد من أعضائه وعلى الرئيس نفسه على الذي يمكنه ان يصدر الاوامر ويمكنه ان يقضي ويحكم عند الضرورة

فالادعاء بأن رئيس أي مجمع له أن يحكم على زملائه أو أن حكمه وحده عليه هو حكم قطعي بحيث يكون دور الآخرين محدوداً وما عليهم ألا ان يطيعوا خاضعين لرأيه فان ذلك يدك بالفعل نفسه معنى اسم المجمع . لان الذي يقول عن زملاء يقول عن أفراد بنفس الاسم ونفس السلطة فيكونون متساوين في الوظيفة والذي يذكر مجمعاً يذكر سلطة قائمة في مجتمع جسم المجمع لا في شخص مفرد . فرئيس المجمع ليس هو الحاكم بل العضو الاول ولا يمكن افتراض الحكم له الا باسقاط تصور نفس المجمع ومن ثم ان يسوع المسيح في تنظيمه في شخص الاثني عشر السلطان الوزاري المكلف بتدبير كنيسته ركب مجمعاً مقيداً . فهوذا الدليل الذي

لا يقبل الاعتراض بالكلية الذي بالنسبة اليه لم تدع الاناجيل أقل شك وفي نفس الامر لم تخبرنا فقط عن كون المخلص اصطفى الاثني عشر الذين دعاهم باسم الرسل ولم تخبرنا فقط عن كونه منح هؤلاء الاثني عشر رسولاً ذات الارسالية وذات سلطان التعليم والكهنوت والقضاء مع الوعد بالعناية الالهية لكنها اهتمت أيضا ان تخبرنا رسمياً بان الاثني عشر كلهم اخوة أو متساوون وان ليس بينهم أحد سيداً أو معلماً سوى السيد والمعلم العام الذي هو المسيح (مت ٢٣ : ٨)

ان الاناجيل اتخذت الحذران توقف عند حد ملكة الترأس في المجمع الاثني عشري هذا بأن تسلخ منها بالدقة كل ميل للسلطة والسيادة والقدرة على باقي الرسل لاجل ان تردها الى أولية وزارية بسيطة تصنع لها لقباً لا لقب السلطان بل لقب الخادم الحقيقي للجميع .(مت ٢٠ : ٢٥ و٢٦ مر ١٠ : ٤٢ — ٤٤ لو ٢٢ : ٢٤ — ٢٦) وسبب عدم وجود الترأس في مجمع الاثني عشر هو لان المخلص قلد جميع الاثني عشر المملكة كما قلدها له أبوه بان يتحصل الاثنا عشر على ذات الفوائد والرتبة والشرب والاكل على مائدته في ملكوته وان يجلس الاثنا عشر على كراسي ويدينوا اسباط اسرائيل الاثني عشر (لو ٢٢ : ٢٩ و ٣٠)

ولذلك لا يوجد اكثر بطلاً من ان يقال مع لاهوتييك ان يسوع المسيح بتكراره ثلاث مرات لرسله بانه لا يجب ان يتسلموا مملكته على

منوال مملكة الامم لم ينف سيادة الرئيس في المجمع الرسولي وانما يحدد التوصية لهذا الرئيس بان يلازم التواضع في ممارسة سيادته . ان المخلص لم يتكلم في هذا المكان بشأن التواضع بل يعلم بصورة رسمية بان الاثني عشر لهم في ملكوته ذات الرتبة وذات المنافع بما ان الجميع يجلسون على العروش وان لهم نفس السلطة القضائية على الاثني عشر سبط اسرائيل .

ان التقدم لا يوجد في المجمع الاثني عشري على منوال سيادة ملوك الامم التي لهم على شعوبهم التي بها يصيرون ساداتهم (مت ٢٠ : ٢٥ مر ١٠: ٢٤ لو ٢٢ : ٢٥) التي بها يتسلطون عليهم (مر ١٠ : ٤٢) التي بها يمارسون هذا السلطان لاكرامهم (مت ٢٠ : ٢٥) التي بها يدعون في هذه الحالة المحسنين لرعاياهم (لو ٢٢ : ٢٥)

وأما انت مع ذويك فتدعون بخلاف التعليم الذي كرره يسوع المسيح ثلاث مرات تدعون بان التقدم في المجمع الرسلي يوجد حقيقة بذلك واكثر من ذلك بحيث يكون البابا الذي تورثونه هذا التقدم هو حسب اعتقادكم هو السيد الحقيقي الاكيد لكل رفقائه (البطاركة والاساقفة) الذي له عليهم السلطة المطلقة ويمارس كرامة لهم هذا السلطان المطلق البالغ حداً قصياً موزعاً عليهم الاوامر جميعاً التي يرومها موزعاً على من يحوله منهم مسمياً هذا وداعياً ذاك بموجب ملء سلطانه ملقباً نفسه دائماً وبكل فرصة المحسن لرفقائه الذين يطلق عليهم اسم بطاركة او اساقفة بانعام سيدهم البابا الكلي القداسة الذين يتفضل صاحب القداسة الكلية

ان يتنازل من كرمه عليهم متى شاء وكما يشاء بجزء صغير من سلطته الروحية التي له بافراط

ولكن نحن . نحن نريد ان نلاحظ بالدقة تعليم المعلم الالهي الذي قال لرسله بأن التقدم في المجمع الرسلي لا يوجد هكذا (لو ٢٢:٢٦ مر ١٠ : ٤٣ مت ٢٠ : ٢٦)

— اجاب مناظري الروماني بعد لحظة سكوت يلازمه التفكر .

هذه أول مرة اسمع ايضاح وشرح القاعدة الارثوذكسية على جوهر التقدم في المجمع الرسلي بكل قوة وصراحة . ان اعتباراتكم كان لها الفوز لو لم يوجد في الاناجيل ثلاثة نصوص تؤيد واضحاً سلطة بطرس على الرسل كما هي الكنيسة بالاجماع وهذه النصوص الثلاثة التي اغفلتها في شرحك هي (انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات وان كل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحله على الارض يكون محلولاً في السماء (مت ١٦ : ١٨ و ١٩) ارع خرافي (يو ٢١:١٧) سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلب ان يغربلكم مثل الحنطة ولكن انا صليت من اجلك لكي لا ينقص ايمانك وانت متى عدت ثبت اخوتك (لو ٢٢ : ٣١ و ٣٢)

فان يسوع المسيح في النصين الاولين اخضع كل الكنيسة ومفهوم

منها الرسل لسلطة بطرس العالية وفي الثالث اخضع الرسل بالاسم الى عظمته المعصومة

— ان الثالث من هذه النصوص لا علاقة له بسيادة بطرس المعصومة على الكنيسة والاثنين الاولين لايتضمنان اكثر من الارسالية والسلطة الممنوحة بالاشتراك لجميع الرسل بدون تمييز. لهذا السبب انا اغفلتها وانا اترك لك الاهتمام ان تبرهن لي كيف تلك النصوص تؤيد سلطة بطرس على الكنيسة وعلى الرسل انفسهم

القسم الثاني

(فحص هذه الاقوال)

(أنت بطرس مت ١٦ : ١٨ و ١٩) وهذه الأخر (ارع خرافي) يو ٢١ : ١٧)

جاوب مناظري الروماني ان ادراكنا من نحو النصين الاولين بسيط للغاية وهو واضح بقليل من الكلمات . ان الوعد بوضع قاعدة الكنيسة وتقليد مفاتيح ملكوت السموات وهكذا مراجعة فرض رعاية خراف الرب صار ذلك لبطرس وحده لا لباقي الرسل . لان وضع أساس الكنيسة وتقليد مفاتيح ملكوت السموات وناموس رعاية خراف الرب توزع ذلك من سلطة واحدة عليا على كل الكنيسة وعلى الرسل

أنفسهم الذين هم في الواقع من الكنيسة ومن قطيع الرب قال المجمع الفاتيكاني . هذا المعنى واضح من نفسه وهكذا فهمت دائماً الكنيسة العمومية هذين النصين

— لا شيءٔ أحق من كبرى وصغرى هذا القياس المنطقي الذي في نظر لاهوتييك يرى انه غير قابل النقض . كما انه لا شيءٔ أكذب من تأكيد المجمع الفاتيكاني له فأولاً بالنسبة لهذا وهو الوعد الذي تكلم عنه في نص القديس متى فهو حقيقة لنا . ان هذا الوعد جعل لبطرس لا بصفة كونه شخصاً مفرداً بل بصفة كونه ذا شخصية أدبية للمجمع الرسلي . فانه بحسب الواقع ان الوعد للذي بادر الى القول للمخلص : أنت المسيح ابن الله الحي : ولكن بطرس لم يفه بهذا الاعتراف باسمه الخاص الشخصي بل باسم كل المجمع الرسلي الذي كان المخلص سأله بهذا الخصوص : وأنتم من تقولون اني أنا ؟ (مت ٦ : ١٥) ومن حيث ان السؤال لم يوضع لبطرس وحده بل للاثني عشر فهكذا لما أجاب بطرس وحده أجاب عن الجميع وفي هذه الحال يكون الوعد الذي منحه على أثر اقراره سلمه للجميع لا وحده (١) فهذا ما يتحصل من نص الانجيل الذي

(١) ان اللاهوتيين الرومانيين الذين يزعمون ان بطرس باعترافه بلاهوت يسوع المسيح لم يتكلم باسم المجمع الرسلي ماخلا باسم ذاته يرتكنون على سلطة

كل الآباء لم يقصروا عن ان يروه كذلك الا ما سجله مجمع الفاتيكان الذي ليس لكلامه سلطة علينا . فان الديانة المسيحية القديمة سواء كانت

القديس هيلاريوس الذي من بواتيرس وعلى سلطة القديس اوبتات الذي من ميلين فالاول قال في تفسير بشارة متى

« يجب ملاحظة ان بطرس قدتقدم (الرسل . كما في فكر هؤلاء اللاهوتيين البقين) لانه وحده أجاب بقوله انت هو ابن الله بينما الاخرون (اي الرسل كما فكروا ايضاً) لم يكونوا يعرفون ذلك »

وقال الثاني بشأن هرطقة الدوناتيين ك ٦ عدد ٣ « فهوذا اذاً بينما الآخرون (اي الرسل كما فهم دائماً اساتذتنا الرومانيون) كانوا يجهلون ابن الله قد عرفه بطرس وحده »

وحسب رأي لاهوتيي رومة ان الابوين اللاتينيين قصدا ان يقولا ان بطرس وحده اعترف بلاهوت يسوع المسيح بينما ان باقي الرسل جهلوا هذا اللاهوت ولم يعترفوا به . ولكن هذا عزوه لابويهم عزواً وتفسيراً مضحكاً لذينك اللذين ارتأيا ان الرسل المسؤولين من المخلص عما يقوله الجموع عن ابن الانسان والذين أظهروا بجوابهم على هذا السؤال الآراء المختلفة لليهود الذين اعتقد بعضهم انه يوحنا المعمدان والآخر انه ايليا أو ارميا أو واحد من الانبياء القدماء (مت ١٦ : ٢٧ و ٢٨ لو ٩ : ١٩) انهم أي الرسل أظهروا شعورهم واعتقادهم الخاص لا اعتقاد الجموع الذين ما كان لهم ايمان .

في الشرق أو في الغرب ابعد من ان تشتبه بنص القديس متى هذا

بهذا المقدار بلغ الظن بالآبوين اللاتينيين ظن الجهل الفاسد. ان حوادث الانجيل تثبت واضحاً ان الاحد عشر كانوا يقرون بلاهوت المسيح وانهم اعتقدوا به قبل بزمن طويل من هذا التاريخ . لانه قبل اقرار بطرس هـذا في قيسرية بسنتين قال نثنائيل للمخلص (يامعلم أنت ابن الله ملك اسرائيل (يو ١ : ٤٩) وقبل بسنتين من اقرار بطرس أظهر يسوع مجده وآمن به تلاميذه (يو ٢ : ١١) أخيراً قبل اقرار بطرس بشهرين (ولانقول زيادة) يعني في ظروف انكار بعض التلاميذ وشكهم بوعد اعطاء جسده ودمه في سر الافخارستيا قال يسوع للاثني عشر (ألعلكم أنتم تريدون ان تمضوا فأجابه بطرس . يارب الى من نذهب كلام الحياة الابدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا انك أنت المسيح ابن الله الحي (يو ٦ : ٦٧ — ٦٩)

فمن السفة ان يظن لاهوتيو رومة ما يرومونه بآبائهم اللاتين أما بالنسبة اليَّ فلا أريد ان أسدد سهام الظن بجهل القديس ايلاريوس وبالتالي بجهل القديس أوبتات الذي قلد ذاك فقط . وأنا أحب ان اعتقد بالافضل ان هذه الفقرات (الآخرون يجهدون . الاخرون لايعرفون) تشير في ذهنهم لا الى الرسل بل الى اليهود والجموع الذين كانت تجول في ضمائرهم الظنون الكاذبة بشأن يسوع المسيح التي أعلنته الاناجيل قبل جواب بطرس .

الانعام لبطرس بسلطة عالية على الرسل وانما تثبت العكس تثبت بالصوت الحي أربعة أمور تنفي من النص الانجيلي حتى ظل السلطة .

الاول أن المواعيد التي تظهر أنها تلاحظ هنا بطرس وحده هي موجهة في الحقيقة لجميع الرسل بالاشتراك بدون تمييز . الثاني وبخصوص مفاتيح ملكوت السموات التي يرى فيها لاهوتيوك حكم بطرس الاعلى والعام على الكنيسة وعلى الرسل فان المخلص الذي قام من الاموات أعطاها لكل الرسل كما أعطاها لبطرس . الثالث أن هذه مفاتيح ملكوت السموات التي يضع ضمنها ذووك مقداراً عظيماً من الاسرار هي كل السلطان البسيط على غفران ومسك الخطايا السلطان الممنوح لا لكل الرسل فقط بل لكل الاساقفة خلفائهم في النظارة الالهية وقال أولئك الآباء أيضاً بصفة حاسمة أن ما وعد به هنا لبطرس هو نفس السلطان الروحي الذي يتمتع به كل أسقف في الكنيسة . الرابع أنه في حالة ما يرى أن النص الانجيلي وعد بطرس أنه سيصبح أساس الكنيسة يلزم أن نسمع ذلك لا عن بطرس وحده بل عن كل الرسل

ثم أن الآباء ارتأوا نفس هذا الرأي بشأن نص القديس يوحنا (أرع خرافي) بالنسبة اليهم هنا (الى الرسل) كما في انجيل متى أن بطرس كان يمثل أدبياً المجمع الرسولي وزملاءهم الاساقفة خلفاءهم وبالتالي فما قيل هنا لبطرس لم يقل له خصوصاً بل قيل بالاشتراك لعامة الرسل ولكل واحد منهم ولكل الاساقفة وعلى العموم لكل واحد منهم مخصوصاً

فهل يرضيك أن نبدأ أولا بآباء اللاتين ؟

أولهم القديس اغسطينوس الذي تعتبره أعظم واحدمنهم هو من اعتقادنا على الاطلاق لانه أثبت مثلنا في المكان الاول أن بطرس باعترافه بلاهوت يسوع المسيح تكلم باسم كل الرسل لانهم في الواقع سئلوا جميعاً ولم يسأل وحده ومن ثم يكون الوعد الذي قبله حينئذ لم يقبله لذاته وحده شخصياً بل للجميع . واليك باية جمل يشرح هذا الرأي الذي أيده في كل كتاباته قال (بما أنهم سئلوا جميعاً واجاب بطرس وحده: أنت هوالمسيح: وقال له (تعالى سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات) كأنه استلم وحده سلطان ربط الخطايا وحلها والحقيقة هي أنه وحده اعترف باسم الجميع وأنه استلم الوعد مع جميعهم بحيث أنه كان ممثلاً وحدة المجمع الرسلي هكذا بصورة الجميع لان الوحدة كانت في الجميع)[١]

وهذا ما يكرره على الخصوص باختصار بهذه الجمل (في بطرس كل (الرسل) استلموا مفاتيح ملكوت السموات)[٢] وقوله أيضاً (أن شرف بطرس نشأ من هذا من كونه شخص عموم ووحدةالكنيسة (الحاكة) لما قيل له . وأعطيك ذات ما أعطي الجميع)[٣]

وفي مكان ثان يعلم القديس اغسطينوس مثلنا بان مفاتيح ملكوت

(١) على يوحنا خطبة ١٨

(٢) خطاب ١٤٩ على كلام ارسول

(٣) خطاب ٢٦٣ على بطرس وبولس

السموات الموعود بها هنا لبطرس والتي جعلها لاهوتيوك عنوان وشارة سلطة شخص واحد عمومية على الكل قد أعطيت لكل الرسل ولكل واحد منهم مثل بطرس. ونزيد أن هذه المفاتيح ليست سوى غفران ومسك الخطايا اذ كتب (هل بطرس استلم هذه المفاتيح وبولس لم يستلمها؟هل بطرس تقلدها ولم يتقلدها يوحنا وباقي الرسل أوهذه المفاتيح أيضاً ليست في الكنيسة حيث كل يوم تغفر الخطايا ؟ فليس اذن بشر مفرد استلم هذه المفاتيح بل وحدة الكنيسة (الحاكة)[١]

وفي مكان ثالث حيث يتكلم القديس اغسطينوس عن الوعد المعطى لبطرس عقيب اقراره يعد بقاعدة عمومية الى الجميع ماقاله (تعالى) من مثل ذلك الى ذات الرسول فعنده ان ماقيل في كل الظروف لبطرس لم يقل لبطرس بمفرده بل قيل ايضاً لكل الرسل وكل الاساقفة خلفائهم . ومن ذلك هذا التصريح الشافي (ان بعض الامور التي ظهر أنها قيلت بنوع خاص لبطرس الرسول فليس لها معنى واضح الا اذا اعزيت الى الكنيسة (الحاكة) الذي يفهم منه أنه يمثلها بحق الاولية التي كانت له بين التلاميذ وذلك أشبه بهذا الوعد : سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات : وكل ما كان من هذ القبيل[٢] وماذا كان من هذا القبيل ؟ واضح أنه كل كلام المخلص الذي وعد به او منح اية سيادة كانت لبطرس وخصوصاً

(١) خطاب ١٤٩ على كلام الرسول وخطاب ٢٩٥ على بطرس وبولس الرسولين

(٢) مزمور ١٠٨ : ١

هذا (ارع خرافي)[١]

وبناء على هذه القاعدة التي وضعها القديس اغسطينوس قال بشأن نص يوحنا (في شخص بطرس ارتسمت صورة وحدة كل الرعاة ولما قال له تعالى : أتحبني ؟ ارع خرافي ذلك قاله للكل) وهكذا يقول السعيد اسقف ايبونا متكلما عن نفسه وعن باقي زملائه الاساقفة بكل تأييد (ان الرب اوصانا بخرافه لانه اوصى بها بطرس)[٢]

يحق لك ان تلاحظ بلا ريب ان كل المواعيد المعطاة لبطرس في نص القديس متى راجعة في عرف اغسطينوس الى واحدة وهي موعد مفاتيح ملكوت السماوات او سلطان الربط والحل ولكن الحقيقة في هذا وهي ان القديس العلامة في معرض هذه الكلمات : انت بطرس وعلى هذه الصخرة سابني كنيستي : لم ير أقل وعد جعل لبطرس وفي عرفه ان يسوع المسيح قال انه سيبني كنيسته (لكن لا على شخص بطرس الذي هو انت لكن على الصخرة التي اقررت بها) يعني على شخص ابن الله[٣] وقد أيد هذه العقيدة حتى في كتب مراجعاته حيث يبرهن عليها بهذه الملحوظة (لانه ما كان قال تعالى لبطرس : انت هو الصخرة بل انت بطرس : لان الصخرة كانت المسيح بالاعتراف الذي به ربح سمعان اسم بطرس) هل

(١) خطاب ١٤٧ على كلام الانجيل

(٢) خطاب ٢٩٦

(٣) خطاب ٢٧٠ على يوم الخمسين

تعرف لماذا القديس اغسطينوس[١] لم يرد ان يكون شخص بطرس الصخرة الاساسية للكنيسة ؟ لانه حسب عرفه وعرف القديس بولس (انه لا يستطيع احد ان يضع اساساً آخر غير الذي وضع (من الله) الذي هو يسوع المسيح (١ كو ٣ : ١١)

لانه حسب فكره ان صخرة اساس الكنيسة هو الواحد الذي اقتناها بدمه. الواحد الذي باسمه تعمدت. الواحد الذي يتملكها وهو الرب يسوع لا أحد من سفرائه ويقصد بالاحد السفير كيفا نفسه لان كيفا مثل باق السفراء ما خرج عن كونه بشراً (١ كو ٣: ٤ و ٥ و ٢١—٢٣ و ١٣:١) واليك ما قاله هذا القديس العلامة في كلامه عن شقاق الكورنثيين (هؤلاء الاناس ارادوا ان يبنوا على البشر اذ كانوا يقولون انا لبولس وانا لابلس وأنا لكيفا الذي هو شخص بطرس ولكن الآخرين كانوا يقولون انا ليسوع المسيح)[٢] ولهذا السبب عينه يرفض ان يعترف ان في الكنيسة رئيساً بشرياً . ولما سأله الدوناتيون في مجمع قرطجنة اذا كان يعتبر سيبليان مقدم افريقا أباً له اجاب بعظمة (لي رئيس ولكنه المسيح . اني اسمع الرسول يقول لي عنه : كل الاشياء هي لكم ولكن انتم للمسيح والمسيح لله)[٣]

(١) آباء اللاتين ك ١ : ٢١

(٢) خطبة يوم الاحد غرة ٢٥

(٣) مجلد ٢ وجه ١٤٦٢

وغير ذلك رغماً عن هذ التأويل فهل كان القديس العلامة يرى في بطرس أساساً ثانوياً وعد يسوع المسيح ان يبني عليه كنيسته الذي لم يمنحه بذلك أقل امتياز خاص به : لانه اهتم ان يضع قاعدة وهي ان كل ما وعد به ومنح لبطرس كان بالفعل نفسه لكل الرسل وهكذا الحال الراهنة في هذا الوعد : أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي لم يقيد ان بطرس وحده سيصير أساس الكنيسة بل جميع الرسل سيكونون معه بذلك اللقب ذاته . ومن المعلوم ان سفر الرؤيا الذي سيج على سلسلة الكتب المقدسة قدم وصفاً نفيساً للكنيسة وهو (المدينة المقدسة اورشليم الجديدة مسكن الله الحي مع الناس (رؤ ٢١ : ٢ و ٣) هذا الوصف يعلمنا (ان سور المدينة له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الحمل الاثني عشر (رؤ ٢١ : ١٤)

ان القديس كبريانوس القرطجني الذي كان مصباح افريقيا قبل القديس اغسطينوس قال في الجيل الثالث في تأليفه عن وحدة الكنيسة ان هذه الكلمات (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات) وهكذا هذه الكلمات الأخرى (أرع خرافي) لم تكن لتجعل بطرس ذا سلطنة عالية على سلطة باقي الرسل (ثم يلاحظ قائلاً) ولو انه تعالى قال لبطرس : أنت بطرس الخ و : أرع خرافي: فلا يوجد شك ان الرب بعد قيامته أشرك كل الرسل بسلطة متساوية بكل ذلك بقوله لهم : كما أرسلني الاب أنا أيضاً أرسلكم : اقبلوا الروح القدس من

غفرتم لهم خطاياهم غفرت لهم ومن امسكتموها عليهم أمسكت (وزاد) بنوع ان كل الرسل كانوا بلا نزاع يفعلون فعل بطرس وكلهم حرزوا الشرف والسلطان مثله)

كل ما لاحظه هذا الاسقف الشهيد في مؤلفه عن وحدة البيعة هو المساواة التامة بين الرسل وكان أبعد من أن يدع بينهم وحدات متفرقة أو مضادة وانما فعل العكس وهو بما أنهم واحد وذوو سلطان واحد هكذا هم جمع واحد. وهكذا يوضح أو يضع بصراحة هذه الوحدة المجمعية الرسولية التي منها تتولد وحدة الكنيسة أن الرب قال لواحد : أنت بطرس الخ : و : ارع خرافي : واعداً ومعطياً سلطة مشتركة ومتساوية في شخص واحد

وزيادة عن ذلك ان القديس كبريانوس أبعد من أن يجد ان هذه الاقوال (أنت بطرس) تؤيد سيادة بطرس على باقي الرسل ويرى مثل القديس اغسطينوس ان فيها السلطة التي يتمتع بها كل اسقف فيهتف قائلاً (ان الرب الواجب علينا احترام تعاليمه وحفظها . في تعيينه شرف الاسقف وصورة كنيسته تكلم هكذا في الانجيل : أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات وكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولاً في السموات : ومن ثم جرت على توالي الازمنة والخلافات رسامة الاساقفة وصورة الكنيسة الصورة التي بعدها

بنيت الكنيسة على الاساقفة (كما بنيت من الاصل على بطرس) وكل عمل كنيسي أصبحت الولاية عليه بواسطة هؤلاء الاساقفة أنفسهم » (١) الذين استلموا مثل بطرس مفاتيح ملكوت السموات .

ان القديس ايرونيموس الذي جاء بعد اوغسطينوس ونال حظوى سيادة عظمى عند ذويك لم يفهم الخلاف من معنى متن القديس متى . وكل من قال ان الرب جعل بطرس رئيس المجمع الرسولي ابعد عن ان يعترف ان المواعيد المتضمنة في النص الانجيلى تتعلق ببطرس وحده من الرسل أو كان لها غرض ان تجعل بطرس وحده أساس الكنيسة أو أنها تعطي بطرس وحده مفاتيح ملكوت السموات واليك ما كتبه (ايرونيموس) بهذا الموضوع في مؤلفه ضد يوبيان (أنت تقول : ان الكنيسة بنيت على بطرس : هذا حق ولكن نحن نعلم من نصوص الكتاب الأخرى ان ذلك عينه متعلق بكل الرسل أي ان الكنيسة مبنية على كل الرسل وان جميع الرسل قبلوا مفاتيح ملكوت السموات . . . فقوة وثبات الكنيسة مرتكزان بنفس الدرجة على كل الرسل) (٢)

ان القديس امبروسيوس ثالث علمائكم العظام الاربعة يشرح بكلمتين كل ما رأيناه موضحاً في مؤلفات القديس اغسطينوس تلميذه اذ كتب يقول (ان ما قيل لبطرس قيل لباقي الرسل وهو : سأعطيك مفاتيح

(١) القديس كبريانوس رسالة ٢٧

(٢) ضد يوبيان ك ١

ملكوت السموات) (١) ومستحيل ان نرى في النصوص الأخرى سيادة بطرس على الرسل الذي ما له مشترك مع جميع زملائه .

ان القديس جودانس أسقف بريسياس المعاصر للقديس امبروسيوس لم يفهم بوجه ما ان المواعيد جعلت لبطرس قال (ان كل الرسل قبلوا معه من الرب الروح القدس بغفران خطايا من تغفرونها له ويمسكها لمن تمسكونها عليه) (٢)

فارجوك ان تلاحظ كل ما تضمنه هذا الشرح : أولاً ان المواعيد الموجهة لبطرس لا تختص به وحده بل تلاحظ أيضاً كل الرسل الآخرين لان كل الرسل استلموا في بطرس الوعد بالمفاتيح : ثانياً كلهم تقلد من الرب الذي قام من الاموات لا في بطرس بل مع بطرس امتياز المفاتيح الموعود بها سلفاً في شخص بطرس : ثالثاً كل الرسل استلموا مع بطرس هذه مفاتيح الملكوت السموية لما قال الرب للجميع : اقبلوا الروح القدس : ان الخطايا تصير مغفورة الخ . وأيضاً فاذن مفاتيح ملكوت السموات هي سلطة غفران الخطايا ومسكها بنعمة الروح القدس السلطة المسموح بها بالاشتراك لكل الرسل وكل الاساقفة خلفائهم لا تلك السلطة الخيالية لبطرس على رفقائه . فان القديس جودانس مثل القديس

(١) على مز ٣٨ أنظر مؤلفه في الكهنوت ك ١ : ٢)

(٢) الخطاب السادس عشر يوم رسامته

اغسطينوس مثل القديس كبريانوس مثل القديس ايرونيموس مثل القديس امبروسيوس لم ير في المواعيد المعطاة لبطرس وفي السلطان الممنوح له الا السلطان الجوهري الاسقفي والسيادة العمومية لكل أساقفة الكنيسة : وهكذا ساغ له ان يدعو بحال طبيعي القديس امبروسيوس أسقف ميلان خليفة لبطرس Successorem Petri

أما بالنسبة للقديس غريغوريوس الكبير الرابع من علمائك الاعلام فقد رأينا سلفاً ما يرتأي من نحو بطرس الذي في نظره ليس هو رسولا عاماً ولا راعياً عاماً ولا رئيس الكهنة العام لان هذه العمومية ليست تنفي حقوق رفقائه فقط بل أيضاً وعلى نوع خاص اعتداء على حقوق يسوع المسيح الذي هو وحده رئيس الكنيسة العام كما أنه الرب الواحد . فلم يقدر أن يرى في نص القديس متى أوفي نص القديس يوحنا الادعاء برياسة بطرس العليا على الكنيسة وعلى الرسل أنفسهم .

ان كريستين دورتمار الراهب اللاتيني في الجيل التاسع أوضح في كتاباته أن في عصره كانت الكنيسة الغربية أيضاً مثل آبائها القدماء تفهم نص القديس متى المشهور واليك ماكتبه في شرحه لهذه الاقوال : أنت بطرس الخ وسأعطيك المفاتيح الخ : (نحن نعتقد بحق أن ما قيل هنا لبطرس بمقدار ماسمح به لبطرس سمح لباقي الرسل ولخلفائهم الذين قاموا مقامهم في الكنيسة ذاتها . . فانه ولو أن وعد المخلص يظهر انه ممنوح

لبطرس وحده فهذا تأتى لان بطرس تكلم باسم الجميع واجيب لهؤلاء الذين تكلموا فيه)[١]

أن الكردينال نيكولاس الذي من كوزا الذي كتب بعد بضعة أزمنة من دورتمار يشهد لنا بهذا الصنع عينه قال (نحن نعلم أن بطرس ما استلم من يسوع المسيح أكبر من سلطان باقي الرسل فانه في الواقع لم يقل له شيء الا ما قيل لباقي الرسل أماهو حق أن مثل ماقال تعالى لبطرس : كل ما تربطه: قال لباقي الرسل : كل ما تربطونه؟: وانه قال لبطرس: انت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي : فنفهم من ثم ان الصخرة هي المسيح الذي اعترف به بطرس . ومن ثم اذا وجب ان نفهم ان بطرس هو الصخرة او أساس الكنيسة فهذا لا يزيد بطرس شيئاً عن باقي الرسل لانه على حسب رأي ايرونيموس ان باقي الرسل صاروا مثله صخور الكنيسة . وهذا قيل واضحاً في الفصل الذي قبل الاخير من الرؤيا حيث لا يشك احد بالصخور الاثني عشر لاساس المدينة اورشليم او يزل اذا سمع ان المراد بها الاثني عشر رسولا . لاجل ذلك نحن نقول ان كل الرسل متساوون لبطرس في السلطان)[٢]

فهوذا كيف فهم اعظم علمائك وكل اهل الغرب القدماء حتى الجيل

(١) تفسير انجيل متى ١٦ : ١٨ و ١٩

(٢) لمحة . تعليم مسيحي ك ٢ ف ٣١

العاشر اقوال المخلص انت بطرس وهذه الاخرى : ارع خرافي : آباؤك في الايمان لم يروا فيها أقل امتياز لبطرس بالنسبة لرياسته على باق الرسل بل وجدوا العكس وهو انها لم تمنح له باكثر مما منحت للرسل الأخرين . فاذا كان قال تعالى لبطرس انه سيكون اساس الكنيسة فباقي الرسل كانت لهم ذات الدرجة مثله . واذا كان قال لبطرس انه سيستلم مفاتيح ملكوت السموات فالرسل استلموها معه ومثله واذا كان قال لبطرس (ارع خرافي) فباقي الرسل استلموا التفويض نفسه معه ومثله . وكل آبائك متفقون في تأييد ان ما قيل لبطرس في الظاهر والخصوص هو مقول حقيقي ونفس الامر في شخصه لكل الرسل او في كل النصوص الأخرى التى شخص بها بطرس المجمع الرسولي سواء في ما قاله المخلص او سواء ما قاله له المخلص وبالحري ايضاً ان كل آبائك يعلموننا ان مفاتيح ملكوت السموات الموعود بها لبطرس وتفويض رعاية الخراف السيدية المعطى له هي كل السلطة البسيطة لغفران الخطايا ومسكها ووظيفة الرعاية الاثنتان اللتان تكونان جوهر الرتبة الاسقفية اللتان لا تخلوان من اسقف

ان كنيستنا الارثوذكسية كما تعلم تعتقد اليوم كما كان يعتقد آباء الغربية القديمة والآباء الشرقيون الذين تقلدنا منهم الايمان هل كان لهم في هذا الحال اعتقاد آخر ؟ فاحكم انت بذلك نفسك

ان اوريجانوس وهو رئيس المدرسة المسيحية الاسكندرية في النصف الاول من الجيل الثالث يشرح هكذا نص القديس متى (اذا كنت تعتقد

ان كل الكنيسة مبنية على بطرس وحده فماذا تقول بشأن يوحنا ابن الرعد وكل واحد من باقي الرسل ؟ هل نجرأ على ان تقول ان ابواب الجحيم لن تقوى على بطرس بالخصوص وانها كانت مزمعة ان تقوى على باقي الرسل ؟ أليس الحق ان الوعد توجه الى الجميع والى كل واحد ؟ : ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها : وهكذا هذا الوعد : على هذه الصخرة سابني بيعتي : وكذلك فهل السيد اعطى لبطرس وحده مفاتيح ملكوت السموات وواحد من الرسل السعداء لم يستلمها ؟ فاذاً هذا الوعد : ساعطيك مفاتيح ملكوت السموات : هو عمومي للآخر . كيف لا تكون المواعيد المتقدمة والمتأخرة المقولة بطريق الايهاب لبطرس عامة على التساوي لان هذا الوعد الظاهر يخص بطرس : كل ما تربطه على الارض الخ : والحال ان المخلص كما في انجيل يوحنا يعطي كل التلاميذ نفس السلطان بقوله لهم (أقبلوا الروح القدس ان الخطايا تصير مغفورة لمن تغفرونها له وممسكة لمن امسكتموها له) تفسير الانجيل لمتى مجلد ١٢ : ٢)

هذه افكار وهذه عبارات القديس اغسطينوس نفسها وهي ان الوعد بمفاتيح ملكوت السموات جعل الذي لبطرس يختص بكل المجمع الرسولي وحقاً ان ما وعد به بطرس اعطي ذاتياً لكل الرسل لما اشرك المخلص الجميع بسلطان غفران ومسك الخطايا بنعمة الروح القدس وانما الاختلاف الوحيد الموجود بين القديس اغسطينوس واوريجانوس هو ان الاول لم يرض كما تحققنا منه ان يكون بطرس صخرة اساس

الكنيسة وان يحول كل المواعيد المخلصية لواحد ومنها مفاتيح ملكوت السموات. واما الثاني فبالعكس. رضي بصراحة مع الوعد بمفاتيح الملكوت بوعدين آخرين . هذا بان يكون (بطرس) اساس الكنيسة وان يكون مستعصياً على ابواب الجحيم . وفي الوقت ذاته اعلن قطعياً بدليل مبني على سند قوي ان لا وعد من هذه المواعيد الثلاثة يلاحظ بطرس وحده بل انها مشتركة جميعها لكل الرسل

وما خلا ذلك أن القديس اغسطينوس ضمن مثل اوريجان مفاتيح ملكوت السموات بسلطان الحل والربط للخطايا السلطان الذي حرزه كل اسقف في الكنيسة وزاد كما رأينا أن بطرس حينئذ بهذا الوعد كان يشخص بجمع الاساقفة في المستقبل بقدر المجمع الرسولي نفسه . واوريجانوس ارتأى مثله بالاطلاق وتقدم في الكلام قائلا (بما ان الذين اشغلوا المنزلة الاسقفية استمدوا هذا السلطان مثل بطرس ولما استلموا من المخلص مفاتيح ملكوت السموات قالوا (ما هو مربوط بهم مربوط في السموات وما هو محلول بهم محلول في السموات) فينبغي أن ما يقولونه باعلانهم يكون حقاً لانهم بهذا المقدار لهم العمل الذي قيل عنه لبطرس :ارع خرافي : وبهذا المقدار لهم امتياز أساس الكنيسة الذي بنى عليه المسيح كنيسته . ولكن اذا كان (الاسقف) هو نفسه مربوطاً بهذه الحال بقيود الخطايا فان حله وربطه يكونان باطلين (تفسير متى جزء ١٢ : ١٤)

وبعبارة اخرى أن الاساقفة هم حقيقة نالوا من المخلص مثل بطرس

مفاتيح ملكوت السموات وسلطان الحل والربط لكنهم لم ينالوا ذاتياً من المخلص مثل بطرس الوعد بان ابواب الجحيم لن تقوى عليهم بحيث أنهم بممارستهم هذا السلطان يمكن ان)يبتعدوا من الايمان أو من الشريعة الالهية الذين يكون محل ربطهم وحلهم باطلاً وليس حسب سلطانهم)

أن القديس غريغوريوس النيصي أخا القديس باسيليوس . المتهذب في مدرسة الاسكندرية المسيحية وكان في النصف الاول من الجيل الرابع قال باختصار تابعاً رأي اوريجانوس (ببطرس أعطى يسوع المسيح للاساقفة مفاتيح ملكوت السموات . موعظة على التوبيخ) هذه الجملة تتضمن شيئين أحدهما أن مفاتيح الملكوت السموي التي يشاء لاهوتيوك أن يظهروا سلطان بطرس بها على الرسل هي من امتياز كل الاساقفة وأنها جاءتهم انعاماً من يسوع المسيح نفسه لا بواسطة بشر . والثاني أن هذه المفاتيح أعطيت في شخص بطرس بهذا القول (أنت بطرس) لانه كان مشخصاً المجمع الرسولي في الحال والاستقبال .

أن القديس بسيليوس الكبير الكاتب البليغ في نصف الجيل الرابع قال في نظاماته الرهبانية (قانون ٢٢ : ٥) أن يسوع المسيح رتب بطرس راعيا لكنيسته من بعده لما قال له : يا بطرس أتحبني اكثر من هؤلاء ؟ أرع خرافي : ويعطي نفس هذا السلطان لكل الرعاة ولكل العلماء الذين ينبغي أن يأتوا على التوالي) فأسقف قيصرية الكبير أراد أن يقول مع القديس اغسطينوس أن بطرس باستلامه وظيفة الرعاية

شخص كل المجمع الرسلي وكل مجمع الاساقفة خلفاء الرسل .

أن القديس افرام السرياني في كتابه عن وفاة القديس باسيليوس قال في رثائه المحزن الذي فعله عن هذا الآب الكبير (أن باسيليوس باشغاله منزلة بطرس وتقلده بسلاح حبريته وسلطته جاوب الملك فالنص) بالنسبة لعلامة الشرق القديس باسيليوس (كان يشغل منزلة بطرس) كما كان القديس امبروسيوس في نظر جودانس الذي من برسيا الذي قال عنه (أنه كان خليفة بطرس) فتكلم الاثنان هكذا لانهما كانا متفقين في أن الاساقفة حازوا كل سلطة بطرس وانهم استلموها في شخص هذا الرسول

ان يوحنا فم الذهب الذي كان في آخر الجيل الرابع لاحظ (في عظته الـ ٥٤ : ٥٥ على القديس متى) ان بطرس باقراره بلاهوت المسيح كان (فم المجمع الرسولي) وقال أيضاً (في عظته الـ ٨٨ على القديس يوحنا) ان سبب كون الرب ترك على جانب باقي الرسل وقال لبطرس وحده : أتحبني؟ ارع خرافي : هو ان بطرس كان فم باقي الرسل) بهذا يعلمنا علامة انطاكية والقسطنطينية الكبير ان بطرس في الحالتين كان يشخص المجمع الرسلي بما انه كان فمه وبالتالي ان كل السلطات الموعود بها والمعطاة لبطرس هي مشتركة له ولزملائه

اخيراً ان اولوجيوس الاسكندري الذي كان في نهاية الجيل السادس قال في مؤلفه ضد النوفاتيين كتاب ٢ (ان السلطان المعبر عنه بمفاتيح ملكوت السموات اعطي لباقي الرسل في شخص الزعيم) هذا مختصر ولكنه بادر

الى شرحه قائلا : ان ما وعد به وأعطي لزعيم المجمع الرسولي فليس له دون غيره بالخصوص بل بالاشتراك لكل الباقين .

أما هو حق ؛ ان الاقدمين والآباء العظام في الشرق والغرب اتفقوا عموماً في التعليم ان بطرس في كل ما وعد به او اعطي كان يشخص المجمع الرسولي وبالاخص ان ما وعد به في نص القديس متى وما اعطي في نص القديس يوحنا هو مشترك لجميع الرسل الذين هم معه ومثله أساس الكنيسة الغير المتزعزع الذين استلموا مثله ومعه مفاتيح ملكوت السموات والذين تقلدوا مثله ومعه وظيفة رعاية الخراف الربية ؛ أليس واضحاً هذا التعليم تعليم الاقدمين وآباء الكنيسة العظام انه فصل الخطاب العلني ضد التعليم النظري الذي يريد ان النصين الانجيليين (المذكورين) يعدان ويعطيان لا اموراً مشتركة لجميع الرسل لكن اموراً لا تخص سوى بطرس مثل السيادة على الكنيسة العمومية وعلى الرسل انفسهم ؛ فكيف اذاً سمح المجمع الفاتيكاني ان يدعي ان الكنيسة الكاثوليكية فهمت دائماً ان ذينك النصين الإنجيليين هما معنى علم اللاهوت في الاجيال . السالفة

— قال زميلي الروماني ان الشهادات الابوية التي استشهدت بها لا تنفي بل تفترض سلطة بطرس على الرسل لانها تقتصر على اثبات حقيقتين وهما الاولى ان كل السلطات الممنوحة للرسل الأخر أعطيت لهم في بطرس وبواسطة بطرس والثانية ان بطرس كان يمثل وحدة المجمع الرسولي . ومن ثم ان هاتين الحقيقتين تفترضان ان لبطرس

كانت السلطة العامة على باقي الرسل بحيث توضح انه كان له السلطان
المطلق وكان ينبوع (أي مصدر) كل سلطة رسولية . هكذا قال واضح
القديس اغسطينوس(ان بطرس كان يمثل وحدة المجمع الرسولي لانه كان
له التقدم على الرسل)

— بماذا تجاوبني ؟ (تقول) الشهادات الابوية التي استشهدت بها
تقتصر على اثبات كون السلطات الممنوحة للرسل الأخر أعطيت لهم
في بطرس وبواسطة بطرس : انها تثبت. هذا شيء آخر : انها تثبت
لا ان كل السلطات الممنوحة لباقي الرسل أعطيت لهم في بطرس أو بواسطة
بطرس بل ان كل السلطات التي وعد بها بطرس والمعطاة له في النصين
الانجيليين وعد بها نفسها وأعطيت هي ذاتها على الاطلاق لباقي الرسل
في شخصه .

على حسب (فهمك) هذا نسبت غلطاً لتلك الشهادات المنوه عنها
انفاً ان بطرس وحده جعل أساس الكنيسة ان بطرس وحده استلم مفاتيح
ملكوت السموات ان بطرس وحده حرز وظيفة رعاية خراف الرب
وبنتيجة شرعية كان له السلطان على الرسل وفيه كان فيض وينبوع سلطة
زملائه . لكن حسب ما تحويه تلك الشهادات الابوية بدون التباس هو
ان بطرس ما كان وحده صخرة أساسية للكنيسة بل كل الرسل كانوا
صخوراً مثله ومعه . وليس بطرس استلم وحده مفاتيح ملكوت السموات
بل كل الرسل الآخرين استلموها مثله ومعه . وليس بطرس وحده

حرز وظيفة رعاية خراف الرب بل كل باقي الرسل حرزوها مثله ومعه . تلك هي
التأكيدات التي لجميع الرسل تنفي بكل تأكيد من كلا النصين الانجيليين التفسير
الذي ضمنت به لبطرس السلطة على زملائه واضعاً الاشياء العمومية لكل الرسل
حيث تجعلها خاصة بواحد يعني لبطرس فانها في الوقت عينه تؤكد تماما غير متغير
ما عدا التعليم الذي سميت تشرح به قائلاً ان في بطرس السلطة المطلقة ومبين
السلطة الرسولية . مع ان السلطة المطلقة ومصدر السلطان الرسولي ليس هما في
بطرس الذي هو بشر بل بيسوع المسيح الانسان الاله الذي اشرك بهما كل رسله
لبطرس كما للآخرين

فليس اذاً بطرس الذي اعطى الرسل ارسالياتهم الرسولية بل رب الكل الذي
قال للجميع بعد قيامته كما ارسلني الآب ارسلكم انا ايضاً (يو ٢٠ : ٢١) فليس
من بطرس استلم الرسل ملء السلطان الكهنوتي بل من رب الكل الذي جعلهم
جميعاً احباراً للعهد الجديد بقوله لهم في بدء تقديس عناصر الافخارستيا (اصنعوا
هذا لذكري (١ كو ١١ : ٢٤) وبقوله لهم بعدئذ (اقبلوا الروح القدس من غفرتم
لهم خطاياهم تصير مغفورة ومن امسكتموها عليهم تصير ممسكة (يو ٢٠: ٢٢و٢٣)
واخيراً بفيض ملء الروح المعزي عليهم يوم الخمسين الذي كان وعدهم به مساء
موته ووقت صعوده الى السماء (اع ١ : ٤)

وليس من بطرس استلم الرسل تعليم الايمان بل من سيد الكل الذي كان مدة
حياته البشرية استاذهم الوحيد (مت ٢٣ : ٨ و ٩) وبعد صعود هذا الاستاذ الى
السماء كان الروح المعزي الذي أرسله لهم والذي يمكث معهم وفيهم الى الابد تماماً

لكي يلهمهم كل تعليم استاذهم الاوحد ولكي يعلمهم من قبله كل الحق (يو ١٤ :١٦ و١٧ و ٢٦ و١٥ : ١٣)

وليس من بطرس استلم الرسل سلطتهم القضائية في الكنيسة بل من رب الكل الذي قال لجميعهم (وأنا اجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر (يو ٢٢ : ٢٩ و ٣٠)

أخيراً ليس من بطرس تقلد الرسل وخلفاؤهم وظيفة الرعاية « ولاجل أن استخدم لذاتي أسلوبك » ولايتهم على الشعوب الذين علموهم تعليم السلام ووزعوا لهم الاسرار وحفظوهم تعاليم يسوع المسيح بل من السيد العام الذي قال للجميع (اذهبوا وعلموا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا كل ما أمرتكم به وهوذا أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠)

وأيضاً أكرر لك هذه المرة ألم تهم بشراً مقام يسوع المسيح الملك الالهي لمملكته المدعوة الكنيسة مقام من تعزي له وحده هذه المملكة المقدسة الذي منه وحده تشتق كل سلطة وزارية موجودة في مملكته

تدعي حالا أن الشهادات الابوية تفترض سلطة بطرس على الرسل بما قالته أن بطرس كان يمثل وحده المجمع الرسولي . فهذا أيضاً دليل وهم من جانبك لان هذه الشهادات تقول أن بطرس في نص متى وفي نص يوحنا كان يمثل وحدة المجمع الرسولي ولكي تدل بدقة وترسخ في الذهن أن النصين الانجيليين الذين أحدهما يعد بطرس أنه سيصبح أساس الكنيسة وأنه يستلم مفاتيح ملكوت السموات والثاني يمنحه وظيفة رعاية الخراف الربية يعدان ويمنحان أموراً عامة لكل أعضاء المجمع الرسولي لا أموراً خاصة لشخص بطرس وحده . هذا ماينفي من الاساس سلطة بطرس على الرسل

التي بنيتها بدقة على هذين النصين المقدسين ولا يدع لبطرس سوى التقدم البسيط في المجمع الرسولي أو الاولية بين اقرانه وبالسؤال أيضاً عن تلك الشهادات الابوية عن انها لم تقتصر على القول ان كل السلطات الموعود بها والممنوحة لبطرس كانت شاملة له ولجميع باقي الرسل بل زادت ان كل الرسل بلا نزاع كانوا كما كان بطرس وانهم نالوا نفس الشرف وعين القوة مثله

ان القديس اغسطينوس الذي تريد ان تعتمد عليه لم يفعل أكثر من أن يثبت رأينا ضدك لانه قال ان بطرس كان يمثل الوحدة الرسولية « بسبب الاولية التي له بين الرسل » لا على الرسل كما فعلت فيها في ترجمتك المغلوطة . كونه نال الاولية على الرسل وبالتالي السلطة والولاية عليهم. ان اغسطينوس كان أحرص من ان يقول ذلك . كونه حرز التقدم بين الرسل ذلك تقدم في الصف اذ كان أول عضو في المجمع الرسولي بين اقرانه . وهكذا يثبت له القديس اغسطينوس الذي كان يعرف كيف يزن جمله ويطبع تصوراته في عباراته

هذا العلامة العظيم اتخذ في الوقت ذاته الحذر ان يعلمنا بأي شكل تكونت الاولية التي لبطرس بين الرسل لا الاولية على الرسل اذ قال (بطرس الاول في ترتيب الرسل كان يجاوب وحده غالباً عن جميعهم) [١] وهذه الاولية (في ترتيب الرسل) أي أساس لها ؟ واليك هي . بين

---

(١) خطبة ٧٦ على يوم الاحد

التلاميذ الذين اصطفاهم (تعالى) حين كان حاضراً بالجسد واصطفى بطرس أولاً لم يكن بولس مختاراً لا بينهم ولا معهم ولكن من بعدهم بزمن طويل بدون ان يكون غير مساولهم أبداً . فكان من ثم بطرس الاول وبولس الاخير)[1]

أليس من الواضح ان القديس اغسطينوس جعل الاثني عشر اقراناً بحيث صار القديس بولس نفسه مساوياً لهم وانه يضع تقدم بطرس (في الترتيب الرسولي) فقط الذي نجم من كون بطرس اختير قبل اختيار الاحد عشر زملائه وبهذا السبب جعل بولس في الصف الاخير لانه اختير بعد الاثني عشر بزمن طويل ؛ فمن فضلك لا تماحك القديس اغسطينوس بدعواك عليه مع لاهوتييك الذين بحسب ما ورد في انجيل يوحنا (١ : ٤٠) من ان اندراوس هو الذي اختير رسولاً أولاً لا بطرس مع ان انجيل يوحنا لم يقل ان القديس اندراوس دعي حينئذ للرسولية ولكنه قال بالبساطة انه كان أحد الاثنين اللذين أمنا بيسوع المسيح بناء على شهادة يوحنا المعمدان وانهما تبعا حينئذ المخلص كصديقين بسيطين لا كرسولين (يو ١ : ٤٠) وانما دعوة الرسل كانت متأخرة جداً كما شهد انجيل القديس مرقس (٣ : ١٣ — ١٩) وانجيل القديس لوقا (٦ : ١٣ — ١٦) ففي وقت تركيب المجمع الرسولي الاثني عشري اختار السيد بطرس قبل كل الآخرين ووضع له اسم بطرس كما ينتج من رواية الاناجيل عن

(١) خطبة ٢٩٩ على الرسل

هذا الحادث المهم (مر ٣ : ١٦ لو ٦ : ١٤)

— انه يجب على الاقل ان تعترف بموجب الشهادات الابوية التي رويتها ان نصي القديس متى والقديس يوحنا يجعلان بطرس الاصل في وحدة المجمع الرسولي وهكذا يخضعان كل الرسل لسلطة بطرس العليا

— أوافق على الاقرار بما ليس موجوداً وبما هو منفي صريحاً في شهادات الآباء : في حين انك لم تقبل وحدة المجمع الرسولي الا بتأثير خضوع هذا المجمع لسلطة بطرس العليا. فلنفحص كيف ان الشهادات الابوية تثبت الوحدة التي تتكلم هي عنها وأين تضع بطرس في الجدول . وأول كل شيء ما هو خاص بالقديس اغسطينوس . انه لم يقل أبداً ان بطرس كان الاصل في وحدة المجمع الرسولي بل قال دائماً انه كان يمثل هذه الوحدة لكل الرسل. ذلك القول مخالف للكل في الكل لان جعله الاصل في وحدة المجمع الرسولي هو اختلاق واستنتاج ولكن التشخيص أو التمثيل هذا مقدّر وجوده (في تلك الشهادات) ولكنها لا تمثل مالا وجود له

ومن ثم فهل تعرف ياعزيزي باية كيفية يركب القديس اغسطينوس وحدة المجمع الرسولي التي يقدّر وجودها والتي جعل بطرس ممثلاً لها في نصوص الاناجيل ؟ بهذا بان كل الرسل ممثلون في بطرس (فهم) لما شهد بلاهوت يسوع المسيح وحده وبذات الشهادة قبلوا منه ذات السلطة الواحدة وأنا أورد لك هذه الاقوال باللاتيني وأنت تقدر ان تنقلها على مهل

(Cum omnes essent interrogati, solus Petrus respondit : Tu es Christus, et ei dicitur : Tibi dabo etc tanquam ligandi ac solvendi (الاقرار بلاهوت يسوع المسيح) solus acceperit potestatem : cum et illud (سلطان المفاتيح) cum omnibus, tanquam unus pro omnibus dixerit et hoc (وحدة الاقرار الصادرة والسلطان الموعود به) personam gerens unitatis, acceperit. Ideo unus pro omnibus quia unitas (وحدة الاقرار الصادرة والسلطان الموعود به) est in omnibus)(١)

هذه الاقوال الاخيرة تبين أن الوحدة التي يتكلم عنها القديس أغسطينوس هي الوحدة لكل الرسل في الامور التي أتى بتسميتها يعني وحدة الاعتراف بالايمان ووحدة السلطان المعبر عنه بمفاتيح ملكوت السموات ومن ثم أن هذه الوحدة في كل الرسل في الايمان المعترف به ونفس السلطان الموعود به اللذين تداخل بهما بطرس بوحدة شخصه بصفة ممثل لا بصفة أصل هي نفي خالص وبسيط لوحدة تجعل في المجمع الرسولي نتيجة خضوعه لتعليم وولاية بطرس. ذلك ما قاله القديس اغسطينوس

(١) المترجم . تعريب ذلك كما في صحيفة ٤٦ « بما انهم سئلوا جميعاً واجاب بطرس وحده : أنت هو المسيح : وقال له تعالى : ساعطيك مفاتيح ملكوت السموات : كأنه استلم وحده سلطان ربط الخطايا وحلها والحقيقة هي انه وحده اعترف باسم الجميع وانه استلم الوعد مع جميعهم بحيث انه كان ممثلا وحدة المجمع الرسلي هكذا بصورة الجميع لان الوحدة (وحدة الاقرار الصادرة والسلطان الموعود به) كانت في الجميع »

بالاطلاق عن معنى هذه الوحدة السيادية المعطاة لبطرس وباقي الرسل وهو « أن بطرس شخص مجموع ووحدانية الكنيسة (الحاكمة) لما قيل له : وأعطيك ما أعطي الجميع (ذات الشي : انظر وحدانية) رعاية الخراف (لكل الرسل ولخلفائهم : انظر المجموع) يعطي » وأيضاً « أن بطرس كان مشخصاً عموم الرعاة . . . وما اعطي (لبطرس) أعطي لكل الرسل ولكل خلفائهم : انظر التعميم) أعطي : أتحبني أرع خرافي) نفس وظيفة الرعاية المعطاة لبطرس : انتبه للفظة الكل)

وهل تظن أن القديس كبريانوس وافقك أكثر ؛ هذا الاب الذي حالما وضع مؤلفاً ضد الهراطقة والشاقين بخصوص وحدة الكنيسة لم يقل أبداً أن بطرس كان العلة الفعالة لهذه الوحدة بسيادته التي بها يجب أن يخضع له كل الرسل وكل الكنيسة بل نفى في بطرس هذه العلة الفعالة وهذه السيادة وقال دائماً أن يسوع المسيح لكي يشهر ويوضح وحدة الكنيسة ووحدة المجمع الرسولي الذي كان به جسم الكنيسة جعل بطرس العلة الابتدائية والكيان الاولي والتاريخي للكنيسة والمجمع الرسولي . واليك أقواله الخصوصية أنا اعرضها لذكراك (أن ايضاح الايمان ليس مطولاً ولا عسراً . أن السيد قال لبطرس : أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سابني كنيستي وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات الخ : واليه أعطى أيضاً خرافه ليرعاها . ولكن بعد قيامته عم لكل الرسل قوة متساوية للجميع . ذلك مايوضح به الوحدة لانه رتب بحسب سلطانه الالهي ان

منشأ هذه الوحدة هو واحد بصفة كونه البدء وباقي الرسل كانوا بلا نزاع كل ما كان بطرس أساس الكنيسة ومالك المفاتيح وذي وظيفة رعاية خراف الرب) فقد ملك (الرسل) نفس الشرف وذات السلطة مثله . ولكن البدء للوحدة ومن جهة الاولية فقد أعطيا سلفاً لبطرس ليظهر أن الكنيسة هي واحدة وان الجسد واحد والذي لا يتمسك بهذه الوحدة أيتمسك بالايمان ؟ والذي يحقر الكنيسة ويهجر جسم الصخرة التي عليها بنيت الكنيسة أيعلل ذاته أنه موجود في الكنيسة ؟) فالتفت الى هذا النص المشهور حيث ظننت أنك تجد فيه تعليمك الموجود فيه والحالة هذه القضاء المسجل . فعلى حسب رأيك أن بطرس هو العلة الفعالة لوحدة الكنيسة ومن جسمه نبغ المجمع الرسولي وذلك بوحدة سلطته . ولكن بحسب رأي كبريانوس بطرس هو أصل أولي كلي البساطة لهذه الوحدة لا بوحدة سلطته بل بأولية شخصه الذي كان البدء الكياني في الكنيسة وفي المجمع الرسولي

على حسب رأيك بطرس العلة الفعالة في الكنيسة بقدر ما استلم من السيادة بهذه الاقوال (أنت بطرس وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات وارع خرافي) وبقدر ما أن تقدمه هو تقدم قضائي يخضع كل المجمع الرسولي لسلطانه الاعلى ولكن كبريانوس القديس انكر قطعياً كل هذا باعلانه جهاراً أن الرب أعطى لباقي الرسل سلطاناً متساوياً بما تضمن في هذه الاقوال: أنت بطرس. سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. أرع خرافي :

وأضاف أن كل باقي الرسل كانوا بلا نزاع كل ما كان بطرس مالكين ذات الشرف وذات السلطان مثله والفت النظر باكثر عمق الى أن وحدة الكنيسة وطبيع يسوع المسيح لم تنتج من عمل كانت خاضعة به للرسل تحت طاعة سلطة بطرس كما يزعم لاهوتيوك بل (من هذا وهوانها كانت مسوسة من جميع الرسل الذين كانوا كلهم رعاة باتفاق تام فيما بينهم . وبلاشك ان القديس الشهيد قال في نصه (ان الاولية اعطيت لبطرس لكي يظهر تعالى ان الكنيسة واحدة وان الجسد واحد) لكن بالرغم عن كل الشروحات التي ترافق هذا التأييد والتي جئت الى وضعها أمام عينيك فانك مازلت تتصور ان هذه الاولية التي في خاطر كبريانوس هي اولية الولاية التي جعلت بطرس الاصل الاولي للمجمع الرسولي مثل الكنيسة. اناسقف قرطاجنة الكبير تكلف ان يفرغ الك قصارى جهده في تصوير افكاره بكل نقاء ممكن اذ قال « ان بطرس الذي اختاره الرب الاول لما دخل في جدل مع القديس بولس بخصوص الختان لم يدع بوقاحة ولم يزعم بتكبر انه مستول على الاولية (تكرار من كونه اختير الاول) فان من أتى أخيراً في الرسولية (بمعارضة الاولية وبهذه الكلمات لكونه اختير الاول) كان يلزم أن يخضع له [1]

فاذاً على حسب رأي كبريانوس القديس أن الاولية لبطرس وجدت بهذا وهو كونه اختير الاول وأنه كان البدء الكوني للمجمع الرسولي

(١) رسالة ٧١ بوم الحسين

وأوليته لم تتداخل فى كون الذي جاء متأخراً فى الرسولية مثل بولس كان يلزم ان يخضع له) وان بطرس لم كان له ان يدعي بذلك بقحة)

وانا نستنتج من ذلك كله بخصوص القديس كبريانوس ورأيه ان بطرس لم يكن الاصل العمال فى وحدة الكنيسة والمجمع الرسولي بسيادة بل كان السبب الاولي أو البدء الكوني لهذه الوحدة لوحدة شخصه الذاتية المفردة . انه كان سبب وحدة الكنيسة كما كان آدم أصل وحدة الجنس البشري وكما كان ابرهيم سبب وحدة الشعب الاسرائيلي لكن بذات بطرس لم يقدر ان يخلف من هو بحسب صفاته لاصل وحدة الكنيسة كما ان آدم لم يمكن ان يخلف أحداً بصفته ليكون اصل وحدة الجنس البشري وكما ان ابرهيم لم يمكن ان يخلف احداً بصفته ليكون سبب وحدة شعب اسرائيل

وهل ترى ان تجد أقل تعليمك بأقوال القديس ايرونيموس هذه (Inter duodecim unus eligitur ut. capite coustituo schimatis tollatur occasio) (١)

(انك تروم ذلك باطلا . هذه الكلمات بذاتها لا تعبر الا عن شيء واحد وهو ان يسوع المسيح رام ان الاثني عشر لا يكون بينهم وحدات منعزلة ومتفرقة بل ان يكونوا جسداً واحداً ومجمعاً واحداً رسولياً . وكما ان كل جسم مجمعي يتطلب رئيساً فالسيد ذاته أعطى بطرس ليكون رئيس

(١) ان يكون الاثنا عشر واحداً وان لا يكون بينهم وحدات منعزلة ومتفرقة)

المجمع الرسولي لكي لا يكون نزاع بين الرسل على الاولية كما حدث بينهم مراراً عديدة في الاناجيل لكن ما هي طبيعة هذا الرئيس وأي دور كان يلعبه في وحدة الجسد ؟ فهل كان له تأثير سلطة على باقي الاعضاء كما تزعمون فهل دوره ان يكون له التقدم في جسم زملائه وأقرانه . ان الاقوال البادية الذكر لم تقل ذلك ولكن ايرونيموس في ميدان مؤلفه يعلمنا بدون التباس ان بطرس لم يكن في المجمع الرسولي الا رئيس اقران له والامور التي تحفظ بها لبطرس وحده وتثبت بها سلطته على الرسل هي في نظر القديس ايرونيموس مشاعة لكل أعضاء المجمع الرسولي فان بطرس في نظره ليس وحده الصخرة الاساسية للكنيسة بل كل الرسل الأخر كانوا تلك الصخرة معه وفي تلك الرتبة معه . بالنسبة له ان بطرس ما استلم وحده مفاتيح ملكوت السموات بل كل الرسل استلموها معه . في نظره ان بطرس لم يعتز عن باقي الرسل بأي سلطان كان بل فقط بصفة رياسة المجمع الرسولي التي ما جعلته السيد والمعلم للرسل بل أول الصف الرسولي وفهم .

القسم الثالث

فحص نص القديس لوقا (٢٠ : ٣١ و ٣٢)

ذلك ما حصل ان لا تعتمد يا عزيزي على النصين الانجيليين اللذين

للقديس متى وللقديس يوحنا كقاعدة لاعتقادك بسيادة بطرس على باقي الرسل . وباق لنا ان نختبر نص القديس لوقا (٢٠ : ٣١ و ٣٢) ان الرب قال (سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلب ان يغربلكم مثل الحنطة وأنا صليت من أجلك لكيلا يفنى ايمانك وأنت متى رجعت ثبت اخوتك)

أنظر بأي شيء يحتج لاهوتيوك المتأخرون قائلين :أن الشيطان رام ان يغربل كل الرسل مثل القمح لكن الرب ترك باقي الرسل وصلى لاجل بطرس وحده كيلا ينقص ايمانه وأعطى وظيفة التعليم المعصوم لبطرس وحده وله وضع وظيفة تثبيت اخوته باقي التلاميذ الذين وجب ان يعملوا بموجب تعليمه (هرباً)من خطر الوقوع في الضلال

أنا لا أقدر ان أكتفي بالعجب من ذهول هؤلاء الاناس الذين يغمضون الطرف عما هو واضح في الاناجيل حتى يتشبثوا ببعض كلمات غامضة لا تبلغ الى المعنى ولا المفهومية . في نص القديس لوقا هذا ان علماء كنيستك الاعلام ما أقل اتفاقهم على تعبيره كما تقدر ان تراه في بوسويه [1] ما أحذقهم في الاختراع بقولهم ان الرب أهمل باقي الرسل تاركاً أياهم هدفاً لهجمات الشيطان لكي يمد بطرس وحده بالتعليم المعصوم من الغلط ويعطيه وظيفة تثبيت اخوته في تعليم الايمان . ولكنهم

(١) دفاع اكليروس فرنسا المشهور طبعة فيفيز وجه ٥٤٨ و ٥٧٠ و ٥٧٥

لم يروا ما يفلق العين في انجيل القديس يوحنا حيث تجد في أربعة اصحاحات مطولة خطاب السيد عن البارقليط وصلاته الرسمية عن كل الرسل . الخطاب والصلاة اللذان كان لهما محل بعد انشاء الافخارستيا سر وحدة البيعة العظيم . ففي ذلك الوقت حيث تناول القديس لوقا من السيد الاقوال الموجهة الى بطرس كان ذلك الخطاب وتلك الصلاة التي بها كان الوعد رسمياً بالتعليم المعصوم من الغلط ولكن بجمل أكثر وضوحاً لكل المجمع الرسولي لكل الرسل لا لبطرس وحده

لانه تعالى بالحقيقة لم يقل لبطرس وحده بخطابه عن البارقليط بل لكل الرسل وهو (وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الابد . . . لانه يمكث معكم ويكون فيكم (يو ١٤ : ١٦ و ١٧) بهذا كلمتكم وانا عندكم واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (١٤ : ٢٥ و ٢٦) ومتى جاء المعزي الذي سأرسله انا اليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون انتم ايضاً لانكم معي من الابتداء (١٥ : ٢٦ و ٢٧)

لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي ولكن ان ذهبت ارسله اليكم . . ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق (١٦ : ٧ و ١٣)

فانظر كيف يتكلم السيد في الوقت ذاته الذي حسب فهم لاهو تييك من معنى نص القديس لوقا انه تعالى اهمل باقي الرسل ولم يفتكر الا بطرس وحده في صلاته واعداً اياه وحده بالتعليم المعصوم من الغلط ومعطياً اياه وحده وظيفة تثبيت باقي الرسل في حقيقة الايمان . فقد اعلن الرب بنغمة علنية ورسمية انه كان يصلي الى ابيه من اجل كل رسله وان اباه مزمع في زمن آت ان يرسل للجميع البارقليط الروح القدس روح الحق لكي يمكث معهم وفيهم دائماً . وان هذا الروح الذي سيرسله الاب لهم بناء على صلاته تعالى وباسمه سيعلمهم جميعاً (لا بطرس وحده) كل شيء . يذكرهم (لا بطرس) بكل التعليم الذي لقنه لهم مدة حياته البشرية ويعلمهم (لا بطرس) كل الحق .

ان السيد لم يمكنه ان يعبر بأكثر ايضاح ان يعد جميع الرسل بالعصمة من الزلل في تعليم قواعد شريعته وان الذي يكون سبب ومصدر هذه العصمة الذي وعدهم به رسمياً هو روح الحق ذاته لا تثبيت بطرس

هل هذا كل ماهنالك ؟ لا . أنه بعد خطابه الطويل على المعزي رفع السيد ناظريه الى السماء وقال بصلاة سامية موجهة الى أبيه من أجل كل الرسل (من أجلهم أنا أسأل . لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك وكل ماهو لي فهو لك وماهو لك فهو لي وأنا ممجد فيهم . ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي اليك . أيها الاب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن . حين كنت

معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب . أما الآن فاني آتي اليك وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم . أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لانهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم . لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير . ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم . قدسهم في حقك كلامك هو حق . كما أرسلتني الى العالم أرسلتهم أنا الى العالم . ولاجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق .

ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الاب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك ارسلتني . وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين الى واحد . وليعلم العالم أنك أرسلتني واحببتهم كما أحببتني أيها الاب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لانك أحببتني قبل انشاء العالم (يو١٧: ٩١ـ٢٤)

فانظر كيف يصلي السيد في الوقت ذاته حيث حسب رأي لاهو تييك ترك باقي الرسل ليصلي لمصلحة بطرس وحده . أنه صلى الى أبيه لاجل كل رسله الذين برز وعده لهم رسمياً بقرب ارسال الروح الحق والقدس لهم . صلى اليه تعالى بان يجعل كل رسله محفوظين باسمه محفوظين من الشر مقدسين بالحق بهذا الروح القدس والحق الذي وعدهم به . صلى ليكونوا

جميعاً واحداً برباط الروح عينه كما هو والآب واحد برباط الروح ذاته . صلى اليه تعالى ليحقق الوعد الذي قرره لهم وان يمنحهم تمام مجد بشريته الذي هو الروح الحق والقدس لكي يكونوا بهذا الروح واحداً معه وواحداً فيه مع الآب ومكملين في وحدانية ومجتمعين اخيراً الى مجده السموي

هذه الصلاة العجيبة التي وعدبها المخلص رسله بالروح الحق والقدس حول طلب وحدتهم الى هذا الروح ذاته الذي هو ختم وحدانية الآب والابن . ولكن لاهوتييك بالرغم عن كل صراحتها (الصلاة) لم يلتفتوا اليها . ولم يفهموها بالرغم عن كل وضوحها . فان لهم عيني نسناس يرمقون بهما فائدة الصلاة هذه لبطرس وحده (سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلب ان يغربلكم مثل الحنطة ولكني صليت من اجلك لكيلا ينقص ايمانك وأنت متى رجعت ثبت اخوتك) وقد اكتشفت بصيرتهم من هذه الصلاة البرهان الذي لا يقبل نقضاً وهو ان يسوع المسيح وعد بعصمة التعليم من الغواية لبطرس وحده الذي كلفه بها ان يثبت باقي الرسل في تعليم الايمان مع ان القديس بطرس ذاته سمع هذه الاقوال الموجهة اليه بعكس سماع لاهوتييك اياها وكان ابعد من ان يجد ان المخلص ميزه بها عن باقي الرسل حتى يحله فوقاً منهم وان يتكلم بعصمة تعليم خصوصية له وانما فهم العكس فهم انه يضعه قليلاً تحت زملائه بانكاره وشكه في ايمانه يضعه وحده بالاحرى دون كل الآخرين وان ايمانه المعرض للارتياب هو لتعلقه بشخص المخلص ولا شيء آخر

وفي الحقيقة ان بطرس بدل ما كونه يشكر انعام سيده عليه باية صفة احتج بكل شدة وقال (يارب اني مستعد ان امضي معك حتى الى السجن والى الموت . فقال (تعالى) اقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل ان تنكر ثلاث مرات انك تعرفني (لو ٢٢: ٣٣ و ٣٤) وبطرس باحتجاجه بهذا النوع ما كان يعقل بالاكثر هذه الاقوال (سمعان سمعان الخ) فان المعنى ذاته متحصل من الاناجيل الثلاثة تحت صورة واحدة وجلي تجمل في كل منها معنى نص القديس لوقا نيراً

فانجيل يوحنا يستنتج منه هكذا المحاورة ذاتها التي جرت بين السيد وبطرس وهي (اجابه يسوع حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني ولكنك ستتبعني اخيراً . قال له بطرس ياسيد لماذا لا اقدر ان اتبعك الآن اني اضع نفسي عنك اجابه يسوع أتضع نفسك عني الحق الحق اقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات (يو ١٣ : ٣٦ — ٣٨) فهذا تحصيل مبين بعبارة اخرى للمحاورة التي في انجيل لوقا لا لان القصد هو ذاته فقط وهو انكار بطرس المثلث التابع لمحاورته بل ايضاً وعلى الخصوص لان لهجة القديس بطرس هي ذاتها مطلقاً بكون كلامه الذي قبل اوانه جرى في الانجيلين كجواب على توبيخ المخلص

فهكذا هو كلام بطرس حسب رواية القديس لوقا (انا مستعد ان امضي معك والى السجن والى الموت) متخيلا ان هذا جوابه المتتابع على توبيخه تعالى له (سمعان سمعان الخ) وعلى حسب رواية القديس يوحنا

ان كلام بطرس هذا يبين الرأي ذاته وهو (لماذا لا اقدر ان اتبعك الآن انا ابذل حياتي عنك) فهو تبيان مستقيم لتوبيخ المعلم الالهي الذي قال فيه (حيث اذهب لاتقدر الآن ان تتبعني ولكنك ستتبعني اخيراً) ومن ثم يلزم ان يكون هذا الكلام (سمعان سمعان ؛ الذي في انجيل لوقا في درجة ومساو لكلام الانجيل في يوحنا الذي هو (حيث اذهب انا لا تستطيع ان تتبعني ولكنك ستتبعني اخيراً) فحينئذ يكون كلام المخلص الوارد في انجيل يوحنا كما انه لا يدل على اقل وعد فيه الفائدة لبطرس بالتعليم المنزه عن الخطل والزلل او بتكليفه بأن يثبت اخوته في قواعد تعليم الايمان ولكن سقوط ومحاولة هذا الرسول تضمنهما ببساطة كلام المخلص الوارد في انجيل لوقا وهما الحاصلان بعبارة اخرى بنفس الرأي

اما الانجيليان الآخران اللذان هما متى ومرقس فانهما يتفقان بجعل المحاورة التي هي محل البحث هكذا يسوع قال لرسله (وليس لبطرس وحده) (كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة .. ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل فأجاب بطرس وقال له وان شك فيك الجميع فأنا لا اشك ابداً ؛ قال له يسوع الحق الحق اقول لك انك في هذه الليلة قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس ولو اضطررت ان أموت معك لا انكرك (مت ٢٦ : ٣١ — ٣٢ مر ١٤ : ٢٧ — ٣١)

فينتج من هذه المقابلة للاربعة اناجيل ان هجوم الشيطان ضد الرسل

الذي تكلم عنه نص القديس لوقا لا يتعلق بسوى الشك الذي قاسوه تلك الليلة في شخص معلمهم وان سقوط ومحاولة بطرس المذكورتين في ذات النص هما انكار هذا الرسول المثلث ودفع هذا الانكار صار بالاعتراف العلني الذي بلاهوت السيد الذي كان مزمعاً ان يفعله بعدئذ وكان بهذا الكلام (وأنا صليت من أجلك لكيلا يفنى ايمانك وأنت متى رجعت ثبت اخوتك)

فالكل أنبأ ان بطرس وحده هو الذي كان مزمعاً ان ينكر معلمه ثلاث مرات هذه الليلة ليلة الآلام واخبروا حينئذ ان الفضل عائد على صلاة المخلص التي لم تجعل لهذا الانكار المثلث ان يستولي على ايمان هذا الرسول يعني على علاقته بالمخلص لكن بالعكس جعلته بعدئذ ان يتحمل وان يكون مستعداً ان يتبع بالتمام معلمه بلا أقل خوف وبلا أية مهابة بشرية . وفي الاخر أضاف اليه بعد محاولته تثبيت اخوته المرتابين بالنظر لخيانته . ولكن بأية وسيلة يجب ان يثبتهم ؟ هل بالتعليم ؟ لا بل بالتصرف المعارض لما قام به ليلة الآلام وهو عدم مقدرته على اتباع معلمه في سبيل آلامه كما قال ذلك واضحاً القديس يوحنا بل أنكره خوفاً واحتشاماً من البشر . ولكن بعد ذلك اعترف به وتبعه الى السجن كما روى سفر أعمال الرسل (٤ : ٣ — ٧ و ١٨ و ١٢ : ٣ — ٥) والى الموت ذاته كما شهد انجيل القديس يوحنا (٢١ : ١٨ و ٩)

ذلك هو طبيعة تثبيت بطرس الذي كان واجباً ان يقوم به من نحو

اخوته تبعاً لانباء وأمر المخلص وذلك هو المعنى البارز طبيعياً بالقرينة من القديس لوقا بالمرور والمقابلة مع الاناجيل الثلاثة الأخرى التي فيها نتيجته .

ومن كل ذلك لا يمكن ان يكون الكلام عن موضوع العصمة في التعليم لا بالنسبة لبطرس ولا لباقي الرسل وانما كله لموضوع شيء آخر . وهكذا يكون المسيح يسوع بعد العشاء السري ماصلى لاجل بطرس لكيلا يضل في تعليم الايمان ولم يكلفه ان يحمل عبء تثبيت باقي الرسل في هذا التعليم كما يتشوق لاهونيوك وانما صلى من أجل بطرس الذي كان مزمعاً ان يتكره ثلاث مرات في تلك الليلة عينها حتى بالرغم عن هذا الانكار العلني ذي العقاب الهائل فان ايمانه من الداخل بيسوع المسيح أو بالاولى اتصاله الحق بشخص المخلص لم يفن ذاك واليه أعلن أمره بأن يرتق الشك الذي أوجبه لاخوته بكفره بتثبيتهم بقدوته المضادة التي يكوّنها بذهابه تاماً الى السجن والى الموت في جانب اعترافه بلاهوت معلمه .

أما بالنظر الى العصمة من الخطإ في التعليم فقد وعد بها في الوقت عينه ذاك الى كل المجمع الرسولي لبطرس وباقي الرسل لما قال لهم علناً يسوع المسيح بعد العشاء السري انه سوف لا يتأخر عن ارسال روح الحق لهم الذي يمكثه أبداً معهم وفيهم يذكرهم بكل تعليمه ويعلمهم كل الحق

وقد رأينا سلفاً ان الاقوال الالهية التي تعد المجمع الرسولي بالعصمة من الزلل في التعليم عينت في الوقت ان الاصل في هذه العصمة لا يكون

بتعليم وتثبيت بطرس الذي هو بشر بل بعملية مباشرة ودائمة من الروح القدس الذي هو روح الحق

فاذاً لا يوجد أي أثر للدعوى بسلطة بطرس على باقي الرسل في الاربع بشائر التي تعلمنا من كل الوجوه ان الاثني عشر كانوا اقراناً ورسلاً وسفراء لرب واحد وملك واحد الذي هو يسوع المسيح . التي تعلمنا ان الاثني عشر تقلدوا من ربهم العام الرسالة ذاتها والسلطة والعصمة ذاتها بنوع ان تقدم بطرس في المجمع الرسولي لكونه كان الاول في النظام الكوني جعله الاول بين أقرانه لا تقدمه في الولاية التي تجعل سيادته عليهم والمعلم لهم محل سيدهم يسوع المسيح . فهل لك بعض ملحوظات تبديها على ما جئت لك بالقول ؟

— اني أمسك الآن عن كل ملحوظة موقتاً متتبعاً اياك. واني صاغ اليك بانتباه زائد جداً جداً

الفصل الثاني

اعمال الرسل

حدثتنا الاناجيل ان الكنيسة مملكة يسوع المسيح هذا الذى هو ابن دواد الذى مسح ملكاً على صهيون الجبل المقدس ليملك الى الابد على بيت يعقوب والذى ربح بدمه حقوق الملك على جميع الامم . وحدثتنا أيضاً ان يسوع المسيح لم يسند ملكه هذا الى بطرس ولا الى شخص ما . وانما ركب فقط مجمعاً من كل وزراء مملكته . حدثتنا أيضاً ان هؤلاء الاثنى عشر عضواً المدعوين فى الوقت نفسه رسلاً تقلدوا منه ذات الارسالية وذات السيادة وان مجمعهم كان المقدم فيه شخص بطرس . فقد رأينا اذاً ما هو تعليم الاربع بشائر بشأن علاقة بطرس مع الكنيسة التي هي مملكة يسوع المسيح وعلاقته مع الرسل الذين هم اخدانه

وفى الحال الحاضرة لنستشر عن الموضوع نفسه سفر أعمال الرسل السفر الذي روى لنا فيه الروح القدس عن أساس وأصول الكنيسة اتماماً لكلام المخلص هذا وهو (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي . . . أرع خرافي . . . ثبت اخوتك) لنرى فيه ما هو دور بطرس بالنسبة لتأسيس الكنيسة من الاول ثم فى أعمال المجمع الرسولي

وولاية الكنيسة وعماذا يقوم بالتأكيد هذا الدور بالنسبة للواحد والآخر وبأي حال يلزمنا ان نفهم معنى كلام المخلص وما هو المعنى الذي لا يحويه

﴿ دور بطرس في تأسيس الكنيسة ﴾

أولاً — ماذا كان دور بطرس في تأسيس الكنيسة وهل هو بالتمام مرسوم بحسب تاريخ هذا التأسيس الذي سطره الروح القدس ؟

(١) كفى ان نقرأ سفر الاعمال بانتباه قليل لنلحظ فيه حالاً شيئين . أحدهما هو أن هذا السفر المقدس روى في كل مكان من أوله عن تأسيس الكنيسة في الارض المقدسة أو بلاد اسرائيل التي يسوع المسيح ملكها بولادته . وهذا التأسيس هو عمل المجمع الرسولي الاثني عشري وفي الاصل بطرس مقدمه . ثم عن تأسيس الكنيسة بواسطة بولس وزملائه في بلاد الامم . الثاني هو أن المؤلف الملهم يعرض بكل اعتناء وحساب في اظهار كون أصل كل الكنيسة وقاعدتها الاساسية هما وطن اسرائيل لان هذا البلد هو بلد الملك المسيح الطبيعي وان شعب اسرائيل كان له الحق في أولية مملكة يسوع المسيح هذه بفضل المواعيد الالهية لآبائه وانه بعد ذلك بعد انشاء مملكة المسيح يسوع في بلد الختان امتدت الكنيسة الى بلاد الامم التي كانت مسندة أيضاً الى ملك ابن داود طبيعياً . هذا النظام الكياني والتاريخي الذي بين قاعدتي تركيب الكنيسة المسيحية جعلها

الكاتب الملهم قضية صحيحة بروايته عن أصول هذه الكنيسة وتلك هي الحقيقة وهي

(أولاً) أمر المخلص الصريح وهو صاعد الى السماء . فانه أمر الرسل هكذا بالنظام اللازم أن يتبعوه في بشرى وكرازة انجيل الملكوت بقوله (ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى أقصى الارض (اع ١ : ٤٧) يعني بالارض بلاد الامم وقد ورد في انجيل لوقا هذا الكلام (لو ٢٤ : ٤٧) بشكل يجعل الامر الذي أصدره المخلص مؤكداً أكثر وهو (تكرزون باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الامم مبتدءاً من أورشليم) مدينة داود الملكية عاصمة مملكة اليهود

(ثانياً) أن أمر المخلص ذاته الصادر الى الرسل كان يحتم عليهم أن يتربصوا بعد صعوده في أورشليم هذه نفسها بالتي يلزم أن يدشنوا نظام الكنيسة وينتظروا حلول الروح القدس الذي وعدهم به . هذا هو الروح الذي كان مزمعاً أن يمنحهم تقليد القوة الالهية . لكن هذا التقليد الذي سيضع الختم الاخير على ارساليتهم التي استلموها من المسيح يسوع ويسبب لهم فاعليتها لم يعط لهم الا في مدينة أورشليم (اع ١ : ٤٦ الخ لو ٢٤ : ٤٨)

ثالثاً قبل حلول الروح القدس الذي يستلزم لاعطاء تقليد القوة الالهية لرسل المسيح يسوع أن جمع الاثنى عشر رسولاً تم بانتخاب متياس وهذا الانتخاب جرى في أورشليم في قاعة العشاء السري نفسها المكان الذي

حل فيه الروح القدس على الرسل آنئذ (اع ١ : ١٢ ـ ٢٠)

رابعاً أن الروح القدس الذي كان لازماً للمجمع الرسولي الذي هو روح أو أصل حياة الجسم ذاك . نزل يوم الخمسين على كل الرسل المجتمعين في ذاك المكان باورشليم . وللحال كل اليهود والدخلاء في الشريعة اليهودية الآتين الى أورشليم من كل البلاد ليحتفلوا باعياد الشريعة في مدينة صهيون مركز العبادة الالهية سمعوا جميع الرسل وقد تقلدوا بقوة روح الحق يذيعون عظائم الله بكل الالسنة (اع ٢:١ ــ ١٢) وكان ذلك في أورشليم حيث دخل المسيح يسوع باحتفال النصر بصفة كونه ملك اسرائيل قبل آلامه بخمسة أيام وحيث أراق دمه وعنوانه ملك اليهود كتب فوق صليبه وحيث قبره يتدفق منه النور دائماً باضواء قيامته المجيدة . فالروح القدس حل على رسل المسيح يسوع ليجعلهم أن يصيروا أساس الكنيسة الذي لا يتزعزع

خامساً أن القديس بطرس في هذا اليوم العظيم للبنديكوستي (عيد العنصرة) فاه حالاً بعد حلول الروح القدس بخطاب نفيس دشن به باسم مجمع الاثنى عشر رسولاً تأسيس كنيسة المسيح يسوع في هذه المدينة التي هي أورشليم التي هي معاً عاصمة مملكة داود ومدينة عبادة يهوه المقدسة ثم أن بطرس بخطابه الموجه (الى جميع بيت اسرائيل) (اع ٢ : ٣٦) المجتمعين حينئذ في أورشليم لاجل الاحتفال بالعيد والآتين لا من كل أقاليم اليهودية فقط بل أيضاً من جميع بلاد الامم اخبرهم به أن يسوع الذي

يبشرهم بقيامته هو وكل زملائه (اع ٢ : ٣٢) (هو ابن داود الذي كان يجب أن يجلس على كرسي الابوة (اع ٢ : ٣٠) . وفي الحال دعا (كل بيت اسرائيل) أن يتوبوا وأن يقبلوا باسم المسيح يسوع المعمودية التي تعطي مغفرة الخطايا لانه قال لهم (توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . لان الموعد هو لكم ولاولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب الهنا (اع ٢ : ٣٨ و ٣٩) يعنى وللدخلاء فى الشريعة اليهودية المجتمعين الى شعب الله في العبادة المقدسة .

سادساً أن خطاب القديس بطرس الموجه فى مدينة أورشليم الى (كل بيت اسرائيل لم يذهب (عقيماً) صرخة فى واد لان الذين قبلوا كلامه بفرح اعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم الى أورشليم نحو ثلاثة آلاف نفس وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات وصار خوف فى كل نفس وكانت عجائب وآيات تجري على أيدى الرسل فى مدينة أورشليم (اع ٢ : ٤١ — ٤٣) فانظر اذاً أن كنيسة المسيح يسوع قد تأسست باحتفال حافل تأسست بجمع الاثنى عشر رسولا من بادىء بدء الذين لبسوا قوة الروح القدس تأسست فى الاصل ببطرس رأس هذا المجمع ولكنها تأسست فى أورشليم قصبة ولاية كل بيت اسرائيل . لان بيت اسرائيل كان له الحق بهذه الاولية فى مملكة المسيح يسوع . هذا الحق الذى لاينسخ بمرور الزمن الذى لشعب الله هو أيضاً ثابت باكثر

ايضاح فى خطاب القديس بطرس الثاني الذى القاه على اليهود فى أورشليم عقيب شفاء الاعرج حيث قال لهم (أنتم أبناء الانبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلا لابرهيم . وبنسلك تتبارك جميع قبائل الارض . اليكم اولاً اذ اقام الله فتاه يسوع أرسله يباركـكم برد كل واحد منكم عن شروره (اع ٣ : ٢٥ و ٢٦)

(سابعاً) ان سفر الاعمال بعد أن شرح طويلا انشاء كنيسة اورشليم مخبراً بالتفصيل وبمراعاة اكيدة النجاح الدائم والنمو بقدر ما هو في العدد بقدر ذلك في الاتقان . وعمل نمو هذه الكنيسة كان متداخلا به بلا ريب كل الاثنى عشر رسولا . ولكن بطرس في الاول دائماً ورئيسهم الذي تنفيذاً لقول معلمه (وأنت متى رجعت ثبت اخوتك) كان يذيع بشرى قيامة المخلص بالرغم عن السياط والسجن قائلا مع اخوانه لعظماء الكهنة والشيوخ وولاة اسرائيل (أنه ينبغي أن نطيع الله اكثر من الناس (اع ٣ : ٧)

(ثامناً) لغاية ما في الاصحاح السابع من هذا السفر الملهم ان الحديث فيه قاصر على الكنيسة في اورشليم التي كانت الضرورة ماسة أن تكون قاعدة للكنيسة العمومية حسب أمر المخلص الباث وهو صاعد الى السماء وحسب مقتضيات المملكة المسيحية التي عاصمتها مدينة داود الملكية والمدينة المقدسة ليهوه . لكن على أثر الاضطهاد الذي فشا في اورشليم ضد المؤمنين والذي كانت حادثة الشهيد القديس اسطفانوس اشارة له قطعت

الـكنيسة حدود المدينة المقدسة وانتشرت في كل اليهودية وفي السامرة لا بكرازة الرسل « الذين استمروا جميعاً في اورشليم » كما يلاحظ ذلك بنوع خاص التاريخ المقدس (اع ٨ : ١) لـكن بكرازة تلاميذ آخرين الذين تشتتوا حينئذ وبنوع خصوصي بكرازة الشماس فيلبس أذ بطرس ويوحنا لم ينطلقا الى السامرة بانتداب المجمع الرسولي الا ليمنحا السامريين المهتدين الروح القدس الذي لم يقدر الشماس فيلبس أن يمنحه ولم يكن ذلك الا من قبيل الفرصة ليبشر هذان الرسولان بالـكلمة هذا الاقليم اثناء مسافة رجوعهما الى اورشليم . وحادثة امتداد الـكنيسة في كل اليهودية وفي السامرة شغلت الاصحاح الثامن كله من سفر الاعمال

(تاسعاً) واخيراً يخبرنا التاريخ الموحى به ان انتشار الـكنيسة حدث في ظرف اهتداء شاول الذى وضع حداً لاضطهاد التلاميذ حيث قال (واما الـكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فـكان لها سلام وكانت تبنى وتسير في خوف الرب. وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر (اع ٩ : ٣١) فنى هذه الـكنيسة المرسومة هكذا يعنى من الارض المقدسة قال في المدد التالي وحدث ان بطرس وهو يجتاز بالجميع نزل ايضاً الى القديسين الساكنين في لدة (اع ٩ : ٣٢)

(٢) والآن بما ان الـكنيسة حسب امر المخلص المحتم انشئت فى متسع كل بلاد الختان او مملـكة داود . اولاً فى اورشليم عاصمتها وذلك بكرازة الاثنى عشر رسولاً مباشرة واولا بكرازة بطرس مقدامهم ثم في

كل اليهودية والسامرة بكرازة التلاميذ الأخر الذين تشتتوا بعد موت القديس اسطفانوس فقد آن الاوان لتتقدم (الى اقصاء الارض) يعني لـكي تنشأ فى بلاد الامم فـكيف صار نشؤها فهل ينسب التاريخ المقدس حصة منه لبطرس ؟

(اولا) ان الرب يسوع هدى بولس المضطهد لا فى اورشليم او بلد أخرى من بلاد الختان بل فى دمشق مدينة من بلاد الامم لا بواسطة بطرس او الرسل او اى بشر كان لـكن بواسطته مباشرة وبوحيه الالهي مخبراً اياه لاى قصد قد اختاره بقوله : اذهب فاني سارسلك الى الامم بعيداً (اع ٢٢ : ٢١) وهذا الغرض اعلنه بهذه الجمل لحانتيا فى دمشق التى كان مزمعاً ان يمنحه المعمودية بقوله لان هذا لي اناء مختار ليحمل اسمي امام امم وملوك وبنى اسرائيل : المتفرقين فى وسط الامم : (اع ٩ : ١٥)

(ثانياً) ان القديس بولس يخبرنا نفسه انه بعد دعوته للرسولية شرع فى انجاز وكالته فى البلاد الوثنية فى دمشق والعربة (غل ١ : ١٥ و ١٦) وكان ذلك قبل اهتداء كرنيليوس بثلاث سنين على الاقل الذى جرى فى قيصرية بواسطة بطرس على الارض من بلاد الختان لانه ما كان مجيء بولس الى اورشليم الا فى منتهى الثلاث سنين من خدمته الرسولية فى دمشق وبلاد العربة (غل ١ : ١٨) وسفر الاعمال اخبرنا ان مجيء بولس هذا الى اورشليم المذكور في الاصحاح التاسع (٢٠ — ٢٧) هو سابق لهداية كرنيليوس المروي في الاصحاح التالي (اع ١٠ : ١ — ٤٨)

(ثالثاً) أما بالنظر الى هداية كرنيليوس نفسه فيحتمل بحال قاط
أن نلخص منه ثلاث حالات أصلية . انه ليس سوى حادثة خصوص
ومنفردة . أن هذا الاهتداء جرى بلاشك بواسطة بطرس وانما جرى ع
أرض بلاد الختان ذاتها . أنه جرى بواسطة بطرس ولكن هذا شرع
بناء على أمر خصوصي من المخلص الذي كان خصصه أن يتصرف وحده م
أهل الختان في الارض المقدسة وذلك (الحادث) ذاته يفترض ان بطرس
كان راسماً خطة لارساليته الرسولية لشعب واحد هو ذوو الختان وا
أمر المخلص الخصوصي كان لغرض وهو أن يفهمه ان غير ذوي الختان
القاطنين في الارض المقدسة يجب بوسوم الشريعة أن يكونوا شعباً
واحداً مع شعب اسرائيل . هذا الامر لم يقصر بطرس عن شرحه بعد
رجوعه الى يهود كنيسة اورشليم (اع ١٠ و ١١ : ١ — ١٨)

(رابعاً) بعد حكاية هداية كرنيليوس وأسرته النادرة التي جرت فى
قيسرية التي على حدود فلسطين وطن شعب الختان افتتح سفر الاعمال
حكاية انشاء الكنيسة في البلاد الاممية . ومن ثم في هذا الدور الثاني من
انشاء الكنيسة الذي بسطه وشغل ثمانية عشر اصحاحاً بجملتها
(اع ١١ — ٢٨) يدخل فيه دائماً بولس بصفته رسول الامم وفي ذات
المرة بطرس بصفته رسول الختان . كذا . أن سفر الاعمال لم يعط بطرس
أي نصيب في انشاء كنيسة انطاكية عاصمة سوريا (حينئذ) عاصمة
الاقليم الواسع الذي دعي بعدئذ (ولاية الشرق) لان هداية هذه المدينة

ابتدأت ببعض الذين تشتتوا بسبب موت القديس اسطفانوس الذ
لكون بعضهم من أهل الختان لم يبشروا سوى اليهود وحدهم . ولكون
البعض الآخر من قبرص ومن القيروان كانوا يبشرون الامم ذاتهم وتتبعها
(الكرازة) القديس برنابا الذى كانت الكنيسة باورشليم ارسلته لهذا الغرض
واخيراً اتمها وثبتها القديس بولس لان القديس برنابا اسرع لاحضاره من
طرسس اذ كان حينئذ فيها لانه عرفه ان المسيح يسوع نصبه رسولاً للامم
ذلك ماجرى وهو أن يزداد في انطاكيا بواسطة كرازة القديس
بولس [1] عدد المؤمنين بنوع عجيب بحالة أن التلاميذ هناك تلقبوا لاول
مرة باسم المسيحيين (اع ١١ : ١٩ — ٣٠)
شرح ماتقدم أن سفر الاعمال لم يعط لبطرس أقل نصيب في تأسيس

---

(١) قال البابا لاون الاول في رسالته الى انوطوليوس القسطنطيني (البطريرك) أن الكنيسة الانطاكية حيث عرف الامم للمسيحي بكرازة الرسول بطرس الخ : هذا الزعم هو مناقضة جنائية لرواية سفر الاعمال لان سفر الاعمال لم يخبرنا عن ظهور بطرس ويوحنا في السامرة الا بعد هداية هذا البلد بواسطة الشماس فيلبس وهكذا رسالة غلاطيا (٢ : ١١) لم تعرفنا عن وجود بطرس في انطاكيا الا بعد ثمان سنوات من هدايتها بواسطة بولس . وكذلك رسالة بطرس الاولى لم تشهد عن حضوره الى رومة الا بعد زمن طويل من هداية هذه المدينة وبالمثل سفر الرؤيا الذي لم يرنا القديس يوحنا في اسيا الا بعد تأسيس كنائسها بواسطة بولس الرسول وبعد موت رسول الامم

الكنائس في سوريا وكيليكيا وكنائس جزيرة قبرص وكنائس فريجيا وغلاطيا وكنائس فيلبايس ومقدونيا وكنائس اثيناس واليونان وكنائس كورنثس واخائية وكنائس افسس واسيا وبكلمة واحدة كل كنائس البلاد الوثنية التي رواية تأسيسها جرت بعد تأسيس كنيسة انطاكيا (اع ١٣ — ٢٧) ولكن كل هذه الكنائس يعود الفضل في انشائها الى بولس وبرنابا الى هذين اللذين قلدهما الروح القدس ارسالية تأسيسها لان الكاتب الموحي اليه بعد أن روى تأسيس كنيسة انطاكيا في (اع١٢) من تاريخه ورام أن يدون الاصول الرسلية لكنائس الامم صدر روايته بهذه المقدمة (وكان في انطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر (الاسود) ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الايادي ثم أطلقوهما · فهذان اذ ارسلا من الروح القدس انحدرا الى سلوكية ومن هناك سافرا في البحر الى قبرص الخ (اع ١٣ : ١ — ٤)

ويمثل ذلك أن هذا السفر المقدس لم يعط بطرس أية حصة في قرعة تأسيس كنيسة رومة . فان مجيء الجمعية المسيحية الصغيرة أمام القديس بولس مذ دخوله الاول فى عاصمة الامم (اع ٢٨ : ١٥) يلزم أن يسبق وجودها على كرازة رسول فى هذه المدينة

وحقيقة ذلك ان سفر الاعمال الذي غرضه من جهة ان يقص أصر الكنائس الرسولية المذكورة به (بيولس) لم يسمعنا صوت رسول آخر قبل صوت رسول الامم (اع ١٨ : ١٦ — ٣١) ومن أخرى انه علق ظاهراً كرازة الرسول بولس في مدينة القيصر على الارسالية الرسمية التي تلقاها من الروح القدس لكي يؤسس كنائس الامم وذلك بعد ان وصف آخر أعمال رسول الامم في مقدونيا وأخائية . جعله ان يقول (باق لي ان أشاهد رومة (اع ١٩ : ٢١)[1]

(١) خارج عن ذلك ان سفر الاعمال قد بتواريخ وضعت لحقيقة الحية فان قصة خيالية جعلت ذهاب بطرس الى رومة في السنة الثانية للامبراطور كلوديوس بقصد ان يؤسس الكنيسة الرومانية ويجلس فيها أسقفاً الى آخر حياته . مع انه (أي سفر الاعمال) يخبرنا انه في السنة الاولى لكلوديوس كان رئيس المجمع الرسولي يطوف كل كنائس اليهودية ليثبت الاخوة وانه في آخر هذه الزيارة الرسولية هدى كرنيليوس قائد المائة بناء على أمر الرب ثم يرينا اياه معتقلاً في سجن هيرودس في اورشليم في اثناء السنة الثالثة لكلوديوس ومدة اسبوع الفطير الذي يوافق الايام الاولى من فصل الربيع وقبل موت هيرودس (اع ١٢ : ١ — ٢٣) الذي جاء الى قيصرية في الصيف وافتتح ملعب الاولمبيادة الـ ٢٠٦ الذي ابتدأ به في السنة الرابعة لكلوديوس كما يشهد بذلك يوسيفوس (في التاريخ القديم اليهودي كتاب : ١٩) ولذا ما قصرت ان ألاحظ على كل ما يوجب السخرية بأن أضيف الى مسافة سنة ونصف تقريباً كل سلسلة الاعمال التي تطلب دقة الزمن المعتبر

فانظر اذاً جريان مجموع سفر الاعمال بهذا التاريخ الملهم الذي روى الى حكاية قواعد الكنيسة المسيحية الرسولية المختصة بطرس بانضمامه الى

مثل أعمال سفر القديس بطرس من أورشليم الى رومة ا بولس الرسول استغرق في هذا السفر ستة شهور كاملة) وكرازة الرسول في هذه المدينه وتأسيس الكنيسة الرومانية ونظامها الذي يسوّغله بأن يصبح اسقفّفيها. ثم رجوعه (الغير الواضح بالحري) من رومة الى أورشليم واقامته الكافية في المدينة المقدسة التي تعطي الفرصة لهيرودس ان يشاهد رؤيته وان يصدر الامر بايداعه السجن . واني لفي سرور ان أقول ان سفر الاعمال ينفي بتاتاً رأي من يقاطع بالكلام أياً كان بالنسبة لاعمال اسقفية بطرس في بلاد الختان منذ صعود المخلص الى السنة الخامسة من ملك كاوديوس . هذه النتيجة واضحة من الخطاب الذي فاه به القديس بولس في انطاكية بيسيديا اثناء تطوافه الرسولي الاول وحسب رواية التاريخ المقدس هذه الرياضة (الروحية) للقديس بولس لم يشرع بها الا بعد موت هيرودس وفي النصف الاخير من السنة الرابعة لكاوديوس (اع ١٣ و ١٤ : ١—٣) ولم يأت رسول الامم الى انطاكية بيسيديا الا بعد ان كان في كيليكيا وملأ بكرازته كل جزيرة قبرص (اع ١٣ : ٤ — ١٤ ومن ثم قال بولس في خطابه ليهود انطاكية بيسيديا (ان الرسل الذين صعدوا مع يسوع الذي قام من الاموات من الجليل الى اورشليم هم شهود عند الشعب الى الوقت الحاضر (اع ١٣ : ٣١) كلام يدل واضحاً ان بطرس لم يترك اليهودية ولا واحد من الاثني عشر منذ صعودهم من الجليل الى اورشليم مع يسوع المقام من الاموات وانهم لهذا التاريخ ما زالوا يؤدون لشعب هذا البلد شهادة قيامة معلمهم الالهية

وما أوضح القصة التي دونها الكاتب الملهم عما حدث في مجمع أورشليم الذي

المجمع الرسولي الاثني عشري وتأسيس كنيسة أورشليم وجدها التي هي عاصمة مملكة داود ويسوع المسيح ابنه ثم تعلق كل كنائس العالم الوثني

انعقد كما يعلم بعد اهتداء القديس بولس باربع عشرة سنة (غل ٢ : ١) و بالتالي في السنة العاشرة لكلوديوس بسبب النزاع بين مسيحي أهل الختان ومسيحي الامم التي ظهر بها أن بطرس لغاية هذا التاريخ لم يأت الى رومة ولأن رومة لم تحسب أيضاً بين كنائس الامم . وفي الواقع فان بطرس ذاته الذي القى خطاباً في وسط المجمع ذكر فيه بفخر اهتداء كرنيليوس واسرته الذي كان بعمله منذ جملة سنين والذي حكاه في حينه للاخوة في اورشليم (اع ١٥ : ٧ — ٩) لم يقل في هذا الخطاب انه كرز بالانجيل في رومة عاصمة العالم الوثني . ثم ان قرار المجمع المعنون الى كل كنائس الامم خصها كلها بدون استثناء واحدة منها واظهر بنصه انه الى هذا الزمن كل كنائس الامم مرسومة مع كنيسة سوريا وكنيسة كيليكيا واما رومة فلم يكن لها حساب معها (اع ١٥ : ٢٧ -- ٤١)

أخيراً ان القديس بولس أخبرنا برسالته الى أهل غلاطيا ان بطرس منذ ذيوع مجمع اورشليم لم يطرق أبواب رومة و بالاخص بشأن الاسقفية وانما فعل معه العكس في هذا الوقت فعل معه (يمين الشركة) التي بموجبها يكون بطرس وزميلاه يعقوب و يوحنا في خدمة رسولية أهل الختان في حين ان بولس و برنابا تتضمن خدمتهما الرسولية في وسط الامم . وسنبين هذا اليمين المشترك وهو أن (يسوع المسيح ذاته جعل بطرس رسول الختان و بولس رسول الامم (غل ٢ : ٧ — ٩)

فوجود هـذا التخصيص الالهي لخدمة بطرس الرسولية من نحو أهل الختان

بعمل رسولية بولس . هذا العمل التاريخي الذي يحدد بتأكيد نصيب بطرس وبولس بالنسبة لتأسيس الكنيسة المسيحية كما رأينا سلفاً بخصص

والعهد الذي بته رئيس الاثني عشر في مجمع اورشليم المنعقد كما أسلفنا في السنة العاشرة من ملك كاوديوس ليقوم بأمانة بعمله الرسولي في وسط أهل الختان تاركاً لبولس خدمته الرسولية من نحو الامم ندع عدم امكان تصديق الحكاية كشيء يمس بالايدي وهي التي تجعل بطرس يترك خدمته الرسولية لاهل الختان في السنة الثانية لكاوديوس لكي يصبح من ثم أسقف رومة الى النهاية بعني رسول وراع خصوصي لعاصمة الامم

وجود هذا التخصيص الالهي لخدمة بطرس الرسولية من نحو أهل الختان والعهد المأخوذ على هذا الرسول في السنة العاشرة من ملك كلوديوس بأن يمكث في بلاد الختان ليقوم باعباء خدمته الرسولية الشخصية التي تقلدها من المسيح يسوع لاتدع (تسمح) للتقدير والظن مكاناً ان ينطلق الى رومة بشأن الخدمة الرسولية في غضون السنة الرابعة لكلوديوس وفوق ذلك ان سفر الاعمال يخبرنا (ان كل اليهود في هذا الوقت طردوا من رومة بأمر ملكي (اع ١٨ : ٢) وان التاريخ يعرفنا أنهم لم يستطيعوا ان يضعوا فيها أقدامهم الا في عهد ملك نيرون خليفة كلوديوس مباشرة . فهل يمكننا ان نفترض ذهاب بطرس اليها في ابان السنين الاولى لنيرون وقبل القديس بولس الذي نوه التاريخ الموحى به عن كرازته في عاصمة القياصرة التي استغرقت سنتين أي مدة أسره ؟

هذا التقدير غير مسلم به أمام سكوت سفر الاعمال هذا السكوت ليس هو توهماً سبطاً للعكس (عكس ونفي التقدير) بل يعد برهاناً مفحماً للقياس الذي يري في

هذا الحق الالهي بما معناه فان المسيح يسوع ذاته جعل بطرس رسول الختان وبولس رسول الغرلة (غل ٢ : ٧ — ٩) فالخلاصة التي تتلخص

القديس بطرس انه المؤسس الحقيقي لكنيسة رومة والذي يجعل بطرس الرئيس والمعلم العام للكنيسة بزعمانه جاء رومة لكي يقبض فيها على زمام الاسقفية وان يضع نهائياً اريكة سيادته العليا للكنيسة . هذا القياس بهذه الصورة يصير الحادث المختص بأصول الكنيسة العامة في عظم من الاهمية وذا تهمة باطلة تتعلق بكيان وحدة المسيحية الرسولية . فسكوت السفر الموحى به عن هذا الحادث اذاً لا يفسر الا بحالة من حالتين . أما ان هذا الحادث غير موجود أو ان كان موجوداً فلاأهمية له في تاريخ قواعد الكنيسة ولا وسط فيهما . ومما لاريب فيه ان رسالة القديس بطرس الاولى كتبت من رومة وأشارت تحت رمز الى بابل ولكن مفسري الرومان أنفسهم بعد ان استمروا زمناً طويلاً يزعمون ان هذه الرسالة كتبت في السنة الثانية لكلوديوس اضطروا اليوم ان يوافقوا على انها لم تكن تكتب الا قبل زمن قليل من موت هذا الرسول وفي آخر ملك نيرون . فكل ما يمكننا ان نستنتج من ذلك هو أن بطرس الرسول ما ذهب الى رومة الا بعد زمن طويل من خدمة بولس الرسولية في هذه المدينة . الخدمة الرسولية التي روى لنا عنها سفر أعمال الرسل . وفي الحقيقة ان السندات الحقة التاريخية عن المسيحية القديمة تعلمنا ان بطرس لم ينطلق الى رومة الا في آخر حياته كما قال اوريجانوس (أنظر أوسابيوس ك ٣ ف ٣ : ١) وانه لم يذهب اليها الا برفقة بولس الرسول بعد ما مر معه بكورنثوس كما يؤكد ذلك القديس ديونسيوس الكورنثي في رسالته الى الرومانيين (انظر نصه في أوسابيوس ك ٣ ف ٢٥) وانه اقتاد بولس رسول الامم اليها لداعي محاربة سيمون الساحر

من نظام المخلص وأمره الصحيح الذي قصه سفر الاعمال هو ان نصيب بطرس الذي يستحقه بالنسبة لتأسيس الكنيسة المسيحية لا يلاحظ

كما يشهد ايجيزيبوس في تاريخه المختص بخراب اورشليم (ك ٢ ف ٢)

فمن هم المؤرخون القدماء الذين يجعلون سفر بطرس الى رومة في السنة الثانية من ملك كلوديوس ؟ لا أحد . الا أوسابيوس المتأخر عن ايجيزيبوس وديوناسيوس الكورنثي واوريجانوس لانه من رجال الجيل الرابع والذي نقل عنه حرفياً القديس ايرونيموس معتقداً بصحة واعتبار ما نقل مع ان رواية اوسابيوس ليست عكس الحقائق الرسمية الواردة في سفر الاعمال فقط كما أوضحنا سلفاً لكن في نفس الامر ليس لها قيمة تاريخية وهي تتضمن ان بطرس انطلق الى رومة ليحارب سيمون الساحر الذي حضر اليها قبله ليطغي الرومانيين بشعوذاته وان هذه الحادثة جرت في السنة الثانية لكلوديوس ولكن من أي مصدر استقى أوسابيوس تفاصيل روايته هذه المتعلقة بالحادثة التي رواها ؟

ومما هو جدير بالثقة والتنبيه لنا ان قاعدة هذه الرواية التاريخية هي فقرة من القديس يوستينوس الذي قال فيها . في بدء ملك كلوديوس جاء سيمون الساحر الى رومة وتعلق بخزعبلاته عدد عظيم من التلاميذ الذين اعتقدوا به عموماً كأنه الله وان عاصمة المملكة أقامت له على شاطىء نهر التيبر بين قنطرتين هناك تمثالاً تاريخه السنة الثانية لملك كلوديوس قيصر مكتوباً عليه (simoni deo sancto)

اي سمعان الاله القدوس . لاحظ ان القديس يوستينوس لم يضف ان بطرس وافى الى رومة في هذا الوقت وأنما استنتج اوسابيوس ذلك من رواية المضبوط الشهيد لانه كان راسخاً في ذهن هذا المؤرخ ان هاتين الحادثتين متلاحقتين معاً

صفة عمومية وان ذلك ليس معنى ما يجب ان نسمعه من كلام المخلص له (انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي) كأن بطرس دعي لتأسيس الكنيسة العمومية . فان بطرس ومجتمع الرسل الاثني عشر الذي كان (بطرس)

ومن ثم ينبغي ان نلاحظ هنا امرين احدهما ان رواية القديس يوستينوس ذاتها هي في الواقع شعوذة ذهب القديس الفيلسوف ضحيتها ولكنه اعتني بان يشير لنا الى مصدرها الوحيد بقول انه (رأى على شاطىء نهر التيبر بين قنطرتين تمثالاً منقوشاً عليه كتابة تاريخها السنة الثانية لكلوديوس) وظن ان هذا التمثال اقيم للاله سيمون الساحر السامري في حين ان هذا التمثال (اكتشف منذ قرنين) شيد باسم (semoni sancto deo fidio)

الاله (ساميين) اله العقود والاتفاقات .

فالاساس الذي وضع عليه اوسابيوس روايته هو منقوض من الاصل . والامر الثاني هو ان جميع المؤرخين القدماء الذين تكلموا بخصوص قتال سيمون الساحر وبطرس الرسول جعلوا هذا الحادث لا في بدء ملك كاوديوس بل في نهاية ملك نيرون وفي وقت ما كان القديس بطرس والقديس بولس في رومة معاً وذلك مثل ايجيزيبوس (كما مر) والقديس فيلاستروس (كتاب الهرطقات ف ٣) وسلبيس ساويرس (تاريخه ك ٢) والقديس اغسطينوس (مر) والقديس مكسيموس (خطبة على الرسولين بطرس و بولس) واناستاسيوس صاحب مكتبة الكنيسة الرومانية الخ الخ . ومنذ بارونيوس كل المؤرخين الرومانيين اتبعوا عموماً ذلك الرأي (المخالف) المبني على رواية اوسابيوس الوهمية بكل اجزائها .

بمثله ليس هم أسسن الكنيسة العمومية الا بقدر تأسيسهم لكنيسة
عاصمة أهل الختان المدينة التي ملكها هو يسوع المسيح بميلاده وبهذا
العنوان : الوطن الاول المدعو الى الايمان: بفضل المواعيد الالهية الممنوحة
للبطاركة . البلد الاول الذي كرز فيه بالانجيل بفضل وصية الرب الرسمية
والقطر الاول الذي تقلد بالتمام قواعد المملكة السموية كما روى وسجل
سفر الاعمال : بنوع أن بلد الختان هي جملة الاصل التاريخي والطبيعي
لكنيسة المسيح يسوع وعليها تطعمت كل بلاد الامم التي خضعت بعدها
وبواسطتها لمملكة مسيا . وهكذا فالكنيسة العمومية تحمل اسم عاصمة
بلاد الختان ومملكة داود وسفر الرؤيا يدعوها المدينة المقدسة وأورشليم
الجديدة ولها لمعان الله . لها سور عظيم وعال واثنا عشر باباً وعلى الابواب
اثنا عشر ملاكا وأسماء مكتوبة هي أسماء اسباط بني اسرائيل الاثني عشر .
وسور المدينة له أثناء عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر
(رؤ ٢١ : ٢ و ٣ و ١٠ و ١٤)

فسفر الرؤيا لم يعط كنيسة رومة اسم الكنيسة العامة كما تفعل مع
لاهوتييك لان هذا السفر دون بعد زمن طويل من تأسيس الكنيسة
الرومانية وبعد ثلاثين من موت القديس بطرس في رومة فالاولية الحقيقية
لبطرس هي بمقارنة أولية بلد الختان الذي كان رسولاً فيه بتعيين المسيح
يسوع نفسه وبطرس لم يكن على وجه الحق صخرة أساس الكنيسة
العمومية الا بكونه رسولاً وأول كيان الكنيسة الاولى والاساسي

للجميع ولكن يوضح أن أولية بطرس هي مرتبطة ذاتياً ببلد الختان الذي
هو بالنسبة للكنيسة البلد الاول بالحق كما بالعمل ولا يمكننا أن نفصلها
من أورشليم قصبة مملكة داود وننقل عرشها الى بلاد الامم الا اذا قلبنا
طبيعة مملكة مسيا التي من شأنها أن يخضع كل الامم لبلد اسرائيل لا بان
يخضع بلد اسرائيل لكل الامم

(القسم الثاني)

(نصيب بطرس في أعمال المجمع الرسولي وولاية الكنيسة)

ذلك كان نصيب بطرس في انشاء الكنيسة المسيحية . والآن فما هو
يا ترى نصيبه وتصرفه في الولاية على الكنيسة هكذا بازاء باقي الرسل
زملائه والقديس بولس رسول الامم أن سفر الاعمال الرسولية ورسائل
القديس بولس هي كافلة أن تقدم لنا كفاية هذا الغرض بافادة واسعة

(أولا) في انتخاب متياس للدرجة الرسولية التي هي أعلى وظيفة
في الكنيسة لم يقل بطرس للرسل وانما قال باسم الرسل — قال للمجتمع
المؤمنين أنه من الضروري أن نقيم ليهوذا الذي مات خليفة في المرتبة
الرسولية وعين الشروط المطلوبة في شخص المنتخب ولكن لم يدع
في خطابه أنه وحده مستحق الحكم على كل الكنيسة وبهذا اللقب يكون
انتخاب الرعاة هو من حقوق أوليته الشخصية بل بالعكس أعلن أن

هذه المصلحة تلاحظ مجتمع الاخوة الذين حفظ سفر الاعمال عددهم مئة وعشرين فجعل متياس رسولاً بتعيين واختيار كل المجتمع الحاضر لا بتعيين بطرس أو بتعيين المجتمع الرسولي وحده (اع ١ : ١٣ — ٢٦)

(ثانياً) وواضح أنه لما شرع في انتخاب السبعة شمامسة — الشمامسية التي هي السفلى في وظائف الكنيسة فلم يدع بطرس أبداً بحق مافي هذا الانتخاب ولم يمزج انتخاب الاشخاص الكنيسيين مع ترتيبهم في وظيفتهم التي تكون بوضع أيدي الاسقفية. بل أن الاثني عشر دعوا جمهور التلاميذ وقالوا (لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد فانتخبوا أيها الاخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوءين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة. فحسن هذا القول امام كل الجمهور فاختاروا استفانوس وفيلبس وبروخورس ونيكانور وتيمون وبرميناس ونيقولاوس ... الذين اقاموهم امام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الايادي (اع ٦ : ٢ — ٦)

(ثالثاً) لما انطلق بطرس ويوحنا الى السامرة ليضما ايديهما ويشركا بالروح القدس السامريين الذين اهتدوا بكرازة فيلبس اخبر سفر الاعمال انهما لم يذهبا اليهامن تلقاء نفسيهما بل ارسلهما المجمع الرسولي الذي باورشليم (اع ٨ : ١٤) ذلك يفترض واضحاً ان ولاية الكنيسة العليا كانت حينئذ بايدي الهيئة الرسولية لا بيد بطرس وحده وان الهيئة الرسولية كان لها السلطان على بطرس كما على باقي الاعضاء فيما يلاحظ حكم الكنيسة الاعلى

(رابعاً) على حسب ما ورد في سفر الاعمال أن بطرس أجرى ز
راعوية للكنائس التي في بلاد الختان (اع ٩ : ٣٢) فاذاً بطرس كان الراعي والرسول للختان ولكن لما وافى إلى انطاكية الى الكنيسة التي اسسها القديس بولس عرّض بتصرفه مصلحة قطيع الامم للخطر فقاومه بولس مواجهة وسدد اليه سهام التحذيرات القاسية أمام كل المحفل لان الروح القدس مؤلف المكتوبات الموحى بها يخبرنا ذاته أن تصرف بطرس حينئذ كان يستحق اللوم حقيقة لانه لم يسر مستقيماً بحسب حق الانجيل وان بولس لم يصنع من ثم الا واجبه في دفاعه عن القطيع الذي ضم الى امانته (غل ٢ : ١١ — ١٤)

(خامساً) لما استمر الخلاف بين بولس رسول الامم ومسيحي الختان بسبب هذه المسألة وهي ان الامم المهتدين هل يجب عليهم أن يحفظوا ناموس موسى أو يعفوا منه ؟ فسنتهم الضرورة أن يرفعوا فحص الخلاف هذا الى أمام محفل الكنيسة الاعلى وما خطر على بال أحد من طرفي المتخاصمين أن يبادر الى سلطة بطرس الشخصية كأنه القاضي الاعلى في مسائل الايمان بل أن القديس بولس والقديس برنابا اللذين كانا يدافعان عن حرية الامم ومسيحي الختان مقاوميهما قرروا معاً بأن يوافوا الى اورشليم ليطرحوا حل الخلاف الى قضاء مجمع الكنيسة الكلي المركب من كل الرسل وباقي الرعاة (اع ١٥ : ١ — ٢٠)

(سادساً) في مجمع اورشليم الذي انعقد لهذا الامر كان بين طرفي المخاصمين جدل عظيم ولكن لما جاء دور المداولة . تكلم بطرس الاول بلا نزاع بصفة كونه اول عضو في المجمع الرسولي قائلا : أنه لا يجب أن تخضع المسيحيين من الامم لنير الشريعة : ومن كونه تكلم الاول لا ينتج أن كلامه تسلط على مداولات الجلسة الرسولية وأن الرسل لم يفعلوا سوى كونهم يوقعون على هذا الكلام بدون ادنى زيادة ولا نقصان. وفي الواقع فانه بعد ورغم كلامه بدأت المداولات القضائية تأخذ دورها بنظام تام بحيث أن القديس يعقوب بخطابه الذي فاه به حينئذ لم يقل لمجتمع الرسل ان واجب المجلس أن يتبع في كل شيء حكم بطرس الاعلى بل قال أن بطرس وضع صورة حكمه الشخصي . وأنه هو في دوره يحكم بانه لا يجب ان يقلق الامم المهتدين باخضاعهم للناموس الموسوي . وبما أن القديس يعقوب كان ابعد من أن يقر بكل بساطة على حكم بطرس اضاف على هذا الحكم أهمية كان يجب ان تتبع في كل مجمع وتدخل في كل قرار مجمعي وهي ان يصدر الامر الى الامم المهتدين بأن يمتنعوا عن لحوم ذبائح الاوثان وعن الزنا وعن الحيوانات المخنوقة وعن الدم (اع ١٥ : ١٩ و ٢٠ و ٢٩)

ثم ان مضمون الجلسة الذي تلخص حالا من هذه المداولة اظهر واضحاً ان السلطة العليا التي فضت الخلاف ما كانت سلطة بطرس الشخصية بل كانت رسمياً سلطة مجمع الكنيسة يعني السلطة المشتركة بين الرسل وباقي الرعاة المجتمعين أو المكونين جسماً واحداً الذي لا يفترق

منه الروح القدس . لان الذي صيّر هذا المجمع ليس بطرس وحده بل الرسل والرعاة هم الذين كوّنوا مجلساً واحداً مرتشداً بالروح القدس (اع ١٥ : ٢٣ — ٢٩)

ثم أن كيفية اعلام قرار المجمع الرسمي نفسها تبين جيداً ما هي مادة هذا القرار وممن صدور . وفي الحقيقة انه ليس بطرس الذي هيأ هذا الاعلام وأنهاه بهذه الكيفية بل (رأى الرسل والرعاة مع كل الكنيسة ان يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا يهوذا الملقب برنابا وسيلا رجلين متقدمين في الاخوة (اع ١٥ : ٢٢) فهؤلاء هم الاربعة الاشخاص المختارون والمنتخبون من كل المجمع الرسولي ومن كل الكنيسة باورشليم الذين اعلنوا قرار المجمع لكنيسة انطاكية التي كانت حينئذ عاصمة كنائس الامم (اع ١٥ : ٣٠ — ٣٣)

(سابعاً) أن وضع بولس بصفة رسول للامم وضعاً صار حالاً بواسطة المسيح يسوع ذاته وبدون ادنى تداخل سلطة لبطرس يري أن الاولية التي في فكر المخلص ذاته التي خولها لبطرس في مجمع الاثني عشر ليست مرادفة لسلطان ومصدر كل وظيفة رسولية ولا تطلب ان كل سلطة رسولية تصدر من (غير) بطرس تكون تحت خطر عدم اعتبارها شرعية وملغاة (اع ٩ : ١٥) . هذا الامر نفسه ينتج من كون بولس رسول الامم تقلد الرسامة الاسقفية في انطاكية من أيدي الانبياء والمعلمين الذين كانوا يمارسون فيها خدمة الاسرار المقدسة وذلك بدون سيادة

وسلطان بطرس (اع ١٣ : ١ — ٣) هذا الامر ذاته ينتج من أن القديس بولس استلم الارسالية بتأسيس كنائس الامم من الروح القدس مباشرة بدون ادنى اعلام سلطة أو وكالة سيادة بطرس (اع ١٣ : ٢ — ٤)

(ثامناً) أن الاستقلال الذي مارسه القديس بولس بموجب خدمته الرسولية التي اعترف بها واضحاً في محرراته يثبت أن رسول الامم كان ابعد من أن يقر ان يسوع المسيح رتب ان يكون لشخص بطرس سلطة تامة وعليا وان كل سلطة رسولية بالقياس اليها هي سلطة جزئية وأن كل سلطة في الكنيسة خاضعة ذاتياً لها

كل معترف أنه (أي بولس) بحسب تاريخ الزمن كان آخر الرسل وأن الاثني عشر متقدمون عليه في الرسلية ولكنه تقلد أن يفعل في الكنائس باملاء الروح القدس الاعلانات التالية .

(انا رسول لا من الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح والله الاب الذي اقامه من الاموات . . الانجيل الذي بشرت به انه ليس بحسب انسان لاني لم اقبله ولا علمته من عند انسان بل قبلته وعلمته باعلان يسوع المسيح (غل ١ : ١ و ١١) قال القديس ايرونيموس في تفسير هذا النص ان بولس يقصد بهذه الكلمات بطرس وباقي الرسل بمعنى ان سلطة أي واحد منهم ليست ناموساً في كرازة الانجيل بالنظر اليه (تفسير غلاطية ك ١ : ٥ و ١١ : ١٢)

(ومذ دعيت بيسوع المسيح الى الرسولية باشرت العمل بلا تأخير .

وبدون ان ارى الرسل الذين قبلي الذين كانوا باورشليم بشرت بالانجيل في العربة وفي دمشق (غل ١ : ١٦ و ١٧) — ذلك ما نريد ان نقوله وهو ان القديس بولس لما شرع في ممارسة وظيفته الرسولية المستقلة عن سلطة بطرس وباقي الرسل لم ير موجباً ان يحمل نفسه تعباً لكي يراجع الذين لم يلزم في تلك الحال ان يتقلد منهم اقل سلطة او سيادة

ولم يكن الا ثلاث سنين بعد الشروع بخدمة الوظيفة الرسولية حتى رأيت بطرس في اورشليم (غل ١ : ١٨) يروم بقوله أن هذه الفرصة تشير ذاتها الى ان الغرض من زيارة بطرس ما كان ممكناً ان يكون لنيل سلطة منه او اية سيادة تلزم للوظيفة الرسولية التي استمر في ممارستها مدة ثلاث سنين كاملة قبل أن يتعرف بمحياه

هذا الاسباب الذي شرحه برسالته الى الغلاطيين يثبته سفر الاعمال الذي يخبرنا أن الرسل كانوا يجهلون اهتداء وارسالية بولس لآخر مجيئه الاول الى اورشليم وأن برنابا هو الذي قاد رسول الامم الى الذين باورشليم واخبرهم عن هدايته وعما فعل في دمشق في جانب يسوع المسيح (اع ٩ : ٢٦ و ٢٧) بشرت هكذا بالانجيل مستقلاً عن الرسل لاسيما عن هؤلاء الذين بينهم الذين يظهرون انهم شيء يعني يعقوب وكيفا ويوحنا مدة أربع عشرة سنة . ولكن بعد حصة هذا الزمن صعدت الى المجمع في أورشليم لكي احامي عن حقوق كنائس الامم وهكذا وجدت ذاتي مضطراً ان اقابل تعليمي مع تعليم رسل الختان . لانصدفوا من ثم أنهم

قلدوني حينئذ أي شيء وكل مافعلوه في هذه الفرصة أن يعترفوا بيّ أ
رسول الامم بوضع الرب ذاته الذي جعل بطرس رسول الختان
(غل ٢ : ١ — ٨) وبالاخص اندفعت مستقلاً في ممارسة وظيفتي الرسو
حتى وقفت في وجه كيفا ذاته موبخاً اياه علناً في انطاكيا على تصرفه الم
الذي يضر بمصالح كنائس الامم (غل ٢ : ١١ — ١٤) هذه الوقفة وهذه اللهجة م
القديس بولس تبرهنان على أن رسول الامم كان يجهل بالجملة التعليم الذي ي
أن بطرس الرئيس الأعلى على كل الكنائس بوجه العموم وكل كنيسة
بوجه الخصوص وانه بهذه الصفة يحكم كل الكنائس وكل واحدة منه
كما يسمع وكما يريد بدون ان يكون لشخص ما في الدنيا حق ان يلاحظ
عليه اقل ملحوظة

(تاسعاً) ان القديس بولس عين أساقفة لكل الكنائس التي
أسسها هو بدون أن يلتجيء بنوع ما الى سلطة بطرس (اع ١٤ : ٢٢
و ٢٠ : ٢٨) وقد ذهب الى أقصى وأعلن بجرأة ان هؤلاء الاساقفة الذين
أقامهم هو تقلدوا سلطان الرعاية والولاية على القطيع المقدس لا من بطرس
بل من الروح القدس الذي أقامهم أساقفة ووكلاء على القطيع ليسوسوا
كنيسة الله (اع ٢٠ : ٢٨)

هـذا التصرف وهذا الاعلان هما برهان على ان القديس بولس لم
يكن له علم بالنظرية التي بموجبها لا يكون أسقفاً الا (بنعمة بطرس)
ولا يتقلد الحكم الاسقفي الا كامتياز من بطرس .

(عاشراً) وبغض الطرف عن هـذا الاستقلال (استقلال بولس
طبعاً) في الوظيفة الرسولية وفي الحكم على الكنائس التي أسسها القديس
بولس بيديه فانه كان يعرف بصراحة كل ما يلاحظ وحدة الكنيسة
والنظام الكياني لعنصريها اللذين يركبان عموميتها لانه أرسخ في ذهنه
غالباً ان المسيح يسوع جعل بموته اليهود والامم واحداً وبالحري انساناً
واحداً في ذاته . وان بيسوع المسيح لا يوجد تمييز بين اليهودي والاممي
اللذين كلاهما لهما دخول بالمسيح الواحد الى الأب الواحد بالروح الواحد
(اف ٢ : ٢ — ٢٢) . وفي الوقت ذاته يعلن ويوقر كأنه شيء الهي —
أولية أهل الختان وتابعية الامم الذين تطعموا بالأول واشتركوا بخيراتهم
الروحية (رو ١٥ : ٢٧) هذا النظام الجوهري في تشييد الكنيسة كان
القديس بولس يعترف به في أعماله وأقواله الثابتة ففي أعماله لان ممارسته
كانت متجهة من نحو الشروع بدءاً في تبشير اليهود في كل البلاد التي مر
فيها (اع ١٣ : ٥ و ١٤ — ٥٢ و ١٤ : ١ و ١٧ : ١ و ٢ و ١٨ : ٤ و ١٩ : ٨ الخ)
لانه قال في خطابه ليهود انطاكية بيسيديا (كان يجب ان تكلموا أنتم
أولاً بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين
للحياة الابدية هوذا نتوجه الى الامم لانه هكذا أوصانا الله (اع ١٣ :
٤٦ و ٤٧) والقديس بولس لم يكن راضياً باثبات أولية أهل الختان (عفواً)
فأعطاها ذلك كحق إلهي (بقوله) (وأقول ان يسوع المسيح قد صار خادم
الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء وأما الامم فمجدوا

ـه من أجل الرحمة كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في الامم وأرتل لاسمك ويقول أيضاً تهللوا أيها الامم مع شعبه (رو ١٥ . ٨— ١٠)

وبعبارة أخرى ان كنيسة اهل الختان هي العنصر الاصلي لان هذا الشعب هو شعب الله وخاصة المسيح بحسب الطبع الذي هو من أصله وملكه الخاص . وأما الامم فبالعكس لانهم أضيفوا بصلاح متناه الى شركة هذا العنصر الأولي والأصلي . وهذا ما يشرحه رسول الامم أيضاً بالنوع التالي (ان يسوع المسيح هو الاصل وشعب الختان هم الاغصان الطبيعية والامم هم الاغصان البرية والغريبة التي طعمت على خلاف الطبيعة في الاصل لتكون مشاركة الاغصان الطبيعية (رو ١١ : ٢١ — ٢٤)

وقال أيضاً في ذات المعنى (لبني اسرائيل يخص اختيار أبناء الله ومجد هذه البنوة الالهية ولهم العهد والمواعيد وهم النسل الشريف للآباء ومنهم المسيح رب الجميع والاله المبارك في الاجيال (رو ٩ : ٥) وبالنسبة للامم فقد كانوا بلا مسيح أجنبيين عن رعوية (حياة) اسرائيل وعن العهد لارجاء لهم في الموعد وكانوا بلا إله في هذا العالم ولكن بصلاح الله الذي هو غني بالمراحم أصبحوا مع اسرائيل وارثين واقرباء وشركاء بالموعد بالمسيح يسوع بواسطة الانجيل (اف ٢ : ١٢ و ٣ : ٦) ومن ذلك هذه التأكيدات الجنسية قوله (ان الانجيل قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم للاممي (رو ١ : ١٦) مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودي أولاً ثم الاممي (رو ٢ : ١٠) وسبب تابعية كنائس

الامم بحسب كيانها لكنيسة أهل الختان عرّف (بولس) رسل الختان وهم يعقوب وكيفا ويوحنا انه يجب على كنيسة الامم ان تساعد باحساناتها الزمنية كنيسة اورشليم وأكد انه كان مهتماً على الدوام بأن يجعلها ان تقوم بهذا الواجب المقدس (غل ٢ : ٩ و ١٠)

ومن المعلوم ان كنائس الامم بواسطة القديس بولس قامت بوفاء هذا الدين بأمانة لا منذ انعقاد مجمع اورشليم فقط (اع ٢٢ : ١٧ و ١ كو ١٥ : ١ — ٤ و ٢ كو ٩ : ١ — ١٤ ورو ١٥ : ٢٥ — ٢٧) بل قبل هذا المجمع أيضاً بزمن طويل (اع ١١ : ٢٩ و ٣٠ و ١٢ : ٢٥) فرسول الامم بدعوته كنائسه لمساعدة كنيسة أورشليم عرّفهم هكذا طبيعة هذا الواجب (بقوله) ولكن الآن أنا ذاهب الى اورشليم لاخدم القديسين لان أهل مكدونية وأخائية استحسنوا ان يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين باورشليم نعم استحسنوا ذلك وانهم لهم مديونون لانه ان كان الامم قد اشتركوا في روحياتهم فيجب عليهم ان يخدموهم في الجسديات أيضاً (رو ١٥ : ٢٥ — ٢٧)

بهذه الخدمة (الاحسان) أثبتت كنائس الامم وعبرت عن شركتها مع الكنيسة الام باورشليم واليهودية (٢ كو ٨ : ٤) وسخاء التوزيع لهم وللجميع (٩ : ١٣) بهذا النوع وهو ان سعة حال كنيسة الامم الزمنية تسد احتياج كنيسة اورشليم الزمني كما أن سعة حال هذه الروحية تسد احتياج تلك الروحي وبالمساواة يحصل الكمال بين الاثنين (٢ كو

٨ : ١٤) ولاختصار آراء القديس بولس على هذا الحال (نقول) أن كنيسة الختان وكنيسة الامم تكونان بلا شك كنيسة واحدة وحيدة هي كنيسة يسوع المسيح العمومية لكن كنيسة الختان هي الاولى وهي التي صدرت بلا تراخ من يسوع المسيح هذه التي هي ملكه من الاول وبحسب الطبع الى هذه تنسب بنوع خاص كل الخيرات الروحية . أما كنيسة الامم فهي ثانوية لانها بذاتها كانت غريبة عن الملك المسيح وانما فيض المراحم الالهية قبل أن يشركها بخيرات الاولى الروحية وأن يجعلها مع الاولى وبالاولى شعباً واحداً في مملكة يسوع المسيح . هذا نظام كياني وذاتي لا يمكن أن يعكس بجعل الام تابعة للبنت والاصل للنتيجة (للفرع)

ومثل ذلك باعلانه (بولس) كل استقلاله عن بطرس وعن باقي الرسل بقدر ما أنه استلم رسوليته مباشرة من المسيح يسوع وأنه لم ينل منهم شيئاً لا تعليمه ولا حكمه على كنائس الامم ومع ذلك قام القديس بولس بواجب مقدس من نحو تعريفه واشهاره سلطة وحكم الكنيسة الاعلى ممثلاً في الوحدة حكم رعاتها . وهكذا اذاع قرارات مجمع الرسل والشيوخ الذي انعقد باورشليم واعلنها بذاته لكنيسة انطاكية وجعلها أن تحفظ بنظام في كل الكنائس التي شادها في بلاد الامم الوثنية (اع ١٥ : ٢٢ — ٣٠ و ٤١ و ١٦ : ٤)

فانظر ماذا يتلخص من سفر اعمال الرسل عما يتعلق بنصيب بطرس

من نحو الحكم على الكنيسة وفي أعمال المجمع الرسولي . فان بطرس الذي هو رسول الختان لم يمارس وظيفته الراعوية الا بالنظر الى كنائس أهل الختان فانه في حالة ما أن تصرفه في انطاكيا كان مراضياً لليهود وكان مضراً في مصالح كنائس الامم نال التعنيفات المستحقة من طرف القديس بولس رسول وراعي هذا الجانب جانب القطيع الالهي . هذا الانتهار يوضح معنى كلام المخلص (ارع خرافي) فان خراف الرب هنا هم بالبساطة شعب الختان بالتفويض الالهي بجعل بطرس واشتراكه مع مجمع الاثني عشر رسولاً وراعياً له . فان هذا الكلام بهذا المقدار يحتوي على هذا المعنى المفيد بان للمسيح ورسله فهموا حينئذ من تعيين (خراف الرب) ان المقصود بهم (خراف بيت اسرائيل) لاسواهم . هكذا قال الرب نفسه عند كلامه عن ارساليته كما رأينا سلفاً أنه (لم يرسل الا الى خراف بيت اسرائيل (مت ١٥ : ٢٤) ولما منح الاثني عشر الارسالية بكرازة انجيل ملكوته قال لهم (لا تذهبوا في طريق الامم ولا تدخلوا مدن السامريين ولكن اذهبوا بالحري الى الخراف الضالة من بيت اسرائيل (مت ١٠ : ٥)

ولم يكن حتى خطاب المخلص على الراعي الصالح الذي لم نر فيه واضحاً الا ما يدعو (خرافه الخاصة) الذين هم شعب اسرائيل في مقابل الامم الذين كان محتماً ان يقتنيهم بموته والذين كانوا مميزين عن قطيعه الخاص بقوله (لي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي ان آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي (في المستقبل) وتكون رعية واحدة وراع واحد (يو ١٠ : ١٦)

على حسب سفر الاعمال أن رسولية بولس أو أسقفية الرعاة الذين عينهم بولس لكنائس الامم لم تصدر من بطرس بل من يسوع المسيح والروح القدس وحده مصدر كل قوة فوق الطبع في الكنيسة ومصدر كل قضاء في المملكة الالهيه

على حسب سفر الاعمال بطرس مارس أوليته في المجمع الرسولى الاثني عشري متصرفا ومتكلما على الغالب باسم الجميع لا آمراً ايام أبداً. فهذا يبين أن بطرس وباقي الرسل كانوا فهموا جيداً تعليم المخلص الذي بموجبه يكون جميعهم اخوة ما لهم سوى رب واحد ومعلم واحد الذي هو المسيح يسوع وأنهم جميعاً متساوون وأن الاول بينهم يلزم أن يعرف ذاته لا رباً ومعلماً للجميع بل خادمهم وتابعهم

فانظر اذاً ما بقي لنا علم نظري لا هو تبيك على الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة المخالف بالكلية للتعليم الذي علمنا اياه كتاب العهد الجديد والذي تحافظ عليه كنيستنا الارثوذكسية بامانة دائماً .

القسم الثالث

﴿ القاعدة الاساسية لوحدة الكنيسة ﴾

— قال حينئذ زميلي الروماني لا تعجل بالحكم . أنه باق لنا البرهان المأخوذ من وحدة الكنيسة . ألا تقبل أن الكنيسة واحدة ؟ ألا تقبل

وبما ان المسيح هو راعي اسرائيل لذلك دعاه القديس بولس (خادم الختان (رو ١٥ : ٨)

فالكيفية التي بها نفذ الرسل أمر معلمهم الالهي المتعلق بكرازة الانجيل تؤكد هذا الفهم فانه لما كرز بالانجيل بين السامريين لم يكن بواسطة بطرس ولا بواسطة أحد من أعضاء مجمع الاثني عشر بل بواسطة الشماس فيلبس ولما كان حضور بطرس ويوحنا الى السامرة لازماً ليمنحا الروح القدس للسامريين المهتدين تسوغ لهما ذلك بانتداب خاص من المجمع الرسولي كما رأينا سلفاً . هذا التداخل الخارج عن العادة من السلطة العامة كان السبب الموجب الواضح لتفسير أمر المخلص (لا تدخلوا مدن السامريين) وبالمثل لما كان القصد يرمي الى هداية البلاد الوثنية لم يدخل الاثنا عشر في طريق الامم . لكن يسوع المسيح دبر بشخصه لا بخلافه أن يعين رسولاً للامم شاول الذي لم يكن من مجمع الاثني عشر فان الروح القدس ذاته منح هذا الرسول الجديد الارسالية بان يشيد كنائس البلاد الوثنية

فعلى حسب سفر الاعمال أن ولاية الكنيسة العليا كانت بايدي المجمع الرسولي الذي كان يحكم على بطرس كما على باقي الرسل . وأن السلطة القضائية التي تفصل عموماً في منازعات الكنيسة ليست قضاء بطرس شخصياً بل القضاء العام من كل مجمع الرعاة الذي هو هكذا محكمة الكنيسة العليا

أن هذه الوحدة توجد في الايمان والشركة ؟ ومن ثم بما أن الكنائس متفرقة ورعاتها متفرقون فوحدة ايمانها وشركتها مستحيلة بدون سلطة راع واحد عام الذى يعين للكل ذات الايمان وذات الشركة

— ذلك ما كنت انتظره منك . أنت تقول أنه باق لك هذا الدليل الاخير فانا أجيبك أنه لم يبق لك شيء وأن هذا الدليل تكرر أكثر من مرة بما قلته سلفاً . وبما أنك مازلت تتمسك به فانا لنخبره لك من جديد ونتأمله باتساع لكي اظهر كل قامة دليل يصلح لاهوتيوك سبباً عنايماً

بالحقيقة نحن نؤمن بوحدة الكنيسة ونقر في دستور الايمان أن الكنيسة الجامعة واحدة. نقبل بكمال أن وحدة الكنيسة الجامعة توجد بهذا وهو أن كل الكنائس التي تركب جامعتها يكون لها ايمان واحد وشركة واحدة لكن ننكر بجرأة وقطعياً أن وحدة كل الكنائس في ذات الايمان وذات الشركة تستدعي لاصلها وقاعدتها سلطة رجل واحد بصفة راع عام يعين ذات الايمان وذات للشركة لرعاة مخصوصين وبهم لكنائس مخصوصة. كل مافي برهانك من الحق أن وحدة جملة عناصر لا يمكن أن توجد بدون قاعدة وحدة وأن المسيح يسوع أعطى في شخص الرسل جملة رعاة في كنيسته وأن هؤلاء الرعاة الكثيرين لايمكنهم أن يوصلوا الى الكنائس المتفرقة ذات التعليم وذات الاسرار وذات المحبة بمثل ما يكون لها أصل واحد يوزع فيهم وبهم هذه الاشياء الثلثة ولكن أصل هذه الوحدة في كل الرسل حسب وضع المسيح يسوع ليس بطرس بل الروح

القدس الذي أرسل من الاب باسم ابنه ونزل يوم الخمسين ليكون مع الرسل وفي الرسل أبداً (يو ١٤ : ١٦) روح الحق كان ذاته في الكل ومع الكل ليذكرهم كل تعليم المعلم العام ويعلمهم كل الحق (يو ١٤:٢٦ و١٥ : ١٣) روح التقديس كان ذاته في الكل ومع الكل ليفعل فيهم ذات الاسرار هكذا قال المخلص للكل (اقبلوا الروح القدس والخطايا تصير منفورة لمن تغفرونها لهم وتصير ممسكة لمن تمسكونها لهم (يو ٢٠:٢٢ و٢٣) والرسول يعلمنا في دوره قائلا (لاننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا الى جسد واحد (أرجوك ان تلاحظ هذه وحدة الروح الموضوعة كقاعدة صريحة لوحدة جسم الكنيسة العام) يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً ام احراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً (يعني شرب الافخارستيا) ١ كو ١٢ :١٣) وواضح ان هذا الروح الواحد هو الذي يحول خبز الافخارستيا فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » مستحق بفضل الروح الواحد (١ كو ١٠:١٧)

واخيراً روح المحبة نفسه كان في الكل ومع الكل ليستمر فيهم الود المتبادل الذي يكون للعالم علامة تميز تلاميذ المسيح يسوع (يو ١٧ :٢٣) والرسول ايضاً امر الكنائس ان يحفظوا المحبة الاخوية (عب ١٣ :١ ١ تس ٤ : ٩) التي هي رباط الكمال (كو ٣ : ١٤) ورباط السلام (اف ٤ : ٣) جاعلاً قاعدتها وحدة الروح مجتهدين ان تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام (اف ٤ : ٣) لاجل ان تكون في الجميع (جسداً واحداً) : وليملك

في قلوبكم سلام الله الذى اليه دعيتم في جسد واحد كونوا شاكرين (كو ٣ : ١٥)

فهذا اذاً روح المسيح يسوع الذي أعطى لكل الرسل ذات تعليمه ووصاياه وكهنوته والقوة التي فوق الطبع والتقديس. والمحبة والاخوية أثمرت في كل الكنائس ذات الايمان والاسرار والشركة. الوحدة المثلثة التي بها كل المسيحيين هم جسد واحد مجتمع بيسوع المسيح هذا ما شرحه الرسول بدقة عجيبة قائلاً (روح واحد وجسد واحد) (اف ٤ : ٤)

أنت تروم أصلاً واحداً للمجمع الرسولي حتى يثمر بالتعليم وتوزيع الاسرار وبالعمل وبالوصية بالمحبة في كل الكنائس وحدة الايمان والشركة. ولكن أنا أعتقد ان يسوع باستمراره حسب وعده مع جميع الرسل كل الايام والى انتهاء الدهر وذا ليثبتهم في توكيلهم ان يعلموا كل الامم ويقدسوهم بالمعمودية والاسرار الأخرى وان يعلموهم حفظ كل المكتوبات الالهية التي هي بالاختصار المحبة (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠) هو الاصل الواحد الفعال لا بطرس ليثمر وحدانية الجسد في المجمع الرسولي وبذلك تكون وحدانية الكنيسة العامة. لان بطرس هو بشر ويسوع المسيح هو الله. أعتقد ان الروح القدس الذي استمر مع الرسل وفي الرسل أبداً وذلك لكي يذكرهم بدقة كل تعليم المسيح يسوع ويعلمهم كل الحق لكي يثمر فيهم أسرار الحياة الابدية لكي يكون بمحبته رباط السلام بينهم هو الاصل الحقيقي لا بطرس لكي يعلم الرسل نفس التعليم ليوزعوا ذات الاسرار ليحفظوها ويجعلوها ان تحفظ بذات المحبة. هذه الثلاثة أشياء تنتج في كل

الكنائس وحدة الايمان والشركة وانني أكرر لك ان بطرس هو انسان والروح القدس إله.

فاذاً الاصل الذي جعل جميع الرسل يعلمون تعليم الحق ويوزعون أسرار السلام ويمارسون ويجعلون ان تمارس محبة السلام الاخوي هو الاصل الالهي حسب وضع يسوع المسيح ولكن كنيستك الرومانية لا تروم الا الاصل البشري!

حسب القاعدة الالهية الموضوعة بيسوع المسيح فوحدة الرسل أو وحدانية الجسم الراعوي الكنيسي هي الهية بالذات. لكن حسب القاعدة البشرية التي وضعها لاهونيوك فواحدنية الرسل أو الجسم الراعوي هي وحدانية بشرية بحتة

حسب الاصل الالهي وحدانية الرسل أو الجسم الراعوي هي شيء ثابت تماماً وغير منقطع وهي لا يمكن ان تتزعزع أو تتوارى حيناً طرفة عين لان يسوع المسيح الذي هو هذا الاصل يحيا حقاً كل الايام الى انتهاء العالم ولا يمكن أبداً ان يكف عن ان يوجد مع الرسل (وخلفائهم) ويعطيهم ثباتاً أكيداً ولأن روحه الذي هو ذات هذا الاصل معه يحيا أيضاً أبداً ولا يمكنه ان لا يستمر مع الرسل ويمارس فيهم عمله السلامي بنوع كامل وأكيد

ولكن حسب الاصل البشري الذي تؤهلون له بطرس والباباوات خلفاءه حسب الزعم فوحدانية الهيئة الرسولية والجسم الراعوي الكنيسي

تصير قابلة التغير بذاتها وفاسدة شكلاً خاضعة لكل تقلبات الوجود البشري ولكل عدم تأكيدات شروطها لان الانسان الذي تجعلونه قاعدة هذه الوحدة ليس غير قابل الموت. وصفته يمكن ان تكون خاضعة للنزاع . النزاع في وسط المجموع الذي يعترف بسلطة بطرس والبابوات على مملكة المسيح يسوع .

انى تأتي الوحدة عند وفاة كل بابا ومدة خلو كرسيه لو استمر أسبوعاً واحداً أو يوماً واحداً ؟ فهل يكف وجودها مدة هذا الزمن من حيث تواري الرجل الذي كان قاعدتها كما تكف الحياة عن وجودها في جسم من حيث خرجت النفس منه التي كانت قاعدة الحياة ؟

انى تأتي هذه الوحدانية لو ادعى اثنان أو ثلاثة في وقت واحد بوظيفة البابوية والتي لا يتأتى للكنيسة ان تعرف بتأكيد من هو البابا الشرعي كما حصل ذلك في الكنيسة الرومانية مدة انشقاق الغرب العظيم ؟ حيث تصير الوحدة مرتاباً فيها كما بقاعدتها أو الحقيقة التي يجب ان تقال ان لا وجود لها في جميعهم

حسب القاعدة الالهية ان الكنيسة هي جمعية مشتركة بشرية إلهية بحيث ان هذا الجسم المشترك منتعش بالروح القدس وانه محتم على هذا الروح الالهي وحدته وحياته وذاتيته . فهذا هو الروح القدس الذي يمنح كل الرعاة التعليم الواحد وتقديس الاسرار والمحبة وبهذه الوسيلة يفعل ذاته في كل كنيسة وحدة الايمان والشركة . أما حسب قاعدتك البشرية

فالكنيسة هي جمعية بشرية. ولا شيء الا بشرية بما أن قاعدة كيانها النوعي ووحدانيتها وحياتها المشتركة هي بشر لا إله. على حسب زعمك ان بطرس أو البابا بصفة كونه الراعي العام يضع لكل الرعاة ولكل الكنائس ايماناً واحداً وشركة واحدة

أما على حسب القاعدة الالهية فالكنيسة تتخذ مثالها الحقيقي يسوع المسيح المتواصل لها بالافضل

وكذلك فإن يسوع المسيح هو بشر منظور وإله غير منظور معاً وهكذا الكنيسة فهي جمعية بشرية منظورة وروح غير منظور معاً وكذلك يسوع المسيح فانه بشرية حل فيها ملء اللاهوت (كو ٢ : ٩) هكذا الكنيسة فهي بشرية متكونة حيث يقطن ملء روح يسوع المسيح (هذا مسكن الله الحي مع البشر (رؤ ٢١ : ٢) وكذلك فان يسوع المسيح البشرية تكون معصومة من الخطأ وبريئة من الزلل لان قاعدة هذه العصمة والنزاهة من الخطأ هي اللاهوت المتحدة به البشرية جوهرياً هكذا في الكنيسة فان الجمية البشرية هي مقدسة في كهنوتها وفي أسرارها معصومة في تعليمها وفي ايمانها ولكن قاعدة هذه العصمة وهذه القداسة هي روح يسوع المسيح الذي يقطن دائماً في الكنيسة الذي فيه الكنيسة لا يعروها افتراق

على حسب القاعدة البشرية التي تتمسك بها عبثاً فالكنيسة لا تتحصل على شيء من رسمها الالهي بل أمام وحدتها (يعترض) الخضوع لسلطة

بشر ما سامية فتحرز بنوع عجيب على رسم آخر هو رسم ممالك الامم حيث الوحدة هي السياسة لا اللاهوت . فمن ثم ذلك الرسم قال عنه المسيح يسوع صريحاً انه ليس من كنيسته (ملوك الامم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين وأما أنتم فليس هكذا) .

حسب الاساس الالهي يفهم واضحاً معنى هذه الصلاة التي بعد ان وعد المخلص تلاميذه بالروح القدس قال فيها من أجلهم لابيه (ليكونوا واحداً كما نحن . ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً وواحداً فينا كما أنك فيَّ أيها الآب وأنا فيك . . وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين الى واحد (يو ١٧ : ١١ و ٢٠ — ٢٣) يعني ان الروح القدس الذي يأتي ويعلمهم يكون الرابطة الالهية لوحدانيتهم كما انه الرابطة الالهية لوحدانية الاب والابن وان المجد الذي منح لبشرية المسيح يسوع هو قوة الروح وهذا المجد وعد به يسوع المسيح لرسله مع ارساليته ومن ثم يعلن هنا انه يمنحهم قوة الروح هذه ليكون قاعدة وحدانيتهم فان المسيح بروحه في تلاميذه وكما ان الاب في المسيح ابنه فواضح انه بروح المسيح يصير التلاميذ مكملين في وحدانية الثالوث

على حسب قاعدتك البشرية يكون كلام المخلص (ليكونوا واحداً

كما نحن وفينا) لامعنى له مطلقاً لانه بهذه القاعدة البشرية رابطة الوحدة الرسولية هي بطرس الذي هو ليس أقنوماً من الثالوث الذي لا يقدر ان يربط التلاميذ مع الابن والابن مع الآب ويجعل ان يكونوا واحداً مثل الآب والابن وان يكونوا واحداً مع الآب والابن . على حسب قياس قاعدتك البشرية ليكون حقاً كان يلزم المخلص ان يقتصر على القول السامي (ليكونوا واحداً كما ان الرعايا وراعيهم واحد ليكونوا واحداً بأمانتهم وخضوعهم الدائم لبطرس رئيسهم العام) لكن هذه اللهجة نفسها موجبة للضحك بكل راحة . لان الحاكم ورعاياه ليسوا واحداً وسلطة الحاكم لا تكون لرعاياه قاعدة للوحدانية معه بل قاعدة الاذلال العام لقدرة شخص واحد

وأخيراً ماذا تجني من جعلك بطرس الرئيس العام للكنيسة بدل يسوع المسيح والقاعدة الباعثة لوحدة هذه الكنيسة مكان الروح القدس ؛ فالكنيسة الرومانية لا يمكن ان تنال من ذلك أقل فائدة فان كل النفع من ذلك يعود على كنيسة اورشليم وأهل الختان لان ارسالية بطرس شرعية كما يؤكد لنا ذلك القديس بولس حسب ما ورد في الاناجيل وسفر الاعمال قائمة في أن يكون (رسول الختان (غل ٢ : ٧ و ٨) مثل يسوع المسيح ذاته الذي كان خادم الختان (رو ١٥ : ٨) فان الكنيسة التي شادها بطرس بصفته هذه كانت متممة هذا الكلام (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) وبالنتيجة هي كنيسة

اورشليم ذاتها عاصمة الختان . فأولية بطرس اذاً الرسولية هي مرتبطة ذاتياً بأولية أهل الختان في الكنيسة ولا يمكن نقل كرسي الاولية الى كنيسة رومة عاصمة الامم الا بقلب الكل معاً وذلك النظام الذي دونه المخلص نفسه وهدم طبيعة مملكة يسوع المسيح التي بها أهل الختان هم ملك طبيعي وأساسي لتاج ماسيا بما أن أهل الغرلة ليسوا الا ملكاً ثانوياً ومضافاً متأخراً الى الاول

وأنه ليمكنك أن تدعي بكل ماترومه لمصلحة أصول الكنيسة الرومانية يمكنك أن تقاوم الجميع لراحتك وتقول أن بطرس أسسها في السنة الثانية لملك كلوديوس أن بطرس كان فيها رسولاً وراعياً أن بطرس مات فيها وان جدثه مكرم فيها . ولكن هذا كله لايمكنه أن يمنح الاولية المقدسة لكنيسة رومة كل هذا لا يمكنه أن يمنح لها الاولية المقدسة في النظام الكوني لانه على حسب قياسك نفسه أن كنيسة المسيح يسوع وجدت وثبتت في بلاد الختان احد عشرة سنة كاملة قبلها وبدونها . كل هذا لايمكنه أن ينقل لها الاولية المقدسة حسب النظام الكوني لان (كما أوضحنا سلفاً طويلاً) هذه الاولية المقدسة حسب النظام الكوني لاتنسب الى بلاد الامم التي عاصمتها رومة بل لبلاد الختان التي عاصمتها أورشليم البلد المقدسة مدينة داود الملكية ويسوع المسيح ولده . أليس هو من السخرية بمكان أن يحط عرش ملكية أولية جديدة بحكومة ملك خصوصي لتترأس هكذا حكومة استعمارية على حكومة طبيعية ذات تاج

أخيراً ماذا تفيد أدعاءاتك بالاولية ؟ هل بزعمك أن كل الكنائس التي لاتعترف برياسة رومة الروحية هي غريبة من يسوع المسيح أتعرف أنك حطمت بقحة باب الملكوت الالهي على الارض ؟. فهذه هي الكنائس كلها التي شادها منذ البدء بطرس والرسل والقديس بولس حسب النظام الرسمي الذي وضعه يسوع المسيح أو حسب لرسالية الروح القدس المتوالية والتي تقدس ذكرها دائماً كتبنا . هذه هي كنائس انطاكية وسوريا وترواس وكيليكيا وسالاميفيا وقبرص وفيلبياس ومكدونيا وكورنتوس واخائية وأثينا واليونان وافسس واسيا التي يقص بتدقيق سفر الاعمال أصلها الرسولي . وهذه كنائس بنطس وغلاطيا والكبادوكيا واسياوبيتينا التي صدّر لهن القديس بطرس رسالتيه. هذه هي افسس وسميرنا وبرغامس وتياتيرا وساردس وفيلادلفيا ولاودكيا سبع كنائس اسيا اللواتي قدم لهن القديس يوحنا رؤياه لتدبيرهن وتدريبهن بذاته بعد القديس بولس حسب تعليم المسيح يسوع

كل هذه كنائس الامم التي أوضح التاريخ المقدس انهن تشيدن بايدي الرسل اثباتاً لكلام الآب الموجه لابنه (سلني فاعطك الامم ميراثك وحكك الى أقطار الارض) كانت بجملتها مدة اجيال طويلة بمعزل عن شركة كنيستك وان الطوائف المسيحية الكثيرة او القليلة الاهمية في بعض من هذه الاماكن التي تقر اليوم برياسة رومة الروحية انما هي قطع ممزقة من كنائسنا الارثوذكسية لها تاريخ حديث ليس من الصعب

تأييده وانت لا تجهله ولهذا السبب فانها لا تمتّ بشيء خلافة هذه الكنائس الاولى المشيدة بايدي الرسل

وقد بلغت بجسارتك اقصى مكان ايضاً متجاسراً بعلة التعصب لرومة ان تسلخ من مملكة يسوع المسيح اورشليم · صهيون الجبل المقدس الذي مسح عليه الابن ملكاً بابيه الالهي. عاصمة مملكة داود ابيه حسب الجسد التي دخلها دخول ظافر بصفته ملك اسرائيل المدينة المقدسة التي بعد ان وضع فيها سر عهده الجديد مات سايلا دمه عنوانه ملك اليهود العنوان الذي كتب على صليبه المدينة المختارة حيث قبره اصبح ممجداً دائماً. وحيث الروح القدس حل على الرسل ليمنحوا رؤساء الكنيسة تقليد القوة الالهية . حيث بطرس والرسل وضعوا اساس الكنيسة العامة حسب امر المخلص الرسمي الاكيد . تتجاسر ان تقص من مملكة المسيح يسوع كل بلاد الختان الواسعة هذه الارض المقدسة التي هي المقاطعة الطبيعية لمملكة مسيا التي بها يسوع المسيح وارث لداود ابيه . انك تعري هكذا المسيح من عنوانه الذي هو (ملك اسرائيل) من مرمم المملكة الابوية متهماً بالتضليل رئيس للملائكة غبريال بقوله لامه (ان الله يعطيه كرسي داود ابيه فيملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية. بهذا النوع تقصي يسوع المسيح عن ان يكون ملك الامم وبالحري تعزله من كل مملكة لانه لم يكن ملك الامم الا بصفة كونه ملك اسرائيل وبانضمام الشعوب الى مملكة داود الابوية

ان مملكة المسيح وجدت من بادىء بدء بدون بلاد الامم لان بلاد الامم من الاصل لم تحسب من مملكته لان الكنيسة استمرت جملة سنين محصورة في بلاد الختان ولكن مملكة يسوع المسيح لا يمكن ان تكون مقبولة حيناً واحداً بدون مملكة اسرائيل التي هي ملكه الخاص والذاتي . أحق . نعم . أو . لا . ان كل كنيسة الارض المقدسة لم تكن في شركة معك منذ أكثر من ألف سنة ؛

هذه الكنيسة التي شادها يسوع المسيح بصفته رسول الختان — لم تعترف بسلطة رومة الروحية

ان بابواتك تمكنوا من ان ينصبوا في زمن الصليبيين أولاً ثم في الجيل الاخير بطريركاً على اورشليم ولكنهم لم يتمكنوا ان يجعلوا هذا البطريرك الوارث لخلافة أسقفية المدينة المقدسة التي لم يكن لها علاقة به بشيء

ذلك ما كان . ألا يحق لنا ان نقول في دورنا ان الذي قطع ذاته من مملكة يسوع المسيح هو الكنيسة الرومانية بعزلتها عنها وعن كنائس الطوائف التي قدست أسسها الرسولية الكتب المقدسة وعلى الخصوص كنيسة اورشليم وكل كنائس الارض المقدسة التي هي عنصر الكنيسة العمومية الاصلي والذاتي أو عن مملكة المسيح يسوع الالهية ؛ فزعمك مدهش جداً : بجعلك كنيستك الرومانية مادة كنيسة يسوع المسيح ذاتها والشيء لا يمكن ان يوجد بلا مادته ولكن كنيسة يسوع المسيح بموجب

شهادة سفر الاعمال الالهية وجدت قبل كنيستك الرومانية وبدونها

واني أختم ما قلته بشأن الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة بموجب (أقوال) الاناجيل وأعمال الرسل . وفي الدفعة القريبة سنرى تاريخياً ما هو هذا الوضع منذ زمن الرسل الى مجمع نيقيا الذي هو أول مجمع مسكوني للبيعة . هذا البحث الجديد يكشف لك أينا نحن الاثنين يعني الذي من الكنيسة الارثوذكسية أو الكنيسة الرومانية يجهل الامور الدينية ويخلط الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة مع النظامات البشرية البحتة التي أعطيت لها متأخراً بتقسيم العالم الروماني الى ثلاث بطريركيات بطريركية رومة وبطريركية الاسكندرية وبطريركية انطاكية

— كن على يقين اني سأصغى لك بكل هيام لانك مثلت لي أشياء في يوم كلها جديدة ما كنت أتصورها حتى الآن والتي هي غير معلومة كلية عند كل ذويّ الغربيين

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى ﴾

الجزء الثانى

الفصل الاول

أصل وطبيعة تقدم رومة في الكنيسة

القسم الاول

هذا التقدم لم يكن موجوداً في بدء الكنيسة

ان زميلي الروماني كان دفع لي بعض أعداد من مجلة (رومية والشرق) تدعي ان تقدم البابا الالهي هو حقيقة عامة مقبولة في أبان القرون الثلاثة الاولى المسيحية . وبعد ثلاثة أسابيع عاد الي قائلاً

— وعدتني ان تعبّر لي عن آرائك بخصوص الكنيسة في أجيالها الثلاثة الأولى . فهل تروم ان تشرع بذلك حالاً ؟

— فأجبت . بكل اشتياق . قد رأينا في محاوراتنا الأولى ما هو الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة حسب مدونات العهد الجديد . تلك مملكة المسيح يسوع التي هي بلا مرية عمومية بقدر ما تكتنف بلاد الختان وبلاد الامم ولكن يوجد بين هذين المنصرين في عموميتهما نظام إلهي يتلخص من طبيعة مملكة مسيا نفسها . وجرياً على هذا النظام الالهي ان بلاد الختان هي التي تخص ذاتياً وأساسياً مملكة المسيح يسوع فانه

لا يمكن قبول مملكة المسيح يسوع بدون هذا الملك المقدس الذي هو ذات عنوان ملكوته . لان هذا (على صهيون الجبل المقدس مسحه الله الآب ملكاً ليسوس اسرائيل ومن ثم يجتاز أيضاً الى أرث كل الامم (مز٢:٦ — ٨) هذا (الذي نال أقطار الارض ملكاً) هذا (ملك اليهود) والوارث لقضيب يهوذا الى هذا (أعطى الله كرسي داود أبيه ليملك على بيت يعقوب الى الابد وبلا نهاية (لو ١ : ٣٢ و ٣٣) فاذاً كل نظرية على الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة التي تكون النتيجة منها رفع المسيح الملك لادخال أي تاريخ لتاريخ مسيحية بلاد الختان أي مملكة داود وبيت يعقوب فهي سلفاً مسلم بها باطلاً بمقدار ما أنها كفر في حق الملك يسوع المسيح

لان بلاد الختان تخص معاً وضرورة ملكوت مسيا الذي لا يمكن ان يكون مقبولاً حيناً بلاها . فان سفر الاعمال في روايته الموحى بها الذي جعل بلاد الختان أصل أساس الكنيسة العامة أعنى جداً باثبات طبيعة هذه الاولية الالهية التي هي المقاطعة الطبيعية للارض المقدسة بحيث تكون كل نظرية (أخرى) على الوضع الالهي في انشاء الكنيسة تساعد على ترتيب قاعدة أفضل من قاعدة مملكة يسوع المسيح وعلى ان تنزع من هذه الاولية الالهية ملك مسيا الخاص المتوج عليه لكي تستبدله بملك من الاملاك المحررة فانها تحمل معها قرار دينونتها

لان بلاد الختان الخاصة معاً وضرورة للملكوت مسيا يجب ان تكون

بذاتها قاعدة أساس الكنيسة العامة التي قال لبطرس رئيس المجمع الرسولي بشأنها (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي) ووجد حسب الوضع الالهي (رسول الختان) الذي في رواية التاريخ المقدس يمثل بصفة كونه مؤسساً لكنيسة اورشليم عاصمة بلاد الختان ومملكة داود . فاذاً كل نظرية على الوضع الالهي في انشاء الكنيسة التي تسوق الى اثبات نصيب الاولية الرسولية لبطرس في تأسيس كنيسة ما أخرى مثل أولية أورشليم عاصمة بلاد الختان أو في فروع أخرى من رسولية بلاد الامم لا في رسولية الختان فانها تدك هكذا بقمة أساس الكنيسة الذاتي الموضوع بيسوع المسيح ذاته وتكون فهماً باطلاً وتجديفاً

فينتج من ثم بموجب الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة ان بلاد الامم بالذات أضيفت الى بلاد الختان في مملكة المسيح يسوع. هذه الاحالة الذاتية موجودة واضحة بحسب الواقع وذلك بتعلق بلاد الامم ببلاد الختان يعني الملك المقتنى بالملك الطبيعي الذي لمسيا ولا يعكس ولكن ذلك لا يتضمن صغرى (حقارة) حقيقية لكنيسة الامم مقابل كنيسة الختان لأن كلاً من الاثنتين صار واحداً وشيئاً واحداً بالمسيح يسوع الذي هو رب أحدهما والاخرى والذي منح كلاً من الاثنتين نفس الخيرات الروحية اريد أن أقول ذات التعليم والاسرار والولاية وقواعد الحياة الابدية . وبولس الذي يسمي ذاته في كل رسائله (رسول الامم) والذي حسب رواية سفر الاعمال الموحى بها (أسس كنائس الامم) ما كان من وضع بطرس

وانما صار رسول الامم بواسطة المسيح ذاته واستلم نفسه رسالته الرسولية من الروح القدس عينه كما صار بطرس رسولاً للختان بالمسيح يسوع واستلم رسالته من الروح القدس وواضح ان الاساقفة الذين رسمهم بولس للكنائس كالذين رسمهم بطرس انضموا للقطيع الالهي وتقلدوا ولاية الكنيسة مع كل سلطة الكهنوت لامن بطرس ولا من بولس بل من الروح القدس الذي حل ببطرس وببولس والذي هو مصدر كل قوة فائقة الطبع في ملكوت المسيح يسوع

هذه المساواة بين كنيسة الختان وكنيسة الامميين رسولية وأسقفية الثانية من جهة ورسولية واسقفية الثانية من أخرى تؤيد وتتفق بنوع عجيب باحالة الثانية الطبيعية الى الاولى في مملكة مسيا . هذان الامران اللذان هما تمييز ووحدانية كلتا الكنيستين ومساواة الاثنتين الثابتة واضافة الثانية الكونية الى الاولى هما ذات المادة للوضع الالهي في انشاء الكنيسة كما اثبتنا ذلك في مفاوضاتنا على مدونات العهد الجديد التي يجب أن نضعها أمام الاعين دائماً لنفهم تاريخ المسيحية القديم ونميز في الكنيسة ما هو الوضع الالهي النقي وما هو الوضع البشري البحت

الوضع الالهي ومادة ملكوت المسيح يسوع هما بذاتهما غير متغيرين ولا متنسخين وقد داما وجودهما منذ بدء الكنيسة ولا يمكن أن يكف وجودهما بقدر استمرار الكنيسة على الارض فانه ليس في قدرة بشر ان يغيّر أو يفسد ما هو موضوع بيد الله ذاته ومؤيد لمادة ملكوت المسيح

يسوع نفسه وأما الوضع البشري في نظام الكنيسة فلا علاقة له مع مادة غير قابلة للتغيير وغير قابلة للنقض اذ لم يكن له وجود في الاصل ولكنه دخل على التوالي بتأثير أسباب عرضية الذي بما أنه لم يكن منذ البدء فيمكن ان يكف وجوده بانكفاف وامتناع الاسباب التي أعطته الوجود.

على هذا القياس أن كنيسة أورشليم التي هي الاصل الاولي لملكوت المسيح يسوع والقاعدة الاساسية لكل كنيسة كان لها في الاول بتأثير الامور التقدم على كل الكنائس في بلاد الختان وفي بلاد الامم كما نرى ذلك في سفر الاعمال لان كنيسة انطاكيا وكل كنائس مكدونيا وأخائية ما كانت تخضع لها وتوقرها فقط لكونها سبب خيراتها الروحية (اع ١١: ٢٩ و٢٤ : ١٧ رو ١٥ : ٢٦ — ٢٨) بل ان القديس بولس بعد رياضاته المديدة الرسولية قام بواجب مقدس اذ ذهب ليسلم على أورشليم مستصحباً وفوداً من كنائس الامم (اع ١٨ : ٢٢ و ٢١ : ١٧ — ١٩ و ٢٨ و ٢٩) هذا التفوق على كل الكنائس حفظته المدينة المقدسة مدة قرن بالتمام كما يستفاد ذلك من الوثائق القديمة فان أوسابيوس يحكي انه بعد موت القديس يعقوب أول أسقف أورشليم (بادر كل الرسل وتلاميذ الرب الباقين احياء بعد واجتمعوا من أماكن مختلفة في أورشليم واختاروا بالاجماع مع أقرباء الرب حسب الجسد سمعان خليفة له (تاريخ أوسابيوس ٣ : ١١) مع أننا لم نقرأ ان الرسل أو تلاميذ المعلم الالهي الآخرين أبدوا اهتماماً مثل هذا عند انتخاب راع لكنيسة أخرى من كنائس أهل الختان أو الامم .

وبخلاف ذلك فان هيجيسيبيوس تلميذ يوحنا الرسول الانجيلي المعاصر للحوادث التي كان يحكيها قال عن أقرباء الرب الذين كانوا أساقفة المدينة المقدسة مدة تقرب من مائة سنة (أنهم كانوا متقدمين في كل الكنيسة كذوي شهادة واقرباء الرب (اوسابيوس ٣ : ٣٢ و ف ٤ : ٢٢)

ومع ذلك فان التفوق الذي استقام مدة جيل تامة تنازلت عنه كنيسة أورشليم حين أرادت المسيحية أن تختار التفوق الذي رتبته المملكة الرومانية وكلف من حظ رومة واسكندرية وانطاكيا وقيصرية نفسها وقدّرت أن تجريه بدون أن تنزّل من قيمتها لانه لايوجد في ذلك أدنى ضدية للوضع الالهي في تأسيس الكنيسة الذي بموجبه كل كنائس الله على ذات قدم المساواة . لكن هذا التفوق وكل الامتيازات التي رافقته وبعض الاهميات التي تقلدها واضح أن ذلك وضع بشري عرضي غير أهل أن يجعل الكنائس الثلاث الاممية وهي رومة واسكندرية وانطاكية (هذا) لم يكن ولا يمكن أن يكون يعني الا رومة الاولى والاصل الكوني للكنيسة العمومية والقاعدة الطبيعية للملكوت مسيا وحكومة ابن داود الاولى الذي أصبحت كل الممالك ارثاً له بانضمامها الضروري له . هذه الصفات استمرت صفات خصوصية ومتميزة لكنيسة أورشليم وبلاد الختان

غير أن رومة لم تقصّر عن أن تستغل من هذه الاولية الشرفية فائدة لطمعها تلك التي سمحت لها الكنيسة بها مؤخراً باعتبار صفتها أنها مدينة سياسة الكون العظمى . ومع الوقت قبلت الرأي بأن تعين لهذه الاولية

نظاماً وصفة ما أدعت انهما اتيا اليها من طريق حق الهي ولم تكتف بامتيازات محددة ومرتبة حسب القوانين بل افترضت سلطة عمومية وسيادة ملأى ومطلقة على كل كنائس الله مريدة ان تكون في مملكة يسوع المسيح مثل قيصر في المملكة الرومانية ولاجل ان تصبغ هذا التخيل المزعوم بصبغة الحقيقة اقترحت لها كقاعدة نظرية مزدوجة نظرية اعتقادية مبنية على طبيعة الاولية الالهية المعطاة لبطرس ونظرية تاريخية مبنية على حق اسقف رومة بصفته الخليفة الوارث لهذه الأولية الالهية . بتلك النظرية الاعتقادية أصبح بطرس السلطان العام للكنيسة ورئيس الرسل اخدانه. وقد نفينا سلفاً هذه القاعدة بمفاوضاتنا المتقدمة التي لا محل لها هنا . بنظرية التاريخ اصبح بطرس في السنة الثانية لكلوديوس المؤسس والاسقف الخاص للكنيسة الرومانية وانه مات بهذه الصفة بعد ٢٥ سنة من خدمة حبريته الرومانية مخلفاً لاساقفة رومة ميراثا مزدوجاً من اسقفيته ومن رياسته العامة

فيجب ان نفحص هنا بالتفات قيمة هذه النظرية التاريخية بمصباح الوثائق التاريخية القديمة مع النقط التاريخية التي لا نزاع فيها المتعلقة بالتاريخ المقدس الذي يتضمنه سفر الاعمال

القسم الثاني

(اولية رومة لم تتأت من اولية بطرس)

ان نظرية لاهوتيبك تقوم بجعل بطرس مؤسساً لكنيسة رومية لتملك فرصة للادعاء بانهذه هي الكنيسة التي قال الرب لبطرس عنها (انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي) او تقوم بجعل بطرس الاسقف الخاص للكنيسة الرومانية وتقييده بهذه الكنيسة باسقفية غير متنقلة مدة ٢٥ سنة الى يوم موته لكي يتمكنوا من الادعاء بذلك ان اساقفة رومة استلموا بطريق الوراثة الطبيعية الاسقفية والرياسة العليا اللتين لبطرس فهاتان الحجتان ليس هما سوى كذبتين تاريخيتين فان تاريخ الاصول الرسولية الكنيسية كتبه الروح القدس نفسه في سفر الاعمال ليكون سرمداً البرهان لفقرة ايماننا هذه وهي (نؤمن بكنيسة واحدة كاثوليكية رسولية) ومن ثم ان هذا التاريخ الالهي لا ينسب لبطرس سوى الكنيسة الاولى لكل الكنائس يعني تأسيس كنيسة اورشليم قصبة مملكة داود التي تحولت مملكة يسوع للمسيح (اع ٢ : ٥) الكنيسة الوحيدة التي اوضحنا ولاية بطرس عليها وكأنها كنيسته الخصوصية بما انها كنيسة بلاد الختان (اع ٥ : ٦ و ٨ : ١ و١٤ و٩ : ٣٢)

وسبب احقية هذا التاريخ المروى باعتناء في التاريخ المقدس هو ان بطرس كان بحسب الوضع الالهي من المسيح يسوع (الرسول الخاص للختان)

اما بالنسبة لكنائس الامم التي كانت كنيسة رومة متأخرة عنها بحسب التاريخ فان التاريخ المقدس ينسب تأسيسها والولاية عليها لبولس وسبب احقية هذا التاريخ هو كون بولس بحسب الوضع الالهي من يسوع المسيح كان (رسول الامم الاخص) . هاتان النقطتان اللتان رأيناهما بالتفصيل في بحثنا الاول مظهرين سلفاً ضعف المبدأ التاريخي الذي يريد (بالرغم عن شهادة سفر الاعمال الالهية وبالرغم عن طبيعة رسولية بطرس) ان يثبت تأسيس وولاية كنيسة رومة عاصمة الامم الى هذا الى بطرس الذي هو رسول الختان وان بطرس بحسب التاريخ لم يكن اسقف رومة الخاص وبحسب الاعتقاد لم يمكنه ان يكون ذلك

والحقيقة التي نبرهن عنها ساعتئذ هي ان الكنيسة الرومانية مثل باقي الكنائس الاممية لم تر بطرس الا بعد زمن طويل من تأسيسها وكل مالها من الامتياز أنها قبلت بطرس في الآخر في حضنها كما كانت حازت أسقفية بولس عليها متأخراً والحقيقة سنكشفها في مكانها وهي ان بطرس في مدة اقامته القصيرة برومة التي تتحول من ٢٥ سنة الى سنتين قضاهما في السجن مارس بلا شك في الكنيسة الرومانية كما كان يفعل سلفاً في جملة كنائس أخرى كل وظائف الاسقفية التي هي التعليم والوصايا وتوزيع الاسرار ولكن أبعد من أن يصبح بذلك الاسقف الخاص لها أو أن يخطر له ذلك على بال حيناً بل أعطاها باتفاقه مع القديس بولس أسقفاً مخصوصاً ليتولى أمورها . وكل ما يخص الكنيسة الرومانية من هذه النقطة هو

أن هذا الاسقف الذي أقامه بطرس وهو حي على كرسي رومة مات قبله والتزم ان يقيم خليفة له وهذا لا يمنع حينئذ ان يقال ان الكنيسة الانطاكية هي كرسي بطرس لان بطرس علم فيها الايمان ووزع الاسرار فلا يقال ان أسقف رومة مثل أسقف انطاكية هو خليفة بطرس. لان بطرس مارس الوظائف الرسولية قبله واياه أعطى تكريس الاسقفية

ومع ذلك فكأنه لذ لرومة ان تزج في غرض مضمر أنظمة الكراسي الثلاثة البطريركية وهي رومة واسكندرية وانطاكية لكي تجعل مصدر علو شأنها لا الاولية السياسية التي كانت لها قديماً بل رباطاً أكثر أو أقل داخلياً يصل تأسيسها ببطرس. واننا نتقدم للبحث باتساع أكثر عن هذه المسألة مسألة أصول هذه الكنائس الثلاثة البطريركية ومسألة عمل بطرس في كل منها

أما بالنسبة لكنيسة انطاكية فسفر الاعمال يخبرنا انها صارت الكنيسة الاولى الامية وان بطرس في تأسيسها لم يكن له دخل مطلقاً فان الاصل الرسولي لهذه الكنيسة هو تاريخ من عمل بعض التلاميذ الآتين من اورشليم الى هذه المدينة بعد موت القديس اسطفانوس ثم بعمل برنابا الذي ارسلته حتماً كنيسة اورشليم كما ينبه على ذلك سفر الاعمال واخيراً بكرازة بولس الذي دعاه حالاً برنابا لمعرفته انه تعين رسولاً للامم من المسيح يسوع ذاته. ولم ينقل التاريخ المقدس زيادة عن ذلك. لكن هذا القليل الذي يقوله هو كاف يظهر رباط الالتحاق الذي يلصق هذه الكنيسة

ولى الامية ـ التي هي اصل منوال طبيعي للأخر ـ بالكنيسة الاساسية للختان ولكنه لم يأت بذكر لبطرس ولا لعمله في هذه الكنيسة ن هذا العمل في نظره واضح انه لم يزد شيئاً في رسولية هذه الكنيسة وغرض الرواية المقدسة. والرسالة الى أهل غلاطيا ترينا بطرس (كيفا) الى انطاكية بعد مجمع اورشليم بزمن وكان ذلك في السنة الثانية من ي كلوديوس ونائلاً من رسول الامم الذي وجد حينئذ فيها التحذيرات رؤوس الملا نظراً لتصرفه الريائي مع ناس الختان الآتين من اورشليم كان مضراً لمصلحة كنيسة الامم

ان الوثائق القديمة تخبرنا ان بطرس استمر بانطاكيا سبع سنوات مارس فيها الوظائف الاسقفية في غضون هذا الزمن وكان ذلك بلا في غياب بولس وبرنابا كما كان في غياب لوكيوس القيرواني ومناين تربى مع هيرودس رئيس الربع وكلاهما كانا نبيين ومعلمين ومتشحين ة الاسقفية اللذين كانا اتيا من اورشليم الى انطاكيا بعد موت اسطفانوس سا كنيسة هذه المدينة اللذين بعد ان مكثا فيها زمناً ممارسين خدمة رار الالهية لتاسيسها وتثبيتها في الايمان حتماً بأن ينقلا أشغالهما ولية الى مستعمرات أخرى كما كانت عادة خدام الانجيل الأول

الوثائق القديمة تعرفنا أيضاً ان القديس اوفوديوس أول اسقف المدينة نال تكريسه الاسقفي من يدي القديس بطرس. هذا الحادث وح التاريخي مدون في تذكار عيد كرسي القديس بطرس بانطاكيا

هوذا كل ما هو حقيقي في رواية الوثائق القديمة

أما زمن مجيء القديس بطرس الى انطاكيا فهو مضحك للغاية حصل في بدء ملك كايوس الذي كان في السنة الخامسة من موت المخلص كما يفعل لاهوتيوك ليتمكنوا من ارسال القديس بطرس حالاً الى رومة أي بعد سبع سنوات وهو السنة الثانية من ملك كلوديوس تاريخ مؤرخيك هذا فاسد بحتاً . لان نصوص اوسابيوس والقديس ايرونيموس التي هي القاعدة لذلك لا تجعل سفر بطرس من انطاكية الى رومة مباشرة بل (تقول) انه بعد مكوثه سبع سنوات في انطاكيا وقبل مجيئه الى رومة طاف خمسة أقاليم بنطس وغلاطيا وكبادوكيا واسيا وبيتنيا التي بعث بطرس لها رسالتيه [1] فرياضة مثل هذه لا يمكن ان تشغل الرسول أقل من خمس سنوات تخصصاً لكل أقليم سنة كاملة على الاقل ليفهم فيها في كل مدة اختلافات كل واحد عن آخر منها .

فلو كان مجيء بطرس الى رومة في السنة الثانية لكلوديوس وقبل هذا التاريخ قضى خمس سنوات في الاقاليم الخمسة المذكورة وسبعاً أخرى

(١) ان سمعان بطرس بعد اسقفية كنيسة انطاكيا وبعد كرازته للمشتتين من اهل الختان الذين كانوا في بنطس وغلاطيا وكبادوكيا واسيا و بيتنيا . انتقل في السنة الثانية الى رومة ليحارب سيمون الساحر وهناك وضع كرسيه مدة ٢٥ سنة لغاية السنة الاخيرة من حكم نيرون (القديس ايرونيموس في مشاهير الآباء)

في انطاكيا فيكون وجوده في السنة الاولى بانطاكيا موافقاً بالضرورة للسنة الاولى من موت المخلص ويكون تأسيس هذه الكنيسة الاولى الاممية موافقاً لزمن تأسيس كنيسة اورشليم . ذلك يكون بكل أسف مستحيلا ومعارضة جنائية ضد الروايات الرسمية التي في سفر الاعمال في ما يختص بأصل الكنيسة . بالنظر الى ان المخلص ذاته قبل صعوده الى السماء كان عين النظام الواجب على الرسل اتباعه من نحو الكرازة بالانجيل والذي بناء عليه كان يلزم ان تنشأ في الاول الكنيسة في اورشليم في كل اليهودية والسامرة وبعد كل بلاد الختان فقط تمتد الى بلاد الامم (اع ١ : ٤ و ٨) بالنظر الى أن سفر الاعمال يروي بتدقيق تنفيذ الرسم الالهي بأمانة ولا يكشف لنا انشاء كنيسة انطاكية الا بعد انشائها وتثبيتها في كل متسع بلاد الختان (اع ٢ : ٤١ — ٤٧ و ٦ : ٧ و ٨ : ١ و ٩ : ٣١ و ٣٢) بالنظر لكون سفر الاعمال يخصص لكنيسة انطاكية مؤسسين حقيقيين بعض التلاميذ الذين تفرقوا عند موت اسطفانوس لا بطرس ولا الرسل كانوا حينئذ في اورشليم وقد نبه التاريخ الموحى به عن ذلك بعمد (اع ٨ : ١) وبالنظر لكون سفر الاعمال بعد ذكره عمل التلاميذ المومأ اليهم يدخل في عمل تأسيس كنيسة انطاكية رسولاً آخر سوى عمل برنابا وبولس الذي اجرياه في السنة الثالثة لملك كلوديوس (اع ١١ : ١٩ – ٣٠ و ١٢ : ١ – ٢٥) وفي الآخر بالنظر لكون ذات السفر المقدس اخبرنا كما بيّنا في بحثنا الاول ان بطرس ما ترك ارض بلاد الختان قبل مجمع

التي لا نزاع فيها الخاصة بكتبنا المقدسة والوثائق الاكثر قدمية بأن القديس بولس هكذا تصرف من نحو الكنائس التي أسسها في سوريا وكيليكيا ومقدونيا وأخائيا واسيا (اع ١٤ : ٢٢ و ٢٠ : ١٧ — ٢٨) وبان القديس يوحنا تصرف من نحو كنائس اسيا بعد موت القديس بولس (رؤ ١ : ٢٠ و ٢ : ١ و ٨ و ١٨ و ٣ : ١ و ٧ و ١٤) وتصرف القديس بطرس في انطاكيا ما كان على خلف ذلك . فانه بعد أن مارس الخدم الاسقفية في الكنيسة الاولى هذه الامية عين لها افوديوس اسقفاً خصوصياً لها . قال القديس اكليمندس الروماني برسالته الاولى الى اهل كورنثوس التي تعد وثيقة اكيدة موافقاً لنقط سفر الاعمال التي لا نزاع فيها (بعد ان كرز الرسل بالكلمة في الاقاليم والمدن وعمدوا الذين رضخوا الارادة الله عينوا باكورة من ربحوهم بصفة اساقفة وشمامسة للمؤمنين في المستقبل وذلك بعد ان اختبروهم بالروح . . . ان رسلنا فهموا من ربنا يسوع المسيح ان الوظيفة الاسقفية يجب ان تكون مراماً مرغوباً بها ومثيرة قلاقل . لهذا السبب يجب ان تكون محلاة بمعرفة علم الله الكاملة . فعينوا المذكورين أساقفة ورتبوا انه بعد موت هؤلاء يقتني ناس آخرون مختبرون خلافة وظائفهم . والاساقفة من ثم الذين تعينوا من الرسل وخلفائهم بعد موت الرسل أقاموا أناساً بالانتخاب مع رضى عموم كنائسهم الموقرة (١ اكليمندس الروماني رسالة الى أهل كورنثوس (مج ٤٢ — ٤٤)

أورشليم الذي انعقد في السنة الثانية من ملك كلوديوس . فاذاً ذلك لم يكن الا بعد هذا التاريخ حيث تمكن بطرس من المجيء الى انطاكيا يعني بعد زمن وافر من تأسيس الكنيسة في هذه المدينة . ومن مشتملات رسالة غلاطيا اوضحنا مجيئه اليها في هذا التاريخ وقد كان حينئذ بولس ذاته فيها (غل ٢ : ٢ — ١٤)

فلا سخرية قليلة على من يستدل لكي يحمل ان بطرس قد مارس في انطاكيا الوظائف الاسقفية ناشراً التعليم وموزعاً الاسرار بصفته اسقف تلك المدينة ومعروفاً انه المعلم والراعي الاخص لها لان هذه الكنيسة كانت كنيسة امية وبطرس كان رسول الختان الخاص (معلماً وراعياً لنوعه) وما كان كذلك باختيار منه بل بتعيين يسوع المسيح . وقبل بزمن قليل من حضوره الى انطاكيا في وسط مجمع اورشليم قيد ذاته بان يستمر دائماً اميناً من نحو صفته كرسول للختان تاركاً لبولس وبرنابا الخدمة الرسولية من نحو الامم (غل ٢ : ٧ — ٩) ويوجد فرق بين ممارسة واحد الخدم الاسقفية في بلد وبين مجيئه اليها بصفة أسقف مخصوص لها فان الرسل مارسوا الخدم الاسقفية في كل الاماكن التي مروا فيها لكنهم لم يصبحوا بذلك أساقفة مخصوصين لهذه النزل المختلفة وبالعكس فانهم بعد ان كانوا يمارسون الاسرار المقدسة في جميع هذه الاماكن المختلفة سواء كان ذلك ليشيدوا الكنائس أو ليثبتوا ناسها على الايمان الذي اعتنقوه سلفاً كانوا يضيفون لها أساقفة خصوصيين . فهوذا ما يوافق الذوق السليم حسب النقط التاريخية

هـذه الشهادة أكيدة بالنسبة لمبادرة الرسل لتقليد الـكنائـ
بأساقفتها الخصوصيين بدل ان يلزموا أنفسهم بالخدمة الاسقفية . وبـ
على سبب الاسراع هذا الذي هو عبارة عن الطاعة لامر يسوع المسيح الرسـ
تـكون غير مقبولة شهادة علماء لاهوتيك لانها صادرة من أسقف رو
الذي جعل نفسه تلميذ للقديس بطرس وانه استلم من يده رسامة الاسقف
التي يتكلم عنها . واذا كان ذلك هكذا فماذا يعني اذاً وجود القديس بطر
في انطاكيا في الوقت ذاته الذي يعلن فيه أنه رسول الختان سوى تنبيـ
انضمام هذه الكنيسة الاولى الامية الى كنيسة الختان الاصلية التي أسـ
وحدها والتي كان أسقفها الخاص بتعيين إلهي ؛ وماذا يدل ذلك سوى
على اعلان كامل لانضمام عاصمة الشرق الى مملكة داود التي كانت قد
أصلحت بتهذيب وبناء تام من كنيسة يسوع المسيح التي ببلاد الختان

ان الخبر القديم يوضح ان القديس بطرس بعد مكوثه سبع سنوات بانطاكيا طاف الخمسة أقاليم وهي البنطس وغلاطيا والكبادوكيا واسيا وبيتنيا التي ذكرتها رسالتاه . وعمل هذه الرياضة الرسولية لا يكون غير مصدق وبعض فقرات رسالته الثانية يظهر أنها تعبر عنه بكفاية (٢ بط ١ : ١٦ — ١٨ و ٣ : ٢) لـكن الذي يوجب السخرية هنا أيضاً هو تعيين هذه الرياضة بتاريخ سابق لسنة ملك كلوديوس الثانية كما فعل أوسابيوس والقديس ايرونيموس وكل ما هو مقارن للحقيقة في رواية أوسابيوس والقديس ايرونيموس مردد كلامه هو أن هذه الرياضة سبقت دخول

بطرس الى رومة الدخول الذي جعلاه في السنة الثانية للامبراطور كلوديوس . لـكن كما أقمنا الدليل سلفاً ان مجيء بطرس الى انطاكيا ما كان سابقاً للسنة العاشرة من ملك كلوديوس ومن جهة أخرى ان رسول الختان قضى في هـذه عاصمة سوريا سبع سنوات حسب اقرار هذين المؤلفين وبالتالي فانه ما كان يمكنه ان يباشر رياضته في الخمسة أقاليم التي ذكرها في رأس رسالته الاولى في السنة الرابعة لملك نيرون المعروف ذلك الزمن ذاته الذي حسب سفر الاعمال أكمل فيه بولس أشغاله الاخيرة وقدر على نفسه ان ينطلق الى رومة (اعـ[illegible] : ٢٠)

ماذا فعل بطرس في هـذه الاقاليم التي نادى فيها بولس وزملاؤه بالانجيل الذين كانوا رسلها الخصوصيين كما كان بطرس رسول الختان (كو ٣ : ٢ و ١٥) ؛ ان أوسابيوس والقديس ايرونيموس قالا تبعاً لاوريجانوس انه كرز بالانجيل لليهود المشتتين من الاثني عشر سبط بني اسرائيل . هذا ما تدلل عليه الآثار القديمة المدونة التي ما كانت تعترف ببطرس رسولاً سوى كونه رسول الختان حتى الذين كانوا خارج الارض المقدسة . ومع ذلك فان قرينة رسالتي الرسول العظيم تبين واضحاً ان (المتغربين في الشتات) الذين وجه اليهم رسالتيه ليسوا هم يهود الاثني عشر سبطاً لاسرائيل الذين كانوا بحسب ولادتهم شعب الله بل بالحري الامم الذين بحسب أصلهم ما كانوا شعب الله بل أنهم أصبحوا بنعمة إلهية شعب الله . جنس مقدس وكهنوت ملوكي (١ بط ٢ : ٩ و ١٠) فاذا كان القديس

بطرس دعا هؤلاء الامم (شتاتاً) فلكون بقبول الامم وصيرورتهم مسيحيين أصبحوا على أسلوب اليهود الذين في الشتات غرباء في وسط الامم غرباء عن الارض المقدسة التي هي الام الوطنية هذا القبول السامي الذي يربط ويحوّل كل كنائس الامم الى كنيسة بلد داود ما أمكنه ان ينبت الا في زوح رسول الختان وهو يكشف لنا الغرض الطبيعي من سفراته الرسولية في وسط كنائس الامم بعد زمن طويل من تأسيسها

الأثر القديم المدون يشخص لنا بالتالي القديس بطرس مجتمعاً مع القديس بولس في مدينة كورنثوس عاصمة اخائية قبل ان ينطلق كلاهما الى رومة (أنظر خطاب القديس ديوناسيوس الكورنثي الى الرومانيين المدون في تاريخ اوسابيوس (ك ف ٤ : ٢٣) وسياحة القديس بطرس في الاقاليم الخمسة التي هي بنطس وغلاطيا وكبادوكيا واسيا وبيتنيا شغلته على أقل تقدير الى ربيع السنة الحادية عشرة من ملك نيرون الزمن الذي نجا فيه القديس بولس من أسره الاول ومكنه من ان يباشر فيه أشغاله . ماذا صنع القديس بطرس مع القديس بولس في هذه عاصمة أخائية ؟ ذهب بلا قيل وقال ومارس فيها معه الخدم الاسقفية وخصوصاً خدمة الكلمة كما يشهد القديس ديوناسيوس الكورنثي بخطابه الى الرومانيين حيث قال(ان الرسولين علما الكورنثيين ومضيا من كورنثوس الى رومة) ومن الواضح ان هذا ما كان الغرض الاساسي لتفوق القديس بطرس على كنيسة مؤسسة منذ جملة سنين وملآنة ابان زمن طويل بتعليم رسولي

ومذخرة من كل الرعاة الضروريين . وانما الغرض الاصلي من وجودهما معاً في كورنثوس وجود رسول الختان ورسول الامم كان ليثبتا الوحدة الغير المنقسمة التي لهما وهكذا وحدة الاضافة الضرورية لكنيسة الامم الى كنيسة الختان احالة كنيسة كورنثوس مثل كل الكنائس الاخرى الاممية التي تبعاً لتعليم القديس بولس كانت تعترف عدة مرار بقضاء ووفاء الاسماقات عن الدين المقدس المفروض عليها لكنيسة الارض المقدسة التي هي منبع الخيرات الروحية التي ساهمتها بهما كنائس الامم (رو ١٥ : ٢٦ و ٢٧)

وأخيراً ان الاثر المدون القديم يرينا القديس بطرس مسافراً من كورنثوس الى رومة برفقة القديس بولس . ذلك لم يكن له محل الا في بحر السنة الثانية عشرة لنيرون بعد سنة من نهاية أسر القديس بولس الاول برومة وقبل موت كلا الرسولين بسنتين . ان تاريخ أوسابيوس والقديس ايرونيموس في تعيين زمن سفر القديس بطرس الى رومة في السنة الثانية لكلوديوس والذي فحصناه من الاساس في مفاوضاتنا السالفة هو ضلال مؤكد لا بالنسبة للآراء التاريخية فقط التي تضمنها سفر الاعمال الذي عن اقامة القديس بطرس الثابتة في الارض المقدسة الى السنة العاشرة للملك كلوديوس بل بالنسبة لاعتراف اوسابيوس نفسه والقديس ايرونيموس أيضاً اللذين أقرا في روايتهما ان القديس بطرس لم ينطلق الى رومة الا بعد مضي سبع سنوات في انطاكيا وبعد ان كرز بالانجيل

في الاقاليم الخمسة الموما اليها في رسالته الاولى وان المقصود من سفره الى رومة كان محاربة سيمون الساحر .

اعلان هذا الاعتراف تقصيه بعيداً ان يكون جرى في السنة الثانية لكلوديوس وتنقله الى السنين الاخيرة لنيرون . من جهة بالنظر لما أوضحناه سلفاً بخصوص زمن اقامة القديس بطرس في انطاكية وتطوافه الرسولي في الاقاليم الخمسة ومن أخرى بالنظر لكون كل الكتبة الغربيين القدماء (وقد روينا أسماء أشهرهم في بحثنا الاول) والتقليد الروماني نفسه مسلم في كتاب جناز الاحبار ان محاربة القديس بطرس لسيمون الساحر كانت في آخر ملك نيرون ويثبت ذاته ان القاء القبض على الرسولين بأمر أمبراطوري قبل موتهما بسنة كان سببه بالتأكيد كسرة الساحر المفجعة الذي كانت له حظوى عظمى عند نيرون

من حيث هذا الادراك . لو كان بطرس لم يكن في رومة الا في ظروف سفراته المديدة في كنائس الامم المؤسسة منذ زمن طويل بواسطة القديس بولس . ولو لم يكن فيها الا باجتماعه مع هذا رسول الامم رسولها الاول ورسولها بعمله . واذا كانت مدة حضوره في كنيسة هذه المدينة هكذا قصيرة محددة بسنتي نيرون الاخيرتين . واذا كان المقصود من حضوره على الخصوص محاربة سيمون الساحر . فاذاً ذلك لايجعله أن يصير الاسقف الخاص لعاصمة المملكة الرومانية وبالتأكيد فانه في مدة اثني عشر أو أربعة عشر شهراً التي عاش فيها بحريته قبل أن يطرح في

السجن مارس الخدم الاسقفية في الكنيسة الرومانية معلماً قواعد الايمان وموزعاً الاسرار ولا نجد صعوبة مافي أنه رضي أن يعظ في رومة في الديماس ويجلس على كرسي من خشب (كاتدرا) كما فعل ذلك في انطاكيا وكورنثوس وفي كل الاماكن الاخرى التي مر فيها

لانجد أبداً أقل صعوبة أنه رضي أن يعمد في نهر التيبر كما عمد يوحنا في الاردن لكن ذلك لايجعله أن يصير أسقف رومة الخصوصي كما انه لم يجعله أن يكون أسقف انطاكيا الخصوصي أو كورنثوس أو المدن الاخرى التي أجرى فيها الوظائف الاسقفية .هذا يدل فقط على أنه بصفته اسقف الختان ومؤسس كنيسة المسيح يسوع الاصلية التي هي كنيسة الختان وقّع بحضوره على ضم عاصمة الامم الى ملكوت داود المرمم وأعلن بعمله الاحالة الضرورية التي تربط الكنيسة الرومانية مثل الكنائس الاخرى الاممية بالكنيسة المؤسسة في الارض المقدسة

على ماذا اعتمد لاهوتيوك ليثبتوا أن القديس بطرس كان أسقف رومة الخصوصي وأنه مات بهذه الصفة ؟ لا على شيء سوى على حجة اوسابيوس العارية من كل أساس تاريخي والتي كررها بحذافيرها القديس ايرونيموس لا على شيء سوى على أمانة اوسابيوس ولكن فضلاً عن ذلك فقد أوضحنا سلفاً أكثر من مرة عدم صدق تاريخ الرواية المتضمنة هذه الحجة الصادر بتكذيبها رسمياً كل الوثائق القديمة التي مدونوها سابقون بكثير لاوسابيوس والقديس ايرونيموس الذين لهم قدمية وشهرة

تاريخية لاتقبل معارضة. هذه الوثائق تتناول الجيل الثاني وتعلمنا أن لابطرس ولا بالاولى بولس افتكر احدهما أن يصير أسقف رومة الخصوصي بل بالعكس فان الرسولين اتفقا بان يرقيا في حياتهما على كرسي رومة لينوس أسقفاً خصوصياً لها وبعد موت لينوس على التوالي رقيا في حياتهما أنا كلاتيوس خليفة له . وأخيراً كأن انا كلاتيوس مات حالاً في اضطهاد نيرون كرس وأقام القديس بطرس اكليمندس الذي صار الثالث من أساقفة رومة والرسولان حيان

هكذا القديس ايريناوس أسقف ليون في غاليا (فرنسا) وتلميذ القديس بوليكربوس الذي كان تلميذ يوحنا الانجيلي كان أرفع من أن يثبت أن القديس تثبت باسقفية رومة بل أوضح بالعكس وهو (أن المغبوطين بطرس وبولس الرسولين علما ونظما كنيسة رومة وسلما الاسقفية وولاية هذه الكنيسة الى لينوس وان لينوس هو أول أسقف لرومة منذ الرسولين الذي خلفه انا كلاتيوس الذي خلفه اكليمندس ثالث رسول منذ الرسولين (جدل ضد الهراطقة ك ١ ف ٣ : ٣)

والقصيدة الشعرية ضد ماركوريس التي هي مؤلفة في الجيل الثاني تثبت أن بطرس رقى وهو حي لينوس ذاته الذي صار أول اسقف لرومة وجعل يعلم الرومانيين الديانة (سير آباء يونان مجلد ٢٠ ف ٣٧٧) وترتوليانوس كان يكتب دائماً في الجيل الثاني بعد ايريناوس مخبراً ايانا أن اكليمندس هو ثالث أسقف لرومة وأن بطرس رقاه كما رقى يوحنا الانجيلي بوليكربوس

على كرسي سميرنا (سقوط الحق مج ٣٢) هذا مايبرهن جلياً على أن الاسقفين الاولين وهما لينوس وانا كلاتيوس ماتا قبل الرسولين وكتاب سير الاحبار الذي هو جزء من التقليد الروماني يخبرنا على المفتوح في سيرة حياة القديس بطرس أن لينوس وانا كلاتيوس الاسقفين الاولين لرومة ماتا في الاضطهاد الذي اثاره نيرون قبل الرسولين بطرس وبولس . وتقليد كنيسة رومة هذا هو سابق بالتأكيد للجيل الرابع ويثبته نص ترتوليانوس. وكذا روفين قس اكليا في الجيل الرابع الذي قال (أن لينوس وانا كلاتيوس صارا أسقفين لرومة في حياة بطرس)[1]

وبالاكثر أن بابوين وهما يوحنا ٢ وليون ٢ اعترفا باخلاص (ان لينوس وانا كلاتيوس ماتا قبل الرسولين بطرس وبولس) ولهذا السبب زعما أنهما تعينا مساعدين لبطرس فقط . وأخيراً ان الكاردينال بارونيوس الذي استلفنا منه رواية سير الاحبار ورواية البابوين يوحنا ٢ ولاون ٢ رأى ذاته ملزماً أن يوافق على أن موت لينوس وانا كلاتيوس كان قبل موت الرسولين وفي الآخر تحزب لرأي ذينك البابوين يوحنا ٢ ولاون ٢ اللذين جعلا لينوس وانا كلاتيوس مساعدين لبطرس لا أسقفين لرومة

(١) مقدمة في حياة اكليمس قبل بطرس الرسول . رسوم الاكابروس (١٦٢٤ و ٤٩٢)

ولكن هذه الحجة هي ضد ماقيل عموماً وضد جدول البابوات الذي خلفته الكنيسة الرومانية نفسها ومخالف على الخصوص للوثائق التاريخية القديمة التي تخبرنا بالاجمال ان لينوس وانا كلاتيوس صار الاول والثاني اسقفين لرومة وان اكليمندس خلفهما وهو الاسقف الثالث لرومة منذ الرسولين . مثل ذلك قال ايريناوس (ان المغبوطين الرسولين علما ونظما الكنيسة الرومانية ثم سلما للينوس الاسقفية والولاية على الكنيسة الرومانية وخلف لينوس (في الاسقفية والولاية على الكنيسة الرومانية) انا كلاتيوس وبعده تحولت الاسقفية الرومانية لاستحقاق اكليمس في الترتيب الثالث منذ الرسولين (جدل ضد الهراطقة ف ٣ : ٣ واردة في اوسابيوس ك ١ ف ٣ : ٥) ومثله هيجيسيبوس تلميذ يوحنا الانجيلي ومؤرخ النصف الاول من الجيل الثاني الذي قال (ان اول اسقف لرومة منذ بطرس كان لينوس والثالث كان اكليميس (آباء اليونان مجلد ٢٠ : ٣٧٧) والكتاب الذي تألف ضد ارتيمون تحت اشراف البابا فيكتور نحو ختام الجيل الثاني قال ان فيكتور ثالث عشر اسقفاً لرومة منذ بطرس) وهذا يفترض ان لينوس وانا كلاتيوس هما اسقفان لرومة مثل فيكتور وان فيكتور خليفتهما غير ان فيكتور لم يكن الثالث عشر بل الحادي عشر اسقفاً لرومة منذ بطرس وكل جداول الاساقفة الرومانيين التي رسمها الأولون مثل اوسابيوس والقديس اوبتاتيوس الذي من ميليفيا والقديس ابيفانيوس والقديس اغسطينوس تتضمن ان لينوس وانا كلاتيوس هما الاسقفان الاولان لرومة

وتطرقت منهما الى خلافة الكنيسة الرومانية الاسقفية .

فاذاً لينوس وانا كلاتيوس اللذان ماتا قبل القديس بطرس والقديس بولس لم يكونا مساعدين لبطرس الذي حسب الادعاء استمر اسقفاً لرومة الى آخر نفسه بل انهما كانا بلا نزاع الاول والثاني اسقفين مخصوصين للكنيسة الرومانية في حياة الرسولين بطرس وبولس وانهما منسوبان بالتاكيد لخلافة هذه الكنيسة الاسقفية بنوع ان اكليمس هو خليفة لينوس وانا كلاتيوس . وان الاسقفية الرومانية أستحقها في ذاك الترتيب الثالث منذ الرسل . فاذاً لما مات (بطرس) لم يكن أسقفاً مخصوصاً لرومة وانما كان أسقفاً مخصوصاً للختان وعاش في مدة الاسقفين الاولين لكنيسة رومة وبموتهما كرس اكليمس الذي صار الاسقف الثالث لرومة

فيثبت اذاً ان بطرس صنع في رومة مطلقاً ما كان صنعه في انطاكيا وذلك بعد ان مارس زمناً الوظائف الاسقفية في عاصمة الامم أعطى لها أول أسقف مخصوص في شخص لينوس ثم ثانياً في شخص انا كلاتيوس بعد موت لينوس وأخيراً ثالثاً في شخص أكليمس بعد موت انا كلاتيوس فالكنيسة الرومانية هي كرسي بطرس بالاطلاق بمعنى كنيسة انطاكيا ذاته لكن لا الواحدة منهما ولا الأخرى أسسها رسول الختان وانما مارس في كليهما بعد زمن طويل من تأسيسهما الخدم الاسقفية بواسطة القديس بولس وقلد اثنتيهما برعاتهما الخصوصيين الذين توالوا في حياته .

هذا العمل يطرح جداً الادعاء بسلطة البابوات التي يحتمها لاهوتيوك

على خلافة بطرس الذاتية وينقضه من الاساس واننا بحسب الواقع نوجه لعلمائك هذه المسألة . لما نصب بطرس وهو حي على كرسي رومة لينوس أولاً ثم انا كلاتيوس هل احتفظ لذاته بالرئاسة على كل الكنيسة أو تركها منة لهذين أسقفي رومة الاولين ؟ فاذا كان احتفظ بذلك لحسابه فيكون الاسقفان الاولان لرومة عاريين لحد الموت من سلطتهما فلا تكون اذاً حقيقية كما يقال وكما يزعم لاهوتيوك ان تلك السلطة مقطوعية لا تنفصل من كرسي رومة واذا كان بطرس تخلى من السلطة كرماً منه للينوس وانا كلاتيوس اللذين نصبهما على كرسي رومة وماتا قبله . فيكون بطرس أيضاً منزوعة منه السلطة ومن ثم لا تكون حقيقية ولا لها ثبات وذلك عكس ما يتقوله لاهوتيوك بأن السلطة هي ملك بطرس لا يبع له ولا رهن بفضل وضعها الالهي

فانظر باية خفة تدك وضع الله في تأسيس الكنيسة وذلك بترام تعليق سلطة البابوات المزعومة على الخلافة التوريثية لبطرس بدون حساب انك تجعل تغييراً في بطرس جاعلا اياه راعياً مخصوصاً لكنيسة امية بعد ان كان رسول وراعي الختان بوضع يسوع المسيح الوضع الالهي الذي لا يباح لبطرس ولا لشخص ان يغير فيه مهما كان السبب . اخيراً ان القدمية تعلمنا ان كنيسة الاسكندرية انشأها القديس مرقس الانجيلي الذي كان تلميذ بطرس ورفيق بولس معاً في خدمته الرسولية. فهنا وجد بخصوصه في تاريخ اوسابيوس والقلدلةايرونيموس الكذب ملموساً اذ ان هذا التاريخ جعل سفر

القديس مرقس من رومة الى مصر السنة الثانية لكلوديوس بعد ان جعله يكتب انجيله في مدينة القيصر مع ان سفر القديس بطرس الى رومة السنه الثانية لكلوديوس لا حقيقة له ممكنة بسبب المدونات التاريخية التي في سفر الاعمال كما اقمنا البرهان على ذلك سابقاً . فضلاً عن كونه موجباً للضحك وهو جعل القديس مرقس يكتب انجيله في رومة في السنة التي جاء فيها مع القديس بطرس وارسله فيها ايضاً الى مصر كأن كلاً (من الرواح والمجيء والكتابة) مرتبط بعمل واحد. وفضلاً عن هذه الاعتبارات اقول ان سفر الاعمال يوضح لنا ان القديس مرقس في السنة الرابعة لكلوديوس كان يقاسم القديس بولص والقديس برنابا في اعمالها الرسولية بانطاكية سوريا وقبرص وبمفيليا وترك في برجيا رسول الامم وبرنابا راجعاً الى اورشليم (اع ١٢ : ٢٥ و ١٣ : ١ — ١٣) وعلى حسب سفر الاعمال الملهم به ان القديس مرقس كان أيضاً في اورشليم السنة العاشرة لكلوديوس فانه بعد انعقاد المجمع الرسولي أراد برنابا ان يأخذه معه في سفراته لكن القديس بولس رفض ذلك قائلاً انه لا يقبل شخصاً رفيقاً تركهما المرة الاولى وعلى ذلك افترق برنابا من القديس بولس وأقلع الى قبرص مع مرقس ابن عمه (اع ١٥ : ٣٧ — ٣٩) وبناء على كل الاحتمالات بعد ان كان مرقس في قبرص توجه الى مصر وكتب انجيله في مكان خدمته الرسولية. وأنا أعرف ان اكليمندس الاسكندري قال ان مرقس كتب انجيله برومة لكن حكمه في هذه النقطة هو قليل الاعتبار جداً من حكم

القديس فم الذهب الذي عاش بعده بمائتي سنة في الجيل الاكثر نورانية من الاجيال القديمة

قال من أعلى منبر المؤمنين (ان انجيل القديس مرقس كتب بمصر (تفسير متى الخطبة الاولى : ٣) فهذا على القليل انه لا يوجد فيه مضادة غير محتمله للمدونات التاريخية فى سفر الاعمال ولا يبقى أقل تأكيد من ان القديس مرقس كان في انجيله مترجماً لبطرس . لان سفر الاعمال يخبرنا ان بيت مرقس فى اورشليم كان المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون للصلاة وحيث أتى اليه القديس بطرس بعد نجاته باعجوبة من سجن هيرودس فلا شك ان هذا كان رأس مجمع الكنيسة ويكرز بالانجيل (اع ١٢ : ١٢)

زعم القديس ايرونيموس فى سيرة القديس مرقس ان رسول مصر مات فى السنة الثامنة لنيرون وقد استخلص هذا الضلال من فقرة وردت في التاريخ الكنيسي لاوسابيوس حيث قال انه (فى السنة الثامنة لنيرون استلم انيانوس ولاية كنيسة الاسكندرية بعد القديس مرقس) فتصور القديس ايرونيموس من ذلك ان القديس مرقس لم يمكنه ان يترك ولاية كنيسة الاسكندرية الا بموته . هذا وهم . فان ترك القديس مرقس ولاية كنيسة لسكندرية لانيانوس بجعله أول أسقف لهذه الكنيسة مكنه ان يستأنف أعماله الرسولية بمرافقة القديس بولس والقديس بطرس ومما يلزم التنبيه انه هذا التاريخ الذي سلم به ولاية كنيسة اسكندرية

لانيانوس يوافق نفس سنة سفر القديس بولس الاول الى رومة لان رسول الامم كتب برسالته لاهل كولوسي فى السنة الاولى من أسره الذي كان فى السنة الثامنة لنيرون قائلاً (يسلم عليكم مرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لاجله وصايا ان أتى اليكم فاقبلوه ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان هؤلاء هم وحدهم العاملون معي لملكوت الله الذين صاروا لي تسلية (كو ٤ : ١٠) وفى رسالته لفليمون التي كتبها من رومة السنة التالية والسنة العاشرة لنيرون يسمي القديس بولس مرقس فى الترتيب الاول من العاملين معه فى الخدمة الرسولية أثناء أسره (فل : ٢٤)

كل ذلك يساعد على تبيان كون القديس مرقس اتم خدمته الرسولية خارجاً عن مصر لغاية موت الرسولين بطرس وبولس وانه كان منتظماً معهم في العمل الرسولي لغاية يوم استشهادهم . وهكذا قال القديس بولس برسالته الثانية الى تيموثاوس التي كتبها من رومة حين اسره الثاني فى السنة الثالثة عشرة لنيرون وقبل موته بسنة(لوقا وحده معي خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لي للخدمة (٢ تي ٤ : ١١)

ومن جهة القديس بطرس فانه كتب برسالته الاولى وهو فى رومة ايضاً وفى ذات التاريخ حين كان الاضطهاد آخذاً حده ضد المسيحيين (١ بط ٢ : ٢٠ و ٢١ و ٤ : ١٢ — ١٩) كتبها الى كنائس بنطس وغلاطيا وكبادوكيا واسيا وبيثنيا قائلا (الكنيسة التي فى بابل المختارة معكم تسلم عليكم وابني مرقس ايضاً (١ بط ٥:١٥)

فبناء على تاريخ اصول كنيسة اسكندرية هذا وخدمة القديس مرقس الرسولية بمصر التاريخ المرتب على نور مدونات الاسفار المقدسة نفسها يكون مجيء رسول مصر اليها من اورشليم من طرف بطرس الذى كان يعيش ايضاً فى اورشليم . وذلك بعد ان مر مع برنابا ابن عمه فى جزيرة قبرص فاذاً كنيسة مصر ليست محقوقة بشيء لرومة بل الاولى وتبعاً للحقيقة أن كنيسة رومة هي المديونة لكنيسة اسكندرية بما أن القديس مرقس مؤسس هذه الكنيسة كان عضد وساعد القديس بولس حين خدمته الاولى الرسولية فى عاصمة الامم والساعد الذي لا يكل للقديس بطرس والقديس بولس في توالي خدمته الرسولية الرومانية التي سبقت موتهما . ثم ان القديس مرقس بعد موت الرسولين عاد الى اسكندرية وقاسى فيها شهادته المجيدة أما خدمته الرسولية بمصر فقد اتمها القديس لوقا الانجيلي الذى تنسب اليه النظامات الرسولية تكريس ابيليوس (ميليو) خليفة على الفورلانيانوس والذى ينسب اليه ميتافراست ونيكيفور هداية صعيد مصر

القسم الثالث

الاساس الوحيد لاولية رومة هو صفتها المدنية بما انها المدينة أم العالم

فها على حساب الوثائق القديمة التي تجاوب بصوت اغن مقدس مع المدونات التاريخية التي فى الكتب المقدسة وتبين أصل حقيقة الكنائس

البطريركية برومة واسكندرية وانطاكيا التي لا واحدة من هذه الكنائس تأسست لمعنى مخصوص لهذه الكلمة بالقديس بطرس رئيس المجمع الرسولي ما عدا كنيسة اورشليم عاصمة الارض المقدسة ومملكة داود المصلحة التي تأسست بعمله الاولي الالهي بشهادة سفر الاعمال فالكنيسة الاسكندرية تأسست بواسطة القديس مرقس الذي جاءها في السنة الثانية عشرة من حكم كلوديوس ومارس الخدم الرسولية في عاصمة مصر وفي حياته سلم ولاية كنيسة اسكندرية لانيانوس الذي كان فيها أول اسقف مخصوصاً والذي اعتبر خليفة القديس مرقس لانه خلفه في الخدم الاسقفية لانه ورث أسقفيته بعد موته

والكنيسة الانطاكية تأسست بواسطة بعض التلاميذ الذين جاؤها من اورشليم بعد موت اسطفانوس ثم بواسطة القديس برنابا المنتدب مخصوصاً من كنيسة اورشليم لهذا العمل وأخيراً بواسطة القديس بولس الذي استحضره القديس برنابا وبشر فيها في السنة الثالثة لكلوديوس . والخدم الاسقفية أجريت أولاً في هذه الكنيسة بواسطة لوكيوس القيرواني ومناين أخي هيرودس رئيس الربع بالرضاعة اللذين وضعا أيديهما على شاول وبرنابا . ثم بواسطة القديس بطرس الذي جاء هذه الكنيسة بعد تأسيسها بزمن طويل وقضى فيها سبع سنوات وكرس افوديوس أول اسقف مخصوصاً لها . افوديوس الذي يقال عنه أنه خليفة بطرس لا لأنه ورث أسقفية بطرس بعد موت هذا الرسول بل لانه خلفه في ممارسة الخدم الاسقفية

ولانه رقي بواسطته أريكة هذه المدينة

والكنيسة الرومانية تأسست بواسطة كرازة بعض تلاميذ مجهولين الذين لم توجد أسماؤهم في الكتب المقدسة ولا في الوثائق القديمة ثم علمها أول مرة القديس بولس الذي أجرى فيها الخدم الاسقفية أثناء سنتي أسره الاول الذي كان في السنة التاسعة والعاشرة لنيرون وعلمها مرة ثانية ورتبها القديس بطرس والقديس بولس معاً لما أتاها الرسولان في السنة الثانية عشرة لنيرون ليحاربا سيمون الساحر حيث مارسا فيها الخدم الاسقفية . ثم سلما الاسقفية الرومانية للينوس وبعد موت لينوس لانا كلاتيوس وبعد موت انا كلاتيوس لا كايمس وأخيراً قاسيا الاستشهاد بيوم واحد في السنة الرابعة عشرة لنيرون . وقد دعي لينوس وانا كلاتيوس واكايمس خلفاء بطرس لا لانهم ورثوا أسقفيته حال موته (الاثنان الاولان ماتا بالعكس قبله في غضون سنة واحدة) بل لانهم أجروا بعده الخدم الاسقفية في الكنيسة الرومانية ولكونه أقامهم بصفة أساقفة خصوصيين لرومة . ويلاحظ أيضاً ان أساقفة رومة القدماء قالوا احياناً عن أنفسهم أنهم خلفاء ووكلاء الرسولين بطرس وبولس لانهم حقيقة أجروا في الكنيسة الرومانية الخدم الاسقفية التي مارسها قبلهم الرسولان العظيمان . وأحياناً لقبوا ذواتهم خلفاء أو وكلاء بطرس بالاختصار لا لان القديس بطرس كان مارس الخدم الاسقفية في الكنيسة الرومانية قبل بولس (هذا بالعكس بالتأكيد وذلك حسب منطوق سفر الاعمال . والجبرية

الرومانية نفسها التي تنصب صورة القديس بولس قبل صورة القديس بطرس) بل فقط لان اسم الاسقفية في الكنيسة العمومية مشتق من بطرس بصفته رئيس المجتمع الرسولي الذي قال له الرب بالانابة عن الكل (وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات) بنوع ان كل الاساقفة هم (على السواء) يدعون خلفاء بطرس كما أظهرنا ذلك في مفاوضاتنا الاولى

فيرى من ذلك من جهة بطرس انه لم يمنح شيئاً من التقدم لاسكندرية على انطاكية بل بالعكس فان بطرس مارس الخدم الاسقفية في انطاكية ولكنه لم يمارسها في الاسكندرية فالكنيسة الاسكندرانية غير مديونة لخدمته ولا لترتيبه الاسقفي لان ذلك خاص بمرقس تلميذ بطرس فهي مديونة لمرقس . وبالعكس فان كنيسة انطاكيا بعد ان تأسست بواسطة رجال رسوليين وبواسطة بولس رسول يسوع المسيح الذي له لقب بطرس عينه تقلدت نظام بطرس الاسقفي الذي بعد ان أجرى فيها الخدم الاسقفية مدة سبع سنوات سلمها أسقفها الخاص بشخص افوديوس . ومن ثم لا يكون التلميذ أعظم من معلمه وكفى له ان يكون مساوياً لمعلمه . فاذا كان لكنيسة اسكندرية أولية على كنيسة انطاكية فلا تكون هذه الاولية نتيجة حاصلة وخاصة بحيث يكون أصلها بطرس وانما النتيجة أصل آخر .

وأيضاً من جهة بطرس أنه لم يمنح رومة أولية على انطاكيا بل بالعكس لان بطرس لم يمارس في رومة الخدم الاسقفية سوى سنتين وبضعة شهور

على أكثر تقدير اذا حسبنا أيضاً زمن أسره مع أنه مارسها في انطاكيا
مدة سبع سنوات كاملة فاذا كان بطرس رسم لينوس وانا كلاتيوس
وا كليمندس الاساقفة الثلاثة الاولين لرومة فقد كرس كذلك افوديوس
أول أسقف لانطاكيا . زد على ذلك أن أصل كنيسة انطاكيا الرسولي
هو أقدم وأفضل من أصل الكنيسة الرومانية وذلك بالنظر لكون تأسيسها
الاول منسوباً لبضعة تلاميذ غرباء ولم تسمع كرازة القديس بولس الامدة
سنتي أسره الاول ولم تسمع كرازة القديس بطرس والقديس بولس الامدة
السنتين اللتين سبقتا موتهما . أما الكنيسة الانطاكية فحق تأسيسها الاول
لرجال رسوليين الذين اسماؤهم الموقرة تدونت في سفر الاعمال وقد سمعت
كرازة القديس بولس مرات متنوعة وكرازة القديس بطرس مدة سبع
سنوات كاملة ومن ثم كانت متمتعة بحريتها التامة . فاذاً كنيسة رومة لم
تملك الاولية على كنيسة انطاكية فهذه الاولية لم تكن حقيقة حاصلة
وخاصة بحيث يكون أصلها شخص بطرس وانما نتيجة سبب آخر .

وأخيراً من جهة بطرس . أنه لم يمنح شيئاً يجعل لثلاث كنائس رومة
واسكندرية وانطاكيا تقدماً على كنيسة أورشليم بل بالعكس والاحرى
أن كنيسة أورشليم وحدها حق تأسيسها الاول ببطرس رسول الختان
الخصوصي . بينما أن الكنائس الثلاث الاخرى التي هي كنائس أممية لم
تكن مديونة له بتأسيسها الاول . لان بطرس في كنيسة أورشليم مارس
رسوليته الاولى بتأسيسه كنيسة الختان والولاية عليها التي هي الاصل

الاساسي للكنيسة العمومية حسب وضع يسوع المسيح الالهي وبكونه
المتصدر في مجمع الاثنى عشر الرسولي الذين هم الاثناعشر أساساً لكنيسة الله
أن سفر الاعمال يحدث في كل فصوله عن عمل بطرس في أرض
الختان لان هذا العمل كان متمماً لمواعيد الرب له بقوله (أنت بطرس وعلى
هذه الصخرة سأبني كنيستي — أرع خرافي — ثبت اخوتك) ولكنه
يجتاز بسكوت عن عمل بطرس في كنائس الامم لانه لم يكن عملاً مخصوصاً
وحسب طبيعة أوليته الالهية . فاذا كان لكنائس رومة واسكندرية
وانطاكيا التقدم على كنيسة اورشليم فحقاً ان هذا التقدم لم يأت من مكان
خاص يصل اصولها ببطرس بل من مصدر مختلف بالكلية . واذا كانت
اورشليم هي أبداً مدينة داود الملكية المدينة المقدسة حيث قبر المخلص
المجد وحيث مكان العشاء السري الذي حل فيه الروح القدس على الرسل
ومهد واصل الكنيسة العمومية ومحط رحال بطرس الرسمي وكل المجتمع
الرسولي فاذاً اقول مطلقاً ان اورشليم خضعت بنظام لمدينة قيسرية التي لم
ير فيها بطرس سوى بضعة ايام لهداية كرنيليوس وناسه فهذا يكون
اوضح برهان ومن لم يره يكون اعمى على ان مثل هذا النظام لم يكن
مصدره الهياً بل بشرياً بحتاً وان هذا النظام البشري البحت لا يمس بشيء
كل الحقوق الناتجة عن الوضع الالهي للكنيسة ويتحدد باعمال بشرية بحتة
محددة بطبيعة هذا النظام

ومن المؤكد انه في الوقت الذي ترى فيه قديماً رومة واسكندرية

وانطاكيا اصبحت ثلاثة مراكز اولى لكل الكنيسة ترى في نفس الوقت كنيسة اورشليم خاضعة لمركز قيسرية بصفة كونها مركز مطرانيتها (راجع مجمع نيقيا قانون ٦ و ٧) لماذا وضعت المدينة المقدسة لقيادة مدينة أخرى في وسط بلاد الختان ؟ بالتأكيد ان السبب لذلك ليس هو انحطاطاً ذاتياً خصص لها بالنظر الى قيسرية لان جانب اورشليم بالنسبة للوضع الالهي هو انه أصل ومركز المسيحية المكان الذي اكملت فيه كل اسرار سلامنا وعاصمة مملكة يسوع المسيح ملك اسرائيل ومنشأ كل الكنيسة لانه منها كانها ارومة تفرعت كنيسة قيسرية وكل كنائس الختان من بادىء بدء ثم كل كنائس الامم في الزمن وحسب الامر الذين حددها الخاص نفسه . فالسبب الوحيد الذي خضعت به المدينة المقدسة في النظام الكنيسي لقيسرية كأنها البلد الام لها هو من جهة نظام فلسطين السياسي المعمول من الامبراطورية الرومانية في وقت تسلطها فان اورشليم لم تكن قاعدة هذا الاقليم اذ لم تكن لها أهمية في اعين عظماء العالم بل كانت قيسرية البلد الساحلية فعظمها الرومانيون وشرفوها باسم قيصر ومن جهة أخرى النظام الكنيسي وافق بهذه الاسباب العوابية النظام السياسي .

وبهذا السبب ذاته حددت قسمة الكنيسة العمومية الى ثلاث بطريركيات وتحديد درجاتها المعتبرة لان الحكومة الرومانية كانت حينئذ ثلاث ولايات مدنية ولاية الغرب وعاصمتها رومة وولاية مصر وعاصمتها اسكندرية وولاية الشرق وعاصمتها كانت انطاكية . وبين هذه المدن

الاساسية الملكية رومة وقد امتازت بأول درجة بصفتها مركز الامبراطورية وتليها في الرتبة الثانية الاسكندرية بسبب عظمتها الملكية التي منحها لها البطالسة بالنظر لاهميتها الجغرافية والذاتية[1] وانطاكية لم تأت الا في الدرجة الثالثة لانها لم تكن باهمية وجلال اسكندرية . ومجمع نيقيا العظيم ايضاً بتثبيته هذا النظام الكنيسي سواء كان مما يناسب اتساع وامتياز المدن الاقليمية وعلى الخصوص قيسرية التي تبعتها اورشليم وسواء كان مما هو مناسب لاتساع وامتياز البطريركيات الثلاث وهي رومة واسكندرية وانطاكيا اعلن بانه تصرف بذلك عن عادة قديمة (مجمع نيقيا قانون ٦) تلك جملة تدل على وضع بشري من الاصل لا على وضع الهي

فان المسيحية القديمة ما فهمت ابداً هذا النظام على خلاف فهم الثلاثمائة وثمانية عشر أباً في نيقيا فان مجمع انطاكيا في القانون التاسع يعيّن بايضاح السبب الذي جعل الكنيسة ان ترسم نظامها على نظام المملكة وان تقيس امتيازات الاساقفة على امتيازات المدن التي يرأسونها (بقوله) أن اسقف المدينة المطرانية مفوض اليه الاهتمام في الابرشيه كلها لاجل ان (انظر السبب الوحيد) جميع ارباب الدعاوي من كل ناحية يبادرون الى مدينة المطرانية لذلك قد استبان لنا صواباً من باب اولى ان يتقدم في

---

(١) اميان ماركلين في ك ٢٢ من تاريخه يدعو اسكندرية انها تفوقت على جميع البلدان

وهيروديان قال في كتابه ٣ (اسكندرية نالت الرتبة الاولى بعد رومة)

الكرامةايضاً (مجموعة المجامع مجلد ٢ وجه ٥١٦) وقبل مجمع انطاكيا انعقد مجمع تورين في الغرب في آخر الجيل الثالث وقيد هذا الامر الذي برهن عليه الذي يحوي هذا الفهم وهو اصل وطبيعة النظام الكنيسي (بقوله) (بالنظر للنزاع الحاصل بين اسقف ارليس واسقف فينا بسبب الاولية (في ذات الاقليم) أمر المجمع المقدس بان المقدم فيهما من يثبت من اثنيهما ان مدينته هي المطرانية وانها حائزة على شرف الأولية على كل الاقاليم وان لها القوة على اصدار الاوامر حسب منطوق القوانين (مجموعة القوانين مجلد ٢ وجه ١١٥٦)

ان المجمع المسكوني الخلقدوني (١) لنهى هذا الموضوع بكلمته الاخيرة سجل هذا البند الذي هو الـ ١٧ من قوانينه المجمعية (قائلاً (ان كانت قد تجددت أو ستجدد فيما بعد مدينة من سلطة ملكية فليكن ترتيب الابرشيات الكنيسية تابعاً لصفة الحكومة المدنية) يعني بالفرنساوي الفصيح اذا كانت هذه المدينة الجديدة أصبحت بأمر امبراطوري مطرانية سياسية فتصبح أيضاً وبالفعل ذاته مطرانية كنيسية

فانظر لماذا كان نظام المطرانيات الاقليمية وكيف فهمت الاقدمية حالاً من مجمع نيقيا جوهر النظام الكنيسي بالنسبة للثلاثة مراكز البطريركية ودرجة كل منها في الاعتبار . قال المجمع المسكوني الثاني في القانون الثالث

(١) المترجم . الكنيسة القبطية لا تعتبر هذا المجمع

(وأما اسقف القسطنطينية فلتكن له أولية الكرامة بعد اسقف رومة بسبب كون (أرجوك ان تلاحظ ذلك) القسطنطينية هي رومة جديدة) ان المجمع السابع المركب من ٦٣٠ اسقفاً قال بصريح العبارة كلمته الاخيرة عن هذه المسألة راسماً هكذا قانونه الـ ٢٨ « ان الآباء (لا يسوع المسيح) بمقتضى الصواب اعطوا التقدم لكرسي رومية القديمة لاجل تملك تلك المدينة (انظر السبب الوحيد) وبذلك القصد نفسه قد تحرك الاساقفة الـ ١٥٠ المحبون لله فمنحوا مساواة التقدم لكرسي رومة الجديدة الجزيل قدسه أذ قد حكموا بالعدل والصواب بان المدينة التي تكرمت بالملك ونبلاء الدولة وحظيت بمساواة التقدم لرومة المتملكة القديمة بانها تعظم مثل تلك وفي الامور الكنيسية ايضاً لكونها ثانية في الترتيب بعدها »

والسبب في كون القسطنطينية ساوت رومة كنيسياً لانها تساوت بها مدنياً . وسبب كون رومة ما زالت تحتفظ بدرجة شرفها الاولى هو لانها ما زالت مدينة ملكية ولكونها اقدم من القسطنطينية بهذه الكرامة . أنا أعرف ان وكلاء البابا لاون الاول احتجوا ضد هذا القانون الذى لم يكن لذلك الوقت توقع عليه على الاقل من الـ ٦٣٠ اباً خاقيدونياً . وأنا اعرف أن البابا ذاته احتج عليه بحجة (أن امتيازات الكنائس التي وضعها الآباء وعينتها اوامر مجمع نيقيا لا يمكن ان تزعزع بأقل تجديد (خطاب لاون الى الامبراطور مارقيان) في نظره أن القانون الـ ٢٨ لمجمع خلقدونيا هو مرفوض من الاصل بقدر ما هو مناف لقواعد نيقيا التى ترتبت بروح الله ذاته

وتخصصت أن تستمر الى آخر العالم بنوع ان مطرانيات الاقاليم لا ينبغي أن تعرى ابداً من امتيازاتها القديمة مثل مركز اسكندرية الذي لا يجب ابداً ان يفقد اهليته التي استحقها بمار مرقس تلميذ بطرس

ومثل كنيسة انطاكيا التي حرزت اسم المسيحية بكرازة الرسول بطرس (يا للكلام الفضولي . ان سفر الاعمال يقول صريحاً ان انطاكية حازت اسم المسيحية بواسطة كرازة بولس) فتستمر في النظام المحدد بقوانين الآباء فيكون لها الرتبة الثالثة ولا تنزل منها ابداً الى اسفل (خطاب لاون الى اناطوليوس القسطنطيني) .

واعرف أكثر جداً ان خلفاء القديس لاون (وفي عرف الكنيسة القبطية ليس قديساً . المترجم) لم يظهروا باقل ثبات في المحاماة عما يسمونه (عدم مس قوانين نيقيا المرتبة بالروح القدس ذاته والكفالة بها الى نهاية الدنيا بان كنيسة اسكندرية لها الدرجة الثانية وكنيسة انطاكيا لها الرتبة الثالثة) ان نيقولاوس الاول الخصم الشهير لفوتيوس ١ قال) بخطابه الى مجلس شورى بلغاريا الخطاب المحرر سنة ٨٦٦ وبلغ في زعمه (الى حد ان قال) انه لايوجد في المسيحية سوى ثلاث كنائس اصلية رسولية وهي رومة واسكندريه وانطاكيا ولهذا السبب ان هذه الثلاث كنائس وحدها هي بطريركيات (خطاب مجلس شورى بلغاريا نمرة ٩٢) وبالنظر للصف الثاني لانه تعين منذ القديم لكنيسة اسكندرية واضاف على ذلك هذا الشرح النفيس (بحسب ماتتمسك به الكنيسة الرومانية المقدسة وبحسب

ما ادمج في القوانين النيقاوية وبحسب ما ان الحق ذاته يعلم ان بطريرك اسكندرية هو الثاني من البطاركة بعد بابا رومة (منشور نمرة ٩٣)

واعرف ايضاً اكثر بكثير ان غيرة هؤلاء البابوات الرسولية حملتهم على ان يتصدوا لارتفاع القسطنطينية ويفقدوا الصواب من شدة سرورهم يوم اصبح اللاتين اسياد هذه المدينة واقاموا اسقفاً عليها من طقسهم . ان البابا اينوشنسيوس ٣ لم يكن من ثم ليغني في وجود كنيسة القسطنطينية بصفة مركز بطريركية فقط بل صيرت لها الاولية الكبرى ايضاً على الثلاث كنائس البطريركية وهي اسكندرية وانطاكية واورشليم فانه في الخطاب الذي حرره الى أول بطريرك لاتيني للقسطنطينية في بدء الجيل ١٣ استخدم اللهجة التالية (وما بين الاربع حيوانات الموصوفة بانها حول العرش . يحمل حزقيال وجه النسر فوق الحيوانات الأخر . لان من ضمت الاربع الكنائس البطريركية المرموز اليها بهذه الحيوانات والكنائس التي في دائرة الكرسي المقدس (رومة) بصفتها خادمات (له) ترتفع كنيسة القسطنطينية) ومن ذاك الحين بفضل هذا الامر صار اساقفة اللاتين في القسطنطينية بطاركة واول البطاركة والكنائس اصبحت خادمات بسيطات للكنيسة الرومانية ومن ذاك الحين انكفت قوانين نيقيا عن ان تكون مرتبة بروح الله نفسه وانها معينة ان تستمر الى انقضاء الدهر وان حرمتها هذه كافلة بغير تغيير . لكنيسة اسكندرية الدرجة الثانية ولكنيسة انطاكيا الرتبة الثالثة . ومما هو جدير بالالتفات ايضاً ان الحق ذاته كف عن التعليم بان بطريرك

اسكندرية له المقام الثاني ضرورة بعد باباروما . هذه الثورة في تصورات الرومانيين بلغت اقصى درجة بحيث ان البابوات اذاعوا انهم اكتشفوا في حزقيال ان الروح القدس ذاته كان يرمز بالحيوانات الاربعة التي حول عرش الله الى الاربع كنائس البطريركية وهي القسطنطينية واسكندرية وانطاكية واورشليم التي هي حول عرش البابا بصفة خادمات وان كنيسة القسطنطينية المعينة بشكل حيوان كان لها وجه نسر اذ كانت لها الاولية بلا نزاع على الثلاث الأخر

ليست نيتي ان افحص طبيعة اتانية نفس ما رأوا انه موجود موافقاً للروح القدس وللعقل ذلك الذي أعلن سلفاً انه مستحيل وانه ضد الذوق السليم والترتيب الالهي . وانما عينت ذاتي أن الاحظ أن البابوات فرغوا أن يروا في الترتيب مراكز البطاركة فهم الكنيسة الجامعة له الذي كان عندها منذ البدء أنه وضع بشري محض وانه نتيجة قيود سياسية من امبراطورية الرومان في القديم وأن هذا الوضع ليس هو غير قابل التغيير بالنظر لقاعدته التي اسس عليها وانه ليس له مزية عدم التحوير والتعديل ذلك حق فان البابوات لم يعنوا بالتأمل مثل مجمعي القسطنطينية وخلقدونية المسكونيين في الوقت الذي لم يعودوا يخافون فيه من الشرق لانفصاله عنهم ولأنهم اكتفوا سلفاً أن يثبتوا بخضوع الشعوب الجديدة الغربية لسلطتهم البطريركية نظرية سيادتهم الالهية على الكنيسة الجامعة . لكن هذا الانقلاب ذاته هو القضاء الشرعي على هذه النظرية . فانك تفرز

جيداً ان للبابا صفتين احداهما صفة البطريركية الغربية التي جاءته من طريق الوضع الكنيسي او البشري والاخرى سيادته المطلقة على الكنيسة التي جاءته من طريق الوضع الالهي

لا يوجد أقل اعتراض الا على هذه القسمة الوهمية لان الكنيسة الجامعة التي تمثلت في المجمع الثاني والمجمع الرابع المسكونيين لم تتكلم لا عن صفة بابا رومة بصفة كونه بطريرك الغرب بل عن تفوقه بالاولى او رتبته الاولى في الكنيسة وتذيع صريحاً ان هذه الاولية ليست وضعاً الهياً بل وضع كنيسي من أصل بشري بحت فنقول ان الاباء (لا يسوع المسيح) اعطوا التقدم لكرسي رومة القديمة بما لها في الاصل من الاولية في الكنيسة وان اصل هذا الامتياز الوحيد هو انها المدينة المالكة وبذلك فقط نالت التقدم على اسكندرية وعلى انطاكيا اللتين كانتا بعدها مدينتين أوليين في المملكة وبما ان القسطنطينية اصبحت المدينة المالكة مثلها ورومة جديدة فيجب ان تحرز الاولية مثلها على كل المراكز موافقة للاساس القديم .

ان متن الست مائة وثلاثين اباً الخلقيدونيين هو واضح للغاية ومعارض لزعم رياسة البابوات حتى ان السيد تيليمونت علق عليه هذه السطور في تاريخه الكنيسي (مجلد ١٥ وجه ١٠٧) ان القانون الـ ٢٨ لمجمع خلقدونية يظهر انه لا يعترف بأية سلطة خصوصية لكنيسة رومة الا ما هو ان الآباء كانوا منحوها بما انها مركز الامبراطور وانه ينسب ذلك

بالتمام للقسطنطينية بقدر ما لرومة ما عدا التقدم

أجل ذلك ما كان فان . مجمع خلقيدون ذاته نقل الى القسطنطينية استئناف شكاوي الاساقفة الذي كان مسموحاً به لرومة القديمة مدة جيل سالف سمح لها به مجمع سرديكا (بقوله) « اذا حدثت خصومة لكليروسي فيما بينه وبين أسقفه أو أسقف آخر غيره فليتشارع لدى مجمع الابرشية وأما اذا كان اسقف أو اكليروسي مخاصماً لمطران الابرشية نفسها فليأت الى اكسرخس الولاية أو الى صاحب كرسي القسطنطينية المدينة المتالكة ويتشارع قدامه ق ٩ » (١)

فلاحظ انه لا يهم كثيراً الآن ان نعرف اذا كان قانون ٢٨ لمجمع خلقيدونية كان له أو لم يكن التأثير حالاً في ارتقاء كنيسة القسطنطينية الى أول رتبة بعد كنيسة رومة مع انه كان حقيقياً وذلك بالرغم عن معارضة البابوات فان كنيسة القسطنطينية حرزت حالاً الرتبة الاولى بفضل هذا القانون لانه ينتج من أعمال المجمع الخامس المسكوني (المترجم. لا تعتبره الكنيسة القبطية) ان اسقف رومة الجديدة كان له التقدم على بطريرك

(١) ان البابا نيقولاوس الاول أورد نص هذا القانون اللاتيني بخطابه الى الامبراطور هكذا

(اذا كان لاحد الاكليروس دعوى على أسقفه أو على آخر فليتحاكم معه في مجمع الابرشية . وأما اذا كان لاسقف أو لاحد الاكليروس نزاع مع مطران الابرشية نفسها فليتوجه الى اكسرخس الابرشية أو الى مركز كنيسة القسطنطينية الملوكي . آباء اللاتين ١١٩ مج ٩٤٤) لكنه شرحه شرحاً مضحكاً

اسكندرية وبطريرك انطاكيا . فان أوتاخيوس بطريرك القسطنطينية هو الذي تصدر في هذا المجمع المسكوني ومما هو جدير بالالتفات أيضاً ان البابا فيرجيليوس أرسل لهذا أوتاخيوس تحريره المشهور الذي به يعلن انه ينكر كل ما فعل وكتب سالفاً في سبيل الدفاع عن الثلاثة فصول ثم صدّق بالتمام على كل قرارات المجمع الخامس فيما يخص هذه المسألة

قلت ان ذلك لا يهم كثيراً . لان الشيء الجوهري لنا هنا هو ان نتحرى في قوانين المجمع الثاني والرابع المسكونيين التفسير الصحيح لقانون ٦ من قوانين نيقيا وهو اعتقاد المسيحية القديمة العام في طبيعة وأصل الاولية في انحاء الكنيسة أنها بشرية محض هذا الاعلام الخالص الذي للكنيسة الجامعة القديمة الذي استوثق في ثلاثة مجامع مسكونية لم يمنع لاهوتييك ان يزعموا ان سيادة أساقفة رومة الالهية علا كل تاريخ الكنيسة تاريخ الاجيال الثلاثة أولاً ثم تاريخ السبعة مجامع المسكونية . واني لا نخصن معك هذا التاريخ ونبدأ بالاجيال الثلاثة الاولى المسيحية لنرى اذا كانت المسيحية القديمة أقرت للبابوات بشيء آخر سوى الاولية التي منحت لهم بسبب (عادة قديمة) يعني (من الآباء وبسبب أوليتها المدنية)

الفصل الثاني

أولية رومة ليس لها صفات السيادة

لا شيء يكشف جيداً شواذ المعقولية الرومانية الا تحليل المجلة (رومة والشرق) لتاريخ الاجيال الثلاثة الاولى التي ألقيتها أمام عينيّ بقولها (ما فوق كل ترتيبات الكنائس المختلفة المؤسسة على نقط الكرة الارضية المختلفة بخروجها من الجيل الثالث توجهت انظارها (نياتها المنمشة) الحادة للاتحاد المسيحي ونحو سيادة كنيسة رومة الفردية . ان الاحبار الرومانيين لم يترددوا أبداً بحسب واجباتهم عن ان يسوسوا كل المسيحية . والمسيحية في دورها لم تر أبداً في ممارسة هذا الواجب كاختلاس لحقوق الغير ولا في خضوع كل الكنائس كأنه طاعة غير لازمة ومخجلة لكنيسة رومة حسماً للمشاجرات التي تحدث مع أي شخص أو أية كنيسة خصوصية فان حق سهر المركز الروماني على كل الكنائس الاخرى وتداخله بسلطة في المسائل الخاصة بالايمان والتهذيب وتقاليد الكنيسة الجامعة لم تكن المسيحية تجهل ذلك أبداً بغض النظر عن بعض المنازعات الجزئية التي كانت تزول حالاً . والمؤمنون بمعزل عن رومة ما كانوا يجدون أقوالاً مشة بالكفاية تبين الحماسة والوقار التي تبديه والطاعة التي بها يصيرون

بها ملتزمين ان يلتفوا حولها وان شوق المؤمنين التقوى والرعاة كان على الدوام متجهاً نحو رومة وفي كل مكان الواحد يتشوف ان يعرف أشاراتها وتعليمها وفي الفرصة المناسبة يحج لزيارتها . والمطلعون على أسرار الحركات الدينية يتقصون ان يكونوا مقبولين في هذه الشركة ويتطلبون حماية سيادتها المسكونية بتداخلهم في قرني رؤسائها . احسانها العظيم الغذائي كان يسعف في أبان الاضطهاد والنكبة الطامية الاقاليم البعيدة مثل أقليم الكبادوك والعربة . والتفاتها كان يشرف على المنازعات التعليمية التي كانت تقلق جداً بعض البلاد وهكذا أمكنها ان تحتج على اوريجانوس بشروحاتها ضد تعاليمه المغايرة وتذكّر الارثوذكسية بقوة ومكانة رئيس أساقفة مصر . وفي أثناء مطالبة اثنين بمركز انطاكيا حكم الامبراطور اورليان ان الافضلية تعطى لمن هو في شركة رومة وهذه هي النتيجة التي قالتها المجلة . ان الزيادة المطردة في ما تضمنه تاريخ الزمن الاول المسيحي من المصالح سجلت مزايا البابوات بصفة كونهم خلفاء بطرس وذوي الكرسي الروماني (مجلة رومة والشرق صحيفة ٢٠٤ — ٢٠٦)

مسودة هذه المعرفة السطحية تضايق الروح جداً اذا قسناها بتاريخ الاجيال الثلاثة المسيحية فان الاعمال التي استنتجتها شرحتها بجنون أو أخفتها فان الكنيسة في ذلك الزمن الاول الخارجة بالكاد من تحت ايدي الرسل مؤسسيها الالهيين عرفت تماماً ما هو تركيبها الالهي ووافقت تصرفها مع هذه المعرفة والرسوم التي تتعلق بها بالرغم عن اضرار الزمن

وسيف المضطهدين . ومن ثم ان كل هذه الرسوم المتفقة تصوّر الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة بنوع أنها تنفي مُن الاصل سيادة كنيسة رومة وتؤيد الوحدة الكنيسية وقواعد ايمانها بمعزل عن السيادة السامية والمعصومة (المزعومة) لذلك الاسقف . ومن جهة أخرى أنها (تلك السندات) تعلمنا انه لا زمناً مسيحياً أنتج (مثل الزمن الاول) خسارة للاحبار الرومانيين منذ ارتأوا ان يخاطبوا الكنائس بصوت السيادة وعدم شرعيتها لكونها مضرة بالوحدة والسلام المسيحي . لكن المجلة الرومانية كانت أبعد من أن ترى هذا في سندات الاجيال الثلاثة الاولى بل رأت فيها بالعكس

(أولاً) زعمت ان الكنيسة منذ الابتداء تكوّنت من جملة حالات مختلفة على وجه الارض ولذا كانت أوضاعها مختلفة . هذا كذب . فاننا سنقيم الدليل على ان كل الكنائس من الاصل كان لها تركيب متماثل وان هذا التركيب نفسه ينفي سلطة الكنيسة الرومانية

(ثانياً) تدعي (المجلة) انه بخروج الاجيال الثلاثة كانت النية منتعشة جداً بالوحدة المسيحية وبالسلطة الفردية للكنيسة الرومانية . هذا غلط وسنقيم الدليل على ان الكنيسة في الاجيال الثلاثة الاولى كان ضميرها منتعشاً جداً بالوحدة المسيحية وفي الوقت نفسه كانت سريرتها حية جدا باتحادها الذاتي أو بمساواة فروعها الكاملة الوضعية المتساوية التي تنفي قاعدة السلطة الكنيسية الرومانية

(ثالثاً) تزعم انه في ذلك الزمن كانت الكنيسة الرومانية بسلطتها الفردية ساهرة بحق وواجب على كل الكنائس أو بعبارات أخرى أنها كانت محوراً لكلها نظراً للايمان والتعليم العام . هذا غلط . وسوف ندلل على ان الكنيسة الجامعة ما كانت تعرف في ذلك الزمن مثل هذا الحق أو الواجب للكنيسة الرومانية وانها كانت راسخة بالاولى على نظام عام لايمان وتعليم كل الكنائس

(رابعاً) تدعي ان الكنيسة الرومانية في ذلك الوقت ما كان لديها سوى منازعات عرضية مع شخص ما أو كنيسة خصوصية ولكن بمجموع المسيحية ما كان يجهل سلطتها وبالعكس فان الكنيسة الجامعة كانت تحترم دائماً أحكامها . هذا خطأ . وسندلل على ان هذه المنازعات كانت موجودة مع أعاظم القديسين والكنائس المشتهرة جداً في الاجيال الثلاثة الاولى وان كتلة المسيحية اتخذت ذلك ذريعة وقاومت بهؤلاء القديسين وهذه الكنائس مغالاة (جنون) العظمة التي برزت من رومة وبفرصة هذه المنازعات تجد ان الكنيسة أنكرت فعلاً ونظرياً سلطة الكنيسة الرومانية على الكنائس الأخرى

فهاك الحجج الاربع التي نبادر الى فحصها مع ما يتبعها من الادلة . ولكن توجد حجة خامسة لا يمكنني أن أفهمها لا بالحس ولا بالفهم ومفهومها هكذا (حسنة الكنيسة الرومانية وأقوالها الوافرة كانت تسعف بها وقت الاضطهاد والبلاء العام الاقاليم البعيدة جداً مثل أقليم الكبادوك والعربة)

كيف يبرهن هذا على سيادة رومة على كل الكنائس ؟ ان علم منطقي الحقير لا يدرك ذلك . وفي القديم هل كانت الكنيسة الرومانية وحدها في هذه القدمية في كونها ترسل الصدقات الى الكنائس الاخرى ؟ أبداً فان سفر الاعمال (١١ : ٢٩ و ٣٠ و ١٢ : ٢٥ و ٢٢ : ١٧) ورسائل القديس بولس (١ كو ١٦ : ١ — ٤ ٢ كو ٩ : ١ — ١٤ رو ١٥ : ٢٥ — ٢٧ غل ٢ : ٩ و ١٠) كل هذه المدوّنات الموحى بها تعلمنا ان كنيسة انطاكيا وكل كنائس الامم كانت لها عادة مستمرة ان تساعد بخيراتها الزمنية كنائس الارض المقدسة الفقيرة فالكنيسة التي في وقت الاضطهاد والبلاء العام تمد يد المساعدة بصدقاتها لتلك الكنائس الاخرى التعسة هل تصبح بذلك سيدة وسلطانة هذه الكنائس الشقية ؟ على هذا الحساب ان كنيسة انطاكيا وكل كنائس مكدونيا والعربة التي على حسب شهادة الكتب الالهية كانت بعوائدها المستمرة في سد احتياجات كنيسة اورشليم الزمنية أعظم من هذه الاخيرة وسيدة لها ولكن القديس بولس يصرح لنا ان ممارسة عمل احسان (كنيسة) من نحو أخرى لا يدل أبداً على سيادة للاولى على الأخرى وبعكس ذلك بالاولى فان كنائس الامم كانت تساعد بصدقاتها كنائس الختان الفقيرة معترفة ومؤكدة ان كل خيرات كنائس الامم الروحية صادرة لها من كنائس الختان . فلو كانت لنا جرأة علماء لاهوتييك لامكننا ان ندعي بأقوى أمثولة حقة ونقول ان الكنيسة الرومانية بأسعافها بصدقاتها الكنائس الفقيرة في الكبادوك والعربة يكون

ذلك اقراراً منها وتأكيداً ان كل الخيرات الروحية أتتها من الشرق أو لكي استخدم لسان القديس بولس أنها (بهذا العمل الاحساني تسدد ديناً مقدساً) نحو هذا الشرق أصل ايمانها ؛ فأحكم أنت نفسك هل هذا القياس المنطقي أما هو أمتن من قياس مجلتك ؟

القسم الاول

﴿ سيادة رومة ينفيها ترتيب كل الكنائس الذي كان لها منذ البدء ﴾

لأي غرض تريد المجلة الرومانية ان تزوّق الكلام بدون ان تورد فيه بالاولى أي دليل بأن الكنائس التي أنشئت بأحوال مختلفة من الارض كانت في غضون الاجيال الثلاثة الاولى ذات تراتيب مختلفة ؟ بلا مرية لاجل ذلك تصوّر البسطاء انه بالنسبة لهذا الانقسام ما كان للكنائس هذا الترتيب في بدء المسيحية اذ لم يكن أساساً رسولياً وكان يمكنها لهذا السبب ان تقبل التغيير حالاً وتطيع أسقف رومة كما نرى ذلك اليوم في كنائس الغرب لكن لا أكذب من هذا الزعم . والحقيقة ان كل الكنائس بلا شواذ من زمن العصر الرسولي كان لها لا الايمان الواحد فقط والاسرار الواحدة بل أيضاً نفس سلسلة الوظائف التي بها كل الاساقفة متساوون بحق إلهي ونفس الكيفية في اختيار أساقفتها الخصوصيين التي بها تقصي بالكلية تدخل أسقف رومة

ان اعتقاد الكنيسة الرومانية المتأخر (المعاصر الجديد) هو ان
الاساقفة ليسوا اخداناً للبابا بل خدمة وله عليهم السلطة المطلقة . في حين
أن اعتقاد الاجيال الثلاثة الاولى هو بالعكس وهو ان اسقف رومة وكل
الاساقفة الأخر في العالم هم اخوان رصفاء شركاء في الاسقفية شركاء في
الخدمة الكهنوتية شركاء في توزيع الاسرار العبارات التي تشرح جميعها
الوحدة الاخوية وتفيد المساواة الكاملة لكل اعضاء هذه الوحدة في
نفس القوة ونفس الخدمة الالهية

أن اعتقاد الكنيسة الرومانية المتأخر يريد أن يكون البابا وحده
السيد الرسولي ويملك وحده سلطان بطرس في حين أن اعتقاد القرون
الثلاثة الاولى يسجل العكس وهو أن كل الاساقفة سواء كانوا اساقفة
الكنائس التي اسسها الرسل والاساقفة الرعاة الذين تعينوا من (الاساقفة
الاولين هم خلفاء الرسل وحائزون كل سلطان بطرس الرسول الالهي
الذي قال عنه الرب (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي
وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات وكل ما تربطه على الارض يكون
مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الارض يصير محلولاً في السموات
— ارع خرافي واغنامي — ثبت اخوتك)

تلك نظرية القديس كبريانوس واوريجانوس الواضحة المخصوصة
هي نظرية الآباء المتأخرين (عنهما) وقد لخصناها في مفاوضاتنا السا
حيث يمكنك ان تعثر عليها ونزيد هنا ان القديس كبريانوس اسقف

قرطجنة التي لم تكن من وضع رسولي والقديس فيرميليانوس اسقف
قيسرية في الكبادوك الذي كان الرسل أسس كنيسته قال احدهما والآخر
(الاساقفة خلفاء الرسل بفضل الرسامة الاسقفية) [1]

أن اعتقاد الكنيسة الرومانية المتأخر هو أنه يجعل البابا وحده خليفة
الله ويسوع المسيح لا في كنيسته رومة فقط بل في كل الكنائس الأخرى
زاعماً أنه وحده استلم مباشرة السلطة على كل كنيسة وأن الاساقفة الآخرين
تقلدوا سلطانهم لا مباشرة من يسوع المسيح بل من البابا . وهكذا
الاساقفة الذين في الشركة الرومانية يقرُّون انهم اساقفة « بنعمة الله وبنعمة
البابا[2] » ويعترفون أن كنائسهم ترتبط بالبابا اكثر من ارتباطهم به تعالى . في
حين أن اعتقاد الازمنة الثلاثة الاولى يضاد ذلك . قد شهد القديس اغناطيوس
الانطاكي الذي كان تلميذ بطرس مباشرة أنه لا يوجد في كل كنيسة وكيل
لله ويسوع المسيح الا اسقفها الخصوصي (لان هذا في كنيسته هو عنوان
الاب (رسالته لتراليانوس (ف ٣ : ١) ان الاسقف في كنيسته متقلد
السلطان من الله الاب (لاهل ماغنيسيا ف ٣ : ١) الاسقف في كنيسته
يقوم مقام الله (لماغنيسيا ٦ : ١) لان الاسقف الذي يتولى كنيسته

(١) رسالة فرميليانوس الى كبريانوس ورسالة كبريانوس الى بوبيانوس ٦٩)
(٢) المترجم — قال هذا المغبوط مثل ذلك في خطابه الذى وجهه الى غبطة
بطريركنا لما رقاه البابا كرسي الاسقفية والوكالة البطريركية

الخصوصية لم يستلم زمام الحكم عليها من بشر ما مثل البابا بل أنه (مرسل من الاب السموي ذاته ليملك على اسرته وبهذا اللقب يجب أن يوقر مثل الرب نفسه (لاهل افسس ف ١:٦) أنه الاسقف المنظور فى كنيسته وأما الاسقف الغير المنظور فهو الله (لمغنيسيا ٣ : ٢) أنه يجب أن تخضع كل كنيسة لاسقفها كما يخضع يسوع المسيح لابيه (لاهل سميرناف ١:٨) كل كنيسة واجب عليها أن تكون متحدة باسقفها الخاص كما أن الكنيسة الجامعة متحدة بيسوع المسيح (لا بأسقف آخر منظور مثل البابا) كما أن يسوع المسيح متحد بالاب لكى يكون الكل منضماً في الوحدانية (لافسس ف ٥ : ١) كل كنيسة خصوصية هي مرتبطة ذاتياً باسقفها الخاص كما أن الكنيسة الجامعة مرتبطة ذاتياً بيسوع المسيح (لا بأسقف آخر منظور مثل البابا (لاهل سميرنا ٨ : ٢) كل اسقف هو اسقف الله ذاته والرب يسوع المسيح (لا اسقف آخر منظور مثل البابا (لبوليكربوس زميله)

هذا اعتقاد الجيل الاول والثاني رسمه القديس اغناطيوس الانطاكي في رسائله الى الكنائس كما كان ايمان المسيحيين اجمع وقد لخصه في الجيل الثالث القديس كبريانوس القرطجني تحت الصورة التالية (ان الكنيسة هي الشعب المتحد باسقفه الخاص والقطيع المرتبط براعيه الخصوصي بحيث يجب ان تعرف أن الاسقف في الكنيسة والكنيسة في الاسقف وبحالة

ما اذا كان الشعب ليس مع اسقفه الخاص فلا يكون في الكنيسة (كبريانوس رسالة ٦٩ الى فلورنتيوم يوبيانوم) لا أن كل اسقف ما استلم سلطانه وولايته الا من يسوع المسيح فقط لا من البابا الذي هو بشر بل ايضاً مستحيل أن يظن أنه يقدر أحد أن يستلم ذلك من آخر سوى يسوع الرب يسوع المسيح الذي وحده له القدرة أن ينصبنا في ولاية الكنيسة وله الحق أن يطالبنا بوكالتنا ومن ثم ينتج أنه في الكنيسة لا يوجد رجل يقدر أن يقول عن ذاته بطريقة شرعية أنه اسقف الاساقفة وان له الحق ان يضع سلطانه على زملائه أو يطلب خضوعهم أو يحاكمهم لان أي أسقف لا يمكنه ان يحاكم آخر كما أنه لا يمكن ان يكون محاكماً من آخر[1] (محاضرة القديس كبريانوس في وسط مجمع قرطجنة الذي انعقد ضد البابا اسطفانوس) كل تعليق يضعف هذه الدعاوي المماثلة الحقة تجتنب الاتيان به أن اعتقاد الكنيسة الرومانية الحديث يجعل البابا مصدر ولاية الكنيسة التي تحكم الاساقفة حدثت من ثم أن البابا له الحق الذاتي أن يكرس (يدعو) الاساقفة وبالاقل ان يثبتهم وبدون ذلك لا يكونون اساقفة شرعيين في حين أن سندات القرون الثلثة الاولى وسندات القدمية

(١) يرى من ذلك بأي نفس قال ترتوليانوس عن اسقف رومة رافضاً حكمه تماماً (ان اسطفانوس حتم بامر من مقتضاه ان الحبر الاعظم الذي هو اسقف الاساقفة صرح قائلاً : اني اغتفر جرائم تتجاوز الحد لمن تابوا (في الصفة نمرة ١٥) فالمؤلف بهذه العبارة (والحبر الأعظم اسقف الاساقفة) لا يفهم منها شرح اعتقاده واعتقاد المسيحية بل السخرية من العظمة المزعومة الحديثة التى لرومة

التالية تحدد أن رومة الى اليوم الذي فيه وتاليه انفصلت من الكنيسة الرسولية الشرقية امكنها أن تسخر بالغرب لسرعة تصديقه بما يسرها وما عدا ذلك فان كل الكنائس بلا استثناء واحدة منها كانت تملك حرية اختيار اساقفتها الموقرين . العادة المجمع عليها التي تنفي أي تدخل كان لبابا رومة. وعلى حسب هذه العادة المطردة عند كل المسيحية ما كان الاسقف ينتخب بغير ا كليروس وشعب كنيسته وما كان يثبت بغير مطران اقليمه

أن شهادة القديس ا كليميس اسقف رومة عرّفتنا سلفاً ان الاساقفة منذ البدء وعلى حسب قواعد الرسل نفسها كانوا يكرّسون برضى عام من كنائسهم الموقرة (انظر رسالة القديس ا كليمس لاهل كورنتوس ف ٤٤ : ٣) ان القوانين الرسولية التي هي عبارة عن تأليف ليس بالحقيقة متأخراً عن الجيل الثالث دوّنت هكذا الصيغة الجارية لتنصيب الاساقفة في الكنيسة الجامعة حسب تقليد الرسل (ان الشعب يجتمع يوم الاحد مع كهنة الابرشية والاساقفة (الراسمين) والذي يرأس من الاساقفة الاحتفال يقدم المنتخب الجديد الى الكهنة وشعب الابرشية ويسألهم قبل أن يبدأوا بالرسامة اذا كان الذي اختاروه صالحاً أن يكون اسقفاً عليهم فيجيبه الكهنة وشعب الابرشية نعم . فيسألهم ايضاً الرئيس اذا كانوا يثقون أنه أهل لهذه الوظيفة العظيمة فيجيبه الكل انهم يعتقدون أنه أهل لها ويؤكدون ذلك بحضرة الله والمسيح يسوع والروح القدس (كتاب القوانين الرسولية ف ١ : ٢ وك ١ ف ١ : ٣ وك ٢٠ ف ١ : ٨ وك ٥ ف ٢٨)

والقديس كبريانوس في دفاعه عن رسامة كرنيليوس اسقف رومة ضد حزب نواتوس الذي كان يقاوم هذه الرسامة الشرعية لم يستند على دليل آخر سوى على هذا وهو ان (كرنيليوس صار اسقفاً بحكم الله ومسيحه بشهادة كل اكليروس رومة وصوت شعب (رومة) رسالة (كبريانوس ٣ ضد النواتيين) ومجمع نيقيا بتذكيره وتثبيته ممارسة الاجيال الثلثة الاولى المستمرة ضد المنشق ملاتيوس اسقف ليكوبوليس (اسيوط) الذي تجرأ على الاحداث (البدعة) قال في رسالته المجمعية الى كنيسة مصر (ان الاسقف (في كل الاقاليم المختصة ببطريركية اسكندرية) لا يمكن ان يرسم الا بشرط ان يكون مختاراً من الشعب ومثبتاً من اسقف اسكندرية)

ان ضرورة تثبيت الاساقفة المصريين من اسقف اسكندرية تنتج بالاولى من القانون السادس حيث قيل في كل المحررات (انه واضح عياناً مطلقاً بان اي واحد سيم اسقفاً من غير رضى مطرانه فعمله هذا على خلاف الترتيب فيأمر المجمع العظيم بان مثل هذا الشخص لا ينبغي ان يكون اسقفاً) وبموجب هذا القانون ان مطران كل مصر وكل ليبيا وكل الخمس المدن هو اسقف اسكندرية الذي له السلطان على البلاد بفضل (عادة قديمة) ومطران الاقاليم الرومانية هو اسقف رومة الذي له السلطان عليها بفضل تلك (العادة القديمة) ايضاً الخ الخ

هذا الاعلان الرسمي من مجمع نيقيا يري ان (العادة القديمة) في الاجيال الثلثة الاولى التي تعززت بقرار القانون ال ٦ لم تعرف لاسقف رومة اي

تدخل فى تثبيت الاساقفة الخارجين عن الاقاليم الرومانية التى كانت وحدها تحت اشرافه . والعيب (الآن) على قبول مطران الجهة لا العيب على رضى اسقف رومة الذي يجهل رسامة اي اسقف غير شرعية اذا كانت غير متعلقة بتثبيت روماني

ان المجمع المسكوني الثاني ذكر مثبتاً في تحريره الى داماسوس الروماني الممارسة القديمة في انتخاب الاساقفة والشريعة الرسولية التي كانت اساس تلك الممارسة بقوله (بالنسبة لكنيسة القسطنطينية المرتبة جديداً فنحن رسمنا الاسقف الوقور نكتاريوس بواسطة المجمع المسكوني ذاته واجماع وافق عليه نظر تقوى الامبراطور تاودوسيوس ورضى كل الاكليروس وكل الشعب (فى الكنيسة القسطنطينية) وبالنظر لكنيسة انطاكيا فان اساقفة اقليم وابرشية الشرق عينوا قانونياً فلابيانوس المحترم باجماع واتفاق كل اكليروس وشعب كنيسة تلك المدينة وكل المجمع اختبر هذه الرسامة بصفة شرعية)

ان المجمع الرابع الافريكاني المنعقد في سنة ٣٩٨ تحت رياسة اوريليان القرطجني قرّر هكذا في القانون الاول في مناسبة التقليد الرسولي في الاجيال الثلاثة الاولى (من وجد فيه كل الصفات التي تحرز الاسقفية يجب ان يرسم برضى الاكليروس والشعب وبامر وحضور المطران)

وبالنتيجة ان القانون التاسع لمجمع قرطاجنة الخامس كلّف عشرين اسقفاً من ضمنهم القديس اغسطينوس (لكي ينتقلوا الى هيبوزاريت في الولاية الرومانية ويرسموا فيها اسقفاً برضى عموم الشعب بدل ايكينزيوس

المعزول بسبب جرائمه الذي كان له في هذه المدينة حزب

اننا لا ننتهي اذا رمنا ان نروي كل الشهادات القديمة الشرقية والغربية التي منذ الاجيال الثلثة الاولى الى اليوم الذي انفصلت فيه الكنيسة الرومانية من وحدانية الكنائس الرسولية فنقتصر على ايراد فقرة من فلورس (المؤرخ) شماس كنيسة ليون في الجيل التاسع حيث اثبت فيها هذا الاكليروسي الغربي شيئين وان هذه العادة عادة انتخاب الاساقفة كانت ايضاً في عصره منتظمة جداً ومحفوظة في كل الغرب وانها كانت دائماً في كل الكنيسة منذ تأسيس المسيحية حسب ترتيب الشريعة الالهية وتقليد الرسل قال (ان الذين يمنحون الوظيفة الكهنوتية في الكنيسة يعرفون كما ينبغي ما هي الاشياء التي تناسب رسامة الاساقفة . وساطة القوانين المخصصة والممارسة الكنيسية تأمر ان تحفظ حسب ترتيب الشريعة الالهية التقليد الرسولي . اعلم انه عند وفاة راع وفراغ مركز كنيسي ان العضو الاكليروسي من هذه الكنيسة الذي يقع عليه رضى عموم الاكليروس والشعب ويختارونه ويعينونه رسمياً بقرار عمومي يقتبل من ثم الرسامة من ايدي عدد متساو من الاساقفة ويقوم بطريقة اصولية مقام الذي توفي . ولا أحد يرتاب ان الحكم الالهي يثبت ما عمل بواسطة الكنيسة بنظام هكذا مقدس وبمقتضى شريعة اجريت . تلك هي الاشياء التي وجدت في المجامع والقرارات الحبرية الخاصة بمركز رسولي وها هي الامور المتمدة فى الكنيسة منذ نشأتها . . . فان الكنيسة تحافظ دائماً على التقليد الاسقفي كشيء ثابت وكامل تصنع هكذ

تبعاً للتقليد الرسولي حسب صورة القانون المرعي الديني . . . واننا نرى في الكنيسة الرومانية لهذا اليوم ان الاحبار الرومانيين لا يقبلون الرسامة الشرعية الا بموجب الحكم الالهي وبصوت المؤمنين (بروما) الحي وان هؤلاء الاحبار الرومانيين ما كانت لهم طريقة اخرى مخالفة يجرونها في تكريس وتنصيب الاساقفة في كل الاقاليم والمدن التابعة لهم (آباء اللاتين مجلد ١١٩ وجه ١١ و١٢) قال فلوري ذلك في الجيل التاسع ولكن لو عمر بضعة اجيال بعد ذلك لما امكنه ان يستخدم هذه اللهجة لان البابوات الرومانيين بعد ان فصموا عروة علاقتهم من كل الكنائس الرسولية في الشرق ما كان شيء يهمهم سوى الاحداث (التغيير) في كل متسع الغرب في هذه الطريقة (الممارسة) التي شهد لها فلوري (بقوله) هذه طريقة الكنيسة الجامعة منذ نشأتها حسب ترتيب الشريعة الالهية وتقاليد الرسل) هذا الاحداث جعل حسب نظرية سلطتهم على مملكة يسوع المسيح اذ اعتبروا انفسهم اسياداً مطلقين على كل الكنائس . والنتيجة المنطقية تتطلب من ذلك ان يصبح انتخاب كل الاساقفة من حقهم الشخصي ويكف عن ان يكون بواسطة اكليروس وشعب الكنائس المختلفة وهي قال (البابا) حالاً وفعل حالاً وبذلك انتزع من الكنائس حقها الاول بالنسبة لانتخاب اساقفتها الخصوصيين واعلن ان هذا الحق اصبح ملكاً شخصياً لبابا رومة الذي تارة يحافظ عليه بذاته ويجريه حسب غرضه واخرى يبيعه لبعض الملوك مقابل بعض مزايا يتنازلون عنها بموجب اتفاق (كونكوردو) للبابوية

هذه المقاولة الوقحة لا تدهشنا من جهة هؤلاء الذين صدرت عنهم وانما الذي يدهشنا بالاكثر خنوع الكنائس الغربية المدهش التي قبلت تطلبات البابوية والتي بعد بضعة اختبارات في المعارضة انتهت بأن تصير لقمة مساغة لاساقفة رومة وتحتقر طريقة الكنيسة الجامعة التي حافظت عليها منذ نشأتها (ولادتها) المرتبطة بأساس رسل يسوع المسيح وقواعد الشريعة الالهية . وهذا ما يوجب العجب زيادة وهو أن الكنائس الغربية لم تلاحظ ان طريقة الكنيسة الجامعة الاصلية هي على طرفي نقيض واضح لزعم البابوات بأن لهم السيادة على كل الكنائس ودليل هذا التناقض الواضح هو أن البابوات لم يكن لديهم شاغل سوى ان يمحوا ذلك مذ أذاعوا نظرية سلطتهم العليا في الغرب

أما بالنسبة لنا نحن الشرقيين الذين اعتدنا أولاً ان نحافظ على التقليد الرسولي بلا تغيير في ما يلاحظ الايمان وفي ما يلاحظ سلطة الكنيسة اعتبرنا ان البابا ليس أعظم من رسل يسوع المسيح الذين علمهم الروح القدس كل الحق ومن ثم فان رسل المسيح يسوع من جهة هم أنفسهم الذين رتبوا ان الاسقف ينتخب لامن بابا رومة بل من اكليروس وشعب كنيسته الاخصاء وان المسيحية جمعاء في مدة عشرة أجيال ونيف حافظت على الدوام على هذه الطريقة بكل اهتمام ديني بما أنها الشريعة الوحيدة الموافقة وحدها لروح يسوع المسيح . ومن جهة أخرى بأن هذه الطريقة الواحدة الكاثوليكية الرسولية في الكنيسة هي مضادة جداً بالعمل

للادعاء بسيادة البابوات الذين شرعوا يباشرونها منذ قدروا ان يرقوا رسومها في الكنائس الغربية الباقية في شركتهم . فنستنتج من ذلك بطريقة شرعية ان سلطة البابوات العامة هي اختلاق ونظريتها غريبة عن تعليم الرسل وان ممارستها سلب فاحش لحقوق كنيسة الله المقدسة

والنتيجة ذاتها تجرى من نحو ما يلاحظ تثبيت الاساقفة فان الطريقة لذلك الوحيدة الكاثوليكية الرسولية في الكنيسة شهد بها مجمع نيقيا المعظم وهي — ان الاسقف الذي اختاره اكليروس وشعب كنيسته يثبت لا من أسقف رومة بل من مطران الاقليم ذاته لان لهذا وحده وليس لآخر السلطان على كل الاقليم تبعاً : للعادة القديمة : التي للاجيال الثلاثة الاولى ان حق المطران في تثبيت أقليمه هو مقدس جداً حتى ان المجمع العظيم أمر ان من يصير أسقفاً بدون رضى مطرانه الخاص لا يجب ان يكون أسقفاً وان ذلك أساس عمومي معروف في الكنيسة) وقانون ٦ لمجمع نيقيا هو هكذا " : قال المجمع العظيم في الوقت ذاته ان أساقفة مصر وليبيا والخمس المدن يجب ان يثبتوا من أسقف اسكندرية الذي له السلطان على هذه الجهات وهكذا أساقفة الاقاليم الرومانية يجب ان يثبتوا من أسقف رومة . وهكذا أساقفة أقاليم انطاكيا وأساقفة الاقاليم الأخرى الذين يجب ان يتبعوا نفس القاعدة المدونة من القديم (المجموعة المذكورة)

هذا الاساس اتبع بأمانة أيضاً الى يومنا هذا في كل الكنائس

الرسولية الشرقية . أما الكنيسة الرومانية فمنذ حلمت بالسلطة العامة على الكنائس وجدت أن هذا الاساس مخالف لنظريتها الجديدة فالقته من حضنها وعوّضته باساس آخر صار بموجبه كل الاساقفة يلزم ان يكونوا مثبتين لا من مطارنتهم الخصوصيين بل من بابا رومة وبالاولى أن بابا رومة صار متسلطاً على كل الكنائس وكل اساقفتها : نتيجة كاملة شرعية : لكن هذه البدعة نفسها وانضمام منطقيتها مع نظرية سيادة البابوات العامة هما دليل راهن وواضح على أن لا المسيحية في الاجيال الثلاثة الاولى ولا مجمع نيقيا العظيم كانا يقران للبابوات بأية سيادة على الكنائس الاخرى بحيث انهما لم يعترفا لهم بأي حق في تثبيت اساقفة هذه الكنائس وانهما حفظا هذا الحق لمطارنة الاقاليم دون سواهم

والنتيجة نفسها تجري مثل ذلك من نحو طبيعة العلاقات التي كانت موجودة خارجاً عن تعيينهم بين اساقفة رومة واسكندرية وانطاكيا الثلاثة المراكز الثلاثة التي كانت الاولى في الكنيسة الجامعة فان كل واحد منهم كان يختار من اكليروس وشعب كنيسته الخاص بدون تدخل اثنيهما الآخرين . وهكذا اسقف رومة كان ينتخب من اكليروس رومة وشعبها (كما اعلمنا سلفاً القديس كبريانوس في دفاعه عن شرعية تنصيب كرنيليوس) وفي هذا الانتخاب لم يكن دخل لاسقف اسكندرية ولا لاسقف انطاكيا . وكذلك اسقف اسكندرية كان يختار من اكليروس اسكندرية وشعبها وذلك ليس فقط اثناء الاجيال الثلاثة الاولى بل ايضاً في الاجيال

المتأخرة . هذا ما يستنتج من شهادة القديس (المترجم . لا تقر الكنيسة القبطية بقداسة) لاون الاول اسقف رومة [1] وكتاب شماس كنيسة قرطجنة [2] في هذا الانتخاب ما كان تدّخل لاسقف رومة ولا لاسقف انطاكيا واخيراً مثل ذلك اسقف انطاكيا فانه كان يزكى من اكليروس انطاكيا وشعبها كما يتلخص من تحرير المجمع الثاني المسكوني الى داماسوس الروماني حيث قال فيه أن (اساقفة ابرشيات الشرق نصبوا قانونياً فلابيانوس الوقور باتفاق عام من كل كنيسة انطاكيا) في هذا الانتخاب لم يتدخل اسقف رومة ولا اسقف اسكندرية . وبالمثل رومة التي صار لها المركز الاول في الكنيسة فان المسيحية في الازمنة الرسولية وفي الازمنة التالية ما كانت تعترف لها بحق التدخل في انتخاب اساقفة اسكندرية وانطاكيا . لنضف ايضاً أن ذات المسيحية في الاجيال الرسولية وفي الاجيال المتأخرة ما كانت تسلم لها بحق تثبيت اساقفة الكرسي الثاني والكرسي الثالث مع أن هذا ضروري لو كان لها عليهم السيادة المطرانية. ذلك مايشهد به القديس لاون [1] نفسه بتحريره الى اكاسيوس القسطنطيني

(١) وهي كل الكنيسة تهنئك معي لان الاكليروس والشعب كانا متفقين في اختيارك (خطاب لاون ١ الى تيموثاوس الابيض (وجه الشمش) الاسكندري (الدخيل)

(٢) كتب الامبراطور ليون الى ستيلاس دوق اسكندرية أن يطرد من كرسي الاسقفية تيموثاوس ايلاريوس ويدخل آخر في مكانه حسب اختيار وقرار شعب اسكندرية الذين يكونون من حزب مجمع خلكيدون (كتاب البراءات مجلد ١٥)

حيث قال فيه (انه علم في هذا الوقت بموت تيموثاوس الابيض اسقف اسكندرية (الدخيل) ورسامة يوحنا طالاياس (الدخيل ايضاً) خليفته الرسامة التي صارت بواسطة اساقفة مصر (المرائين) بموجب انتخاب اكليروس وشعب اسكندرية (المنافقين)

وبالحقيقة أن حق التثبيت الذي مارسته الاجيال الثلاثة الاولى وثبته القانون الـ ٦ النيقاوي كان معترفاً به في المطرانية بسبب علاقة الاساقفة به ومؤكداً بهذا أنه لا يقدم من ينتخب للرسامة بدون رضى سالف من مطران الاقليم . ومن ثم تكون حسب نظر القديس لاون ١ ممارسة مجمع مصر شرعية وقانونية لا في الاجيال الثلاثة الاولى بل في الجيل الخامس أيضاً ممارسة رسامة اسقف اسكندرية حالاً بعد اختيار الاكليروس والشعب بدون أخذ أي رأي سابق فيه من اسقف رومة . وانما كان مجمع مصر بعد تكريس المنتخب يخبر اسقف رومة مثل باقي الاساقفة الاصليين في الكنيسة بنوع أن لاون ١ بعد منشوره الخاص استلم في المسافة والوقت نفسه خبر موت تيموثاوس الابيض اسقف اسكندرية وخبر رسامة خليفته يوحنا طالاياس . وهذا الامر يشهد به منشور مجمع انطاكيا الذي أسقط بولس السميساطي الذي ارسله في نصف الجيل الثالث الى ديوناسيوس الروماني ومكسيموس الاسكندري والى كل الاساقفة في الكنيسة الكاثوليكية يخبرهم أنه كرّس عوض الهرطوقي المعزول دامنوس الوقور على كرسي انطاكيا ويدعوهم نتيجة الكتابة أن يخاطبوه بتحارير

الشركة وأن يقبلوه حسب الجاري (اوسابيوس ك ٧ : ٣٠)

هذه رسامة دمنوس لاسقفية انطاكيا التي حصلت بواسطة اساقفة الابرشية الشرقية وسبقت اخطار القديس ديوناسيوس الروماني اقوى حجة على انها تمت حسب قواعد وعادة الاجيال الثلثة الاولى بان اسقف رومة ما كان له في نظر الاساقفة الانطاكيين حق التثبيت بحسب الطريقة والقواعد المعترف بهما للمطران . ان المجمع الثاني المسكوني برسالته الى دماسوس الروماني هو شاهد عدل بان رسامة فلابيانوس بصفة اسقف لانطاكية التي كانت قرب نهاية الجيل الرابع تمت قبل ان يبلغ داماسوس اقل خبر بها بحيث ان الجميع بعد ان اعلمه بهذا العمل المتمم زاد قوله (هذه الامور اجريت قانونياً وحسب الشريعة فنرجو تقواك ان ترضى بها)

لماذا المجمع يسأل بابا رومة ان يقبل رسامة فلابيانوس التي تمت سلفاً؟ فهل هذا الرضى تستدعيه القوانين او ان اسقفية فلابيانوس كانت تنقص شيئاً لتأييدها ؟ ابداً لان المجمع اعلن ذاته ان هذه الرسامة كانت شرعاً وقانوناً . وانما الداعي الوحيد ان كنيسة انطاكيا كانت منقسمة منذ زمن انقساماً استدعى تدخل اسقف رومة ان يتحزب لاسقف غير الاسقف الذي اعترف به الشرقيون . فالمجمع المقدس خوفاً من ان داماسوس يميل ايضاً معززاً الانقسام في كنيسة انطاكيا قال له واضحاً بصوت قاس ينذر بالتوبيخ . (هذه الامور تمت قانوناً وشرعاً فنحن نرجو تقواك ان

ترضى بها مفضلاً خوف الله ومعطياً المثل الصالح للكنائس على كل الاجيال الخصوصية) (١)

فاذاً قوانين وطريقة الاجيال الثلثة الاولى والاجيال التالية التي تعترف للمطرانية بحق تثبيت اساقفة تابعيتها لم تعترف ابداً لاسقف رومة بحق مثل هذا على اساقفة اسكندرية وانطاكية او بعبارة اخرى على البطاركة الشرقيين بل واضح ان نظام مثل هذا وطريقة مثل هذه هما منافيان لنظرية السلطة العامة الرومانية على كل الاساقفة المفهومين انهم البطاركة انفسهم والبابوات مذ ادعوا بالسلطة العامة لم يقصروا عن ان يلغوا القديم بالنسبة لهذه الحالة نفسها ويعلّموا ان ليس لهم الحق فقط في تثبيت البطاركة بل ان هذا الحق ايضاً هو حق الهي لا ينسخ

حدث يوماً ما جدال بخصوص هذه المسألة مع قس شرقي من المعتقد الروماني فادعى هذا ان رسائل الشركة التي كان اساقفة الازمنة الاولى في القديم يراسلون بها البابا بعد رسامتهم في درجة طلب تثبيتهم الذي يفعله اليوم البطاركة الخاضعون لرومة . فنصحت من ثم مخاطبي الذي انفش جداً تبعاً لاسياده بالنسبة لمعنى رسائل الشركة التي كانت مستعملة في القديم . لانه في السالف لم يرسل البطاركة هذه تحارير الشركة الى بابا رومة وحده بل الى كل البطاركة الآخرين ومن المحتمل الى رؤساء اساقفة الكنائس الرئيسية.

(١) سنعيد ذكر انقسام الكنيسة الانطاكية هذا في مكانه والادوار التي لعبتها فيه الكنيسة الرومانية والكنيسة الاسكندرية

وبالتالي ان بابا رومة نفسه قبل باقي البطاركة ورؤساء اساقفة الكنائس الرئيسية كان يرسل بعد رسامته مثل هذه تحارير الشركة الى كل زملائه في الكنيسة الرئيسية الى البطاركة ورؤساء الاساقفة السامين

فاذا كان قبول خطابات الشركة يقدر ان يثبّت ان الذي يقبل ذلك يكون رئيس الكنيسة فعلى هذا الحساب ان البابا لا يكون وحده الرئيس بل كل البطاركة وكل رؤساء اساقفة الكنائس الرئيسية يصيرون معه ومثله. واذ كان ارسال تحارير الشركة يمكنه ان يثبت خضوع وتابعية الراسل لمن ارسل اليه فالبابا من هذا الوجه يلزم ان يكون محسوباً تابعاً للبطاركة الآخرين ورؤساء الاساقفة المستقلين . هذا موجب للضحك على أعلى رتبة في الحالة الاولى والثانية فحقيقة معنى خطابات الشركة مشروح بعناوينها نفسها فان هذه التحارير المتبادلة بين رؤساء البطريركيات الثلثة والكنائس الرئيسية الغرض منها على وجه التحقيق تأييد الشركة المتبادلة بين رؤساء المسيحية وبالاولى شركة عموم الكنائس المتبادلة المتعلقة بهم وعلى الخصوص ان خطابات الشركة المتبادلة كانت تصحب بارسالية سر الافخارستيا المتبادلة لكي تشير رسائل الشركة الى وحدة الايمان التي تتضمن الاعتراف به حقاً . وارسالية سر الافخارستيا المتبادلة تكون الشاهد للوحدة المقدسة والمحبة المتبادلة اللتين دستورهما سر الافخارستيا والاثنتان تكونان معاً المؤسستين لبرهان الاخوية العامة الرسمي لكنائس الله .

القسم الثاني

﴿ سلطة رومة تنفيها معرفة الاجيال الاولى الثلثة انها كانت ذات وحدة مسيحية ﴾

تزعم مجلة (رومة والشرق) ان حال الاجيال الثلثة كان فيها فقط النية الحية القوية من نحو الوحدة المسيحية وسلطة الكنيسة الرومانية الفردية هي التي كانت تعزز هذه الوحدة بحكمها الالهي على كل الكنائس في حين ان هذا الفهم الغربي الذي يجعل وحدة المسيحية نتيجة خضوع كل الكنائس لواحد هو غريب عن تصورات الاجيال الثلثة الاولى

بالحقيقة ان القدمية الرسولية كانت لها نية حية جداً من نحو وحدة المسيحية لكن في الوقت نفسه كانت لها نية حية من نحو صفة هذه الوحدة ولكن هذه الصفة تنفي سلطة رومة . بالنظر الى القدمية الرسولية فان الوحدة المسيحية تشير الى جوهرية ومساواة كاملة بين كل الفروع التي تركب هذه الوحدة وهكذا ان حق الكل المشترك يدخل في الاسباب المشتركة . الأمر الواضح الذي لا يدع مكاناً لسلطة واحد على الكل

وبهذه النسبة ان سفر الاعمال يمثّل لنا الكنيسة الجامعة انها مكوّنة من عنصرين متميزين وانما هما متساويان تماماً بالذات والصفات . والعنصر الاول هو كنيسة الختان والتالي هو كنيسة الأمم الذي تفرع من الاول المتعلق به بالضرورة تاريخ الاجيال الثلثة فبيّن ان الكنيسة الجامعة مركبة من عنصرين مختلفين لكنهما يملكان كمال الذات والصفات الجوهرية مع

ان احدهما العنصر الاصلي والتالي المتفرع من الاول

فالعنصر الاصلي هو كل الكنائس الرسولية يعني كل الكنائس التي شادها رسل المسيح يسوع مباشرة الذين سلموها التعليم والاسرار وسلسلة المراتب وقواعد المملكة السموية . وعنوان هذه الكنائس الاولى الرسمي مضمون بشهادة سفر الاعمال الالهية والرسائل الرسلية التي ارسلوها اليها شخصياً

والتالي هو الكنائس التي لم تحظ بالشرف ان تؤسس مباشرة من الرسل لانها تأسست بعد زمان الرسل بواسطة الكنائس الرسلية واستلمت منها حالاً كل ما كان الرسل سلموه لها وما هو معيّن لخاصتها يعني التعليم ذاته والاسرار والوظائف المتسلسلة وقواعد السلام . هذا التمييز بين عنصري الكنيسة الجامعة وذاتيتهما ومساواتهما الكاملة بالرغم عن خضوع الثاني للاول بسبب ان أصله متوقف على الاول فانه يملأ كل تاريخ الاجيال الثلثة الاولى وسندات هذا الزمن البعيد

أما التاريخ فسننظر فيه في مكانه . وأما في هذا الوقت فاليك النظرية الفائقة التي شرحها ترتوليانوس قس هذه الكنيسة بقرطاجنة الذي استلم ايمانه مباشرة من رومة بحيث ان الكاهن القرطجني ما هو الا صدى فكر الكنيسة الرومانية في هذا الزمن الرسولي

قال (ان الامم تقلدوا التعليم المسيحي من الرسل والرسل تقلدوه من الروح القدس الذي علمهم كل الحق (سقوط الحق ف ٧) فيا ترى

بأي نظام سلم الرسل الامم التعليم المسيحي وشادوا الكنائس ؟ تلا (انه بعد موت يهوذا أحد الاثني عشر وفي حين عودة الرب الى أبيه بعد قيامته أمر الرسل أن يعلموا كل الامم ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس فحالاً أضاف الرسل اليهم بالصوت الحي القديس متياس بصفة عضو للاثني عشر وزميل رسولي مكان يهوذا على مملكة المرتل داود وبقبولهم نعمة الروح القدس الذي كان (تعالى) وعدهم به لصنع المعجزات ونجاح كرازتهم . وبنوا أولاً ايمان المسيح يسوع في اليهودية وأقاموا فيها الكنائس (فانظر كيف ان بلاد الختان أصبحت الاصل الاول للكنيسة الجامعة) ثم سافروا حالاً من اليهودية الى كل المسكونة ونشروا في كل بلد من بلاد الامم نفس التعليم المختص بالايمان وشادوا في كل من المدن التي بشروا فيها هذه الكنائس (الرسولية) التي استلمت منها بعدئذ الكنائس الاخرى وتسلم كل يوم تعليم الايمان وبذور التعليم لكي تصير كنائس وبذلك (ترى) ان هذه الكنائس التالية هي محسوبة ذاتها رسولية بقدر كونها (نازلة) متعاقبة من الكنائس الرسولية لان كل فرع مشارك بالضرورة لطبع أصله (انظر ذاتية الكنائس الرسولية والكنائس التالية المتفرعة منها) ولذلك فان هذه الكنائس العديدة العظيمة الرسولية (معنى هذه الكلمة الخصوصي) هي وحدها الكنيسة الرسولية التي منها تفرعت كل الكنائس التالية ولذلك أيضاً فان كل الكنائس (الاصلية والفرعية) هي أولى وكلها رسولية بقدر ما ان شركة الصلح والدعوة

الاخوية وتبادل الضيافة تبرهن على ان جميعها واحدة فردية . لان حقوق مثل هـذه الشركة لا يمكنها ان تحرز سوى أساس وحدانية وتقليد الامور المقدسة[١]

هذه النظرية اللامعة تميّز الكنائس الى رتبتين أحداهما الكنائس الرسولية خاصة المذكورة والثانية التالية المدعوة رسولية فقط بسبب كونها متسلسلة من الاولى ومشتركة معها . فالكنائس الرسولية هي التي انشأها الرسل أنفسهم بمنحهم أياها كل الاشياء المقدسة التي تشيد الكنائس ففي هذه الكنائس الرسولية نفسها يوجد عنصر اولي الذي هو كنائس اليهودية وعنصر متأخر الذي هو عنصر كنائس الامم . فالكنائس الرسولية الاممية هي متحدة مع كنائس اليهودية الرسولية نظراً لكونها استلمت مطلق الامور المقدسة التي استلمتها الكنائس اليهودية قبلها فكلتاهما كنيسة واحدة اولى رسولية التي تفرع منها كل الكنائس الاخرى

فالكنيسة الرومانية اذاً ليست وحدها الاولى ليست وحدها الرسولية ليست وحدها مصدر (الكنائس) الاخرى كما تحاول ان تموّه اليوم بذلك على البسطاء . فالكنائس التي ليست رسولية هي التي لم ينشئها الرسل انفسهم وهي التي وجدت متأخرة عن وجود الكنائس الرسولية فتفرعت من هذه التي نقلت اليها صفتها الخاصة بنوع انها صارت متحدة ذاتياً بالكنائس الرسولية وصارت تدعو نفسها رسولية مثلما أنها متسلسلة

(١) سقوط الحق ف ٢٠

من الكنائس الرسولية بوحدتها وذات صفتها لكن بحيث تكون خاضعة ضرورة الى الكنائس الرسولية التي منها تقلدت اصلها وكل كيانها الالهي اللذين بهما اصبحت كنائس .

بهذا النوع أن الكنائس الرسولية الحقيقية لبثت دائماً بمعناها الخاص أولى بالنسبة لذاتها كما انها فرّعت كل الكنائس الاخرى التالية . فالكنائس الرسولية هي (الاصل من حيث أن الكنائس الاخرى تقلدت وتقلد كل يوم تبليغ الايمان وبذار التعليم) وبهذا السبب ان الكنائس الرسولية خاصة هي لابثة الكنائس الامهات والاساسية للايمان كما قال ترتوليانوس ادناه (في سقوط الحق ف ٢١)

هذه البلاغات المكررة التي لترتوليانوس بخصوص الكنائس الرسولية التي هي الامهات واصول الايمان لكل الكنائس الاخرى تفهّم بسهولة ما يريدان يشير اليه القديس كبريانوس لما قال (أن الكنيسة الرومانية هي الارومة والامومة للكنيسة الكاثوليكية (رسالة ٤٥) وأن الكنيسة الاصلية هي التي تفيض وحدانية الكهنوت[١] (رسالة ٥٦) هاتان الدعويان اللتان في فكر اسقف قرطجنة العظيم لا يعنيان أن الكنيسة الرومانية وحدها هي امومة الكنيسة الكاثوليكية ولا انها وحدها الكنيسة الاصلية التي تفرّعت منها وحدانية الكهنوت . لان ترتوليانوس افهمنا قبله أنه بالنسبة

(١) ان الكلمة: أصل واصلية: في لاتينية الاجيال الثلاثة الاولى : تعني بدء وابتدائي : هكذا قال ترتوليانوس (سقوط الحق ف ٣١)

لايمان الاجيال الاولى كل الكنائس الرسولية كانت كنائس امهات وارومات وأن كل الكنائس الرسولية هي واحدة أي الكنيسة الاولية والتالية اللتان منهما تفرعت كل الكنائس الاخرى وبالنتيجة تفرعت وحدانية كهنوتها . ودون أن تعني ايضاً هاتان الدعويان في فكر القديس كبريانوس ان الكنيسة الرومانية هي اصل وأمومة كل كنائس يسوع المسيح اوانها الاصل الكياني لوحدانية كل كهنوت المسيحية كايحلم لاهوتيوك لانه ظاهر من الاول ان الكنيسة الرومانية ليست الاصل والامومة لكنيسة اورشليم وباقي كنائس الارض المقدسة التي هي العنصر الاول الاولي للكنيسة الجامعة كما اعلنه ترتوليانوس ذاته . فليست مطاقاً (الكنيسة الرومانية) الاصل والامومة لمعظم كنائسنا الشرقية التي هي كلها رسولية والتي وجدت قبلها بزمن طويل . أليس باطلاً الادعاء بان الكنيسة الرومانية هي أصل وأم الكنائس التي وجدت قبلها وبدونها والتي يلزم نسبة وجودها لرسل المسيح يسوع لا للكنيسة الرومانية التي لم تكن موجودة بعد ؟

وبالتالي انه واضح ان الكنيسة الكاثوليكية في الغرب هي التي تفرعت من الكنيسة الرومانية وعلى الخصوص الكنيسة الكاثوليكية الافريقية كما يشهد بذلك البابا اينوشنسيوس الاول [1] . فاذاً الى هذه الكنيسة

---

[1] قال (معلوم على الخصوص في جميع ايطاليا وفرنسا واسبانيا وافريقا وصقليا والجزائر المجاورة انه لم ينشيء فيها احد كنائس الا اذا كان رسم كاهن من قبل بواسطة الرسول بطرس الوقور او بواسطة خلفائه وقد تحتم عليها ان تنفذ ما تحافظ عليه الكنيسة الرومانية لانها اتخذت مبادئها منها (وحدة الكنيسة) .

الغربية كان يشير القديس كبريانوس بقوله . ان الكنيسة الرومانية هي اصل ومصدر الكنيسة الكاثوليكية . وكذلك من اعظم الخطر التقدير بكون الكنيسة الرومانية هي اصل وحدانية كل كهنوت المسيحية . لان الاسقفية والكهنوت بشهادة سفر الاعمال وجداق الارض المقدسة وفي كل الشرق الرسولي قبل وجود الكنيسة الرومانية ذاتها . فحينئذ مرة أخرى (نقول) انه لا شيء اكذب من جعل الكنيسة الرومانية الوالدة لاسقفية وكهنوت الكنيسة الشرقية التي وجدت قبل الكنيسة الرومانية بزمن طويل وبدون الكنيسة الرومانية

فماذا اذاً يريد القديس كبريانوس : بقوله لأن الكنيسة الرومانية بالقياس للكنيسة الكاثوليكية الغربية هي الكنيسة الاولية بصفتها الكنيسة الرسولية وان وحدانية كهنوت الكنائس الغربية مشتقة من الكنيسة الرومانية من حيث ان الكنيسة الرومانية منحتها كيانها المتعاقب . فراد من يجعل القديس اسقف قرطجنة ان يقول شيئاً آخر هو مراد تهمة له بايراده عبارات مستحيلة يهزأ بها . ومن ثم لاي غرض يتشبث لاهوتيوك في كونهم ينسبون للقديس كبريانوس مثل هذه الاباطيل : (الا) لغرض التمويه بان هذا الاب العظيم نظر الكنيسة الرومانية بكونها سيدة كل الكنائس والمصدر الفعال في الوحدة المسيحية . في حين ان تصرف القديس كبريانوس كله وكل كتاباته تبرهن مع الايضاح الاخير بان فهماً مثل هذا بعيد عن خاطره ولسوف نتكلم في حينه عن تصرفه واما

الآن فنكتفي بشهادة كتاباته . ولقد دللنا في مفاوضاتنا الاولى ان اسقف قرطجنة العظيم في مؤلفه عن وحدانية الكنيسة لم يجعل ابداً البابا او الكنيسة الرومانية السبب الفاعل في الكنيسة الجامعة بل كان جدله في جعل قاعدة وحدانية الكنيسة وحدانية الاصل الواحد الكياني في شخص بطرس . فعنده ان الكنيسة الجامعة واحدة لان سلفها الرسولي واحد كما ان الجنس البشري هو واحد في وحدانية آدم اصلها فلم يقبل اذاً القديس كبريانوس ان تكون الكنيسة الرومانية السبب الفاعل في وحدانية الكنيسة. ولم يرض أيضاً بكونها المسيدة على عموم الكنيسة . فعنده (كما) نشاهده حالا انه لا يوجد احد في الكنيسة يقدر ان يتقول بطريقة شرعية انه اسقف الاساقفة وان له الحق ان يحكم على زملائه ويطالبهم بالخضوع له او ان له القدرة ان يحاكم الاساقفة الآخرين

ذلك كان معتقد القديس كبريانوس في زمان البابا اسطفانوس وذلك هو السلب البات للسلطة الرومانية . فهل كان لاسقف قرطجنة اعتقاد آخر في زمان البابا كرنيليوس سلف اسطفانوس ؟

ان فورتينات وحزب بدعته المحكوم عليهم من اساقفة افريقا استأنفوا الى البابا كرنيليوس ليتبرأوا من هذا الحكم لكن القديس كبريانوس اسرع بكتابته الى اسقف رومة (قائلاً) ان مثل هذا الاستئناف هو مخالف لاصل الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة الذي بموجبه ان (سيادة اساقفة افريقا ليست اقل من سيادة اساقفة رومة وانه لا يوجد الا عدد

قليل من الاناس الذين تفرقوا وفتنوا لكي يرتابوا بهذه الحقيقة) هذا بلاغ القديس كبريانوس يوضح ان الاجيال الثلاثة الاولى كانت متمسكة في الغرب ذاته بان سلطة الاساقفة كيف ما كانوا ليست باقل من سلطة اسقف رومة وان الوضع الالهي في تركيب الكنيسة ما كان يسمح لاسقف رومة بحق ان يدعو لمجلس محاكمته الامور الكنيسية المحكوم بها من اساقفة آخرين في مقاطعاتهم . ويدل في الوقت ذاته على ان حق الاستئناف سمح به متأخراً لاسقف رومة في احوال محددة وانه وضع كنيسي وبشري بحت وان هذا الموضوع لم يتقدم على مجمع سرديكا وانه غير موجود في أثناء القرون الاولى الثلاثة . هذا ما ينتج من بلاغ القديس كبريانوس . وان محاولة (امتحان) فورتينات والمتشيعين له كانت فردية ايضاً في ذلك الزمان الاعلى وانها ما أتت بنتيجة

أن القديس كبريانوس ما كان متعجرفاً ولا ضيق الصدر (الروح) حتى لا يحسب ان فكره يترجم تعليم كنيسة رومة الاول التي نقلت الايمان لكنيسة قرطجنة والى كل كنائس افريقيا الغربية . فانه يميز بلا التباس في كل كتاباته بين الامور الخصوصية للكنائس الخصوصية والامور المشتركة لكل الكنائس . فالامور الخصوصية للكنائس الخصوصية هي هذه التي تمارس بحكومتها الذاتية . والامور المشتركة بين كل الكنائس هي الهرطقة التي تمزق وحدانية الشركة. البدعة التي تبتر الايمان المشترك للكنائس وفساد الاخلاق العام الذي يدك آداب الكنائس عامة . ولاجل

هذه الاحوال الثلاثة يقبل جيداً على وفق الوضع الالهي في انشاء الكنيسة تدخل سلطة اخرى غير سلطة الكنائس الخصوصية بحيث ان هذه السلطة العليا ليست السلطة الذاتية لكنيسة رومة بل السلطة المشتركة بين عموم الكنائس أو بعبارة أخرى الصوت الحي (الذي تردده) الكنيسة الجامعة . فيبين كثيراً جداً سبب هذا التدخل العام في هذه الحالات الثلاث وهو ما هو مشترك للكل يجب ان يبت بحكم الكل لا برأي مخصوص لكنيسة ما مثل كنيسة الرومانيين

هكذا يتكلم في مؤلفه عن وحدانية الكنيسة من نحو البدعة والهرطقة فيذكر القديس العلامة أن الاسقفية حلت محل المجمع الرسولي لانها تخلف عنه بحالة غير متجزئة واعضاء هذا المجمع مرتبطون ببعض بثبات محكم . ولهذا السبب يجب على كل الاساقفة في مثل هذه الحال الواجبة أن يذبوا بالاشتراك والثبات عن وحدانية الكنيسة وعن الايمان الحقيقي المشترك (١)

---

(١) وذلك بقوله (ونحن على الخصوص معشر الاساقفة والرؤساء على الاخرين في الكنيسة يتعين علينا مع الثبات أن نتماسك وندافع عن هذه الوحدة (وحدة الكنيسة) لكي نبرهن على أن الاسقفية واحدة وفردية لكيلا يخدع أحد الاخوة بالاكاذيب (ليدخل انقسامات في الكنيسة) ولا يفسد أحد حقيقة الايمان بالخداع . (لا حداث اضاليل في الكنيسة) والاسقفية واحدة واجزاؤها متماسكة مع بعضها مع كل واحد بصفة خاصة (وحدانية الكنيسة)

القديس كبريانوس يوفق تصرفه مع نظريته لانه لما حدث الانقسام في الكنيسة الرومانية في زمن البابا كرنيليوس بسبب تعدي نوفاتيوس اتخذ طريقة عملية لحسم هذا الشقاق فشرع بالاتفاق مع كل اساقفة العالم في تثبيت اسقف رومة الشرعي ودفع المتعدي . وبالاخص أن كرنيليوس في شدته دعا لمساعدته الاساقفة زملاءه وعلى الخصوص مساعدة اسقفي اسكندرية وانطاكيا . وقد حفظ لنا اوسابيوس تحريره الى فابيانوس الانطاكي الذي يدعوه به لمساعدته وفيه يبين له رسامة نوفاتيوس الاسقفية الغير شرعية المخالفة للقوانين العمومية في الكنيسة (ك٦ف٤٣) واوسابيوس هذا ذاته حفظ بالمساواة ذكر تدخل القديس ديوناسيوس الاسكندري خليفة القديس مرقس اذ كتب الى نوفاتيوس ذاته يقول له (اذا كنت ارغمت على الرسامة كما تزعم فاظهر ذلك بتخليك مختاراً عن الوظيفة الاسقفية لانه يجب أن يتحمل الانسان النكد احرى من أن يكون سبب انقسام كنيسة الله (ك ٦ : ٤٥) وكتب خلا ذلك تحريراً الى كنيسة رومة حيث على حسب استهلاله (يقول) الى الاخوة برومة آمراً اياهم بوحدانية الصلح مع اسقفهم الشرعي. وتحريراً آخر خصوصياً الى رعاة رومة الذين كانوا من حسب نوفاتيوس (ك ٦ : ٤٦) وكتب مثل ذلك الى جملة من اساقفة الشرق وخصوصاً الى الاخوة بلاودكيا الذين كان اسقفهم تالاميدور والى أهل ارمينيا الذين كان اسقفهم ميروسيان لكي يدافعوا مع بعضهم عن قضية كرنيليوس (ك ٦ : ٤٦) وينتج بالاكثر أنه

تمكن بعد بضعة سنين متأخرة أن يكتب الى اسطفانوس الروماني بقوله (ويستحق الشكر الوافر بسبب تدخله) ان كل الشرق رفض نوفاتيوس (كـ ٧ : ٥)

وتدخل القديس كبريانوس لم يكن أقل تأثيراً في الغرب فرئيس اساقفة قرطجنة يخبرنا بأنه في هذا الشقاق في الكنيسة الرومانية حصل الحكم بقانونية كرنيليوس من جهة من حيث انتخابه الشرعي ومن جهة أخرى بصوت الاساقفة الحي (المجمع عليه) واعترافهم به أنه زميلهم فقال لانطونيوس (جئت الآن بالنظر الى شخص كرنيليوس أنه لا ينبغي أن تحكم على زميلنا بموجب اكاذيب ثالبيه بل حسب حكم الله ومسيحه الذي جعله اسقفاً بشهادة اساقفته الذي اجماع كل اساقفة الكون قبل عموماً أن يتخذه زميلاً

وبعبارة أخرى أن كرنيليوس صار اسقفاً قبل أن يصير شخص آخر حين كانت سلسلة فابيانوس (بابا رومة من سنة ٢٣٦ — ٢٥٠) يعني سلسلة بطرس ودرجة الكرسي الكهنوتي خالية. صار اسقفاً بشهادة كل الاكليروس وبصوت الشعب العمومي ومن ثم شغل كرسي الكهنوت بارادة الله واسقفيته تثبتت برضانا كلنا فمن أراد أن يكون بعده اسقفاً فانه يجعل ذاته بالضرورة خارجاً عن الوحدة الاسقفية وعن الكنيسة (كبريانوس رسالته في الاتحاد)

لماذا كان تدخل كل الاساقفة المشترك في مسألة كرنيليوس؟ إن القديس

كبريانوس يقول لنا ذلك: لان كرنيليوس كان (زميلهم) وشريكهم في الاسقفية وأن النزاع بشأن شرعية عضو من الاسقفية يتعلق بالاسقفية كلها التي هي غير متجزئة والتي كل اعضائها يسند بعضهم البعض

ان حال انشقاق الكنيسة الرومانية كانت سابقة لمسألة المرتدين يعني المؤمنين الذين كانوا جحدوا امدة الاضطهاد الاخير وهؤلاء كانوا اعداداً كثيراً من بلاد جمة وخصوصاً من رومة. وكان الكلام عن معرفة حالة الكنيسة التي يجب ان تتخذها من نحو هؤلاء الجاحدين وباي شرط يلزم ان تقبلهم تائبين تلك مسألة تخص التهذيب. فاكليروس رومة عرضوا هذه المسألة على القديس كبريانوس وسألوا رأيه فاجابهم اسقف قرطجنة العظيم (ان هذه المسألة ليست مسألة أي واحد ولا كنيسة واحدة ولا اقليم واحد وانما هي مسألة كل المسكونه) [1] وبالاخص هذه مسألة المرتدين (يجب ان تحفظ للقضاء العام من كل اساقفة الكنيسة) [2] فوافق اكليروس رومة في جوابه القديس كبريانوس بان المسألة الحاضرة تستدعي تماماً تدخل وحكم كل الكنائس لانها مشتركة. وانه في المسائل المشتركة يكون ذلك الحكم فيها من كنيسة واحدة اذا كانت هذه الكنيسة الرومانية ممقوتاً ومرذولا وعارياً عن كل تأثير. ومن خصوص مسألة المرتدين فقد ترتبت بحكم مشترك من كل الكنائس لا برأي خصوصي من الكنيسه الرومانية. لا

(١) كبريانوس رساله ١٣ خلاف ١٤ وخلاف ١٩

(٢) كبريانوس رسالة ١٩ خلاف ١٥ وخلاف ٢٠

بشهادة محررات القديس كبريانوس فقط بل ايضاً بمحررات القديس ديونسيوس الاسكندري المذكورة في اوسابيوس (ك ٦ : ٤٦)

فانظر كيف كانت الكنيسة الرومانية ذاتها في العهد القديم الرسولي تفهم مع كل الكنائس صفة الوحدة المسيحية . هذه الوحدة في نظرها تستدعي في المسائل العامة تدخل كل المسيحية العام وفي المسائل العامة ما كانت للكنيسة الرومانية أية صفة لكي تصدر حكماً عاماً وان حكم سلطتها الخصوصية الذي تريدان تضعه على الكنائس الاخرى يكون ممقوتاً ومرذولاً وبدون حساب لعدم تأثيره

فلا شيء من ثم اكثر بطلاً من تأكيد مجلتك هذا وهو : ان سلطة رومة المفردة مرتبطة باعتقاد وحدانية الكنيسة وانها كان لها في الاجيال الثلثة الاولى الحق ان تسهر على الايمان والتعليم وتقاليد عموم الكنيسة الجامعة وان ترتب هذه المسائل لكل الكنائس) [1]

(١) هذا الحق ليس لاحد او لكنيسة واحدة في الاقاليم بل هو لجميع العالم. فمتى أعطى لنا السلام ونحن عدة رؤساء نبتدئ ونحن مجتمعون بعد ان ابلغنا نصيحتنا اليكم و يمكننا ان نجعل كل شيء في نظام ونصلحه

والخطيئة عظيمة ومنتشرة في جميع العالم وضررها فوق ما يتصور . والضرورة ماسة من ثم أن نتكلم عنها كما دوناها مع الاحتراص والتأني بعد أخذ رأي جميع الاساقفة وفي هذه الحال يظهر لنا انه ثقيل ومتعب ما يظهر ان كثيرين ارتكبوه . ولم يفحصه المجموع لكي يحكم فيه بحكم واحد . والمعروف ان هناك انقساماً بين الكثيرين

القسم الثالث

(ان سلطان الكنيسة الرومانية ينفيه الاطلاع ايضاً على ما كانت ترتبه الاجيال الثلثة الاولى من نحو الاعتقاد وعلى ما كانت تجريه الكنائس في هذا الزمن من نحو تعزيز الارثوذكسية)

ما شرحناه بالدقة كان في تبيان انه في اثناء القرون الثلثة الاولى كانت نظرية وعملية كل الكنائس في المسائل مشتركة . المسائل التي تلاحظ الايمان والوحدانية الاسقفية والتعليم العام التي كان يحكم بها وترتب بقضاء المسيحية المشترك لا بسلطة ذاتية من الكنيسة الرومانية . وبما ان المجلة (رومة والشرق) تشبثت بنوع خصوصي من نحو مسألة الاعتقاد وتزعم ان الكنيسة الرومانية من نحو هذه المادة كانت كعبة الارثوذكسية فلنبادر الى تمحيص هذه النقطة بكيفية خصوصية

(اولاً) بالنظر لكون اسقف رومة كان كعبة الاعتقاد لكل الكنائس ادعت المجلة الرومانية (ان تقوى المؤمنين المضطرمة والرعاة كانوا دائماً متجهين نحو رومة) وانه (في كل مكان كانوا في شوق زائد لمعرفة تدابيرها وعلمها) وفي (فرص مناسبة كانوا يتقاطرون لزيارتها) فقد

من نحو مرتكبي هذا الجرم العظيم ولذلك فلا يمكن ان يكون الحكم الفاصل فيه الا الحكم الذي يحوز رضى السواد الاعظم (العموم) (الاكليروس الروماني رسالة الى كبريانوس المعنونة برسالة كبريانوس ال ٣١ خلاف ٣٠)

تحرصت (المجلة) جيداً أن تقدم لنا التفاصيل عن هذا العمل الذي هو في عينيها مؤكد جداً وثابت وعام

ولكن التاريخ الكنيسي لاوسابيوس لا ينوّه في مدة الاجيال الثلثة الاولى الا عن اربعة اشخاص شرقيين لاحظ انهم سافروا الى رومة وهم: القديس اغناطيوس اسقف انطاكيا والقديس بوليكربوس اسقف سميرنا وهيجيسيبوس اسقف ايرابوليس . واوريجانوس عالماني الاسكندرية (لانه لم يكن قساً بعد قبل هذا السفر)

ومن ثم فالقديس اغناطيوس الانطاكي لم يتوجه من قبل ذاته الى رومة وأنما اقتيد اليها بالقوة العسكرية ليقاسي الاستشهاد في مكان عينته جلسة محاكمته . حقيقي أنه في أثناء طريقه حرر رسالة للرومانيين حيث قال لهم فيها (أنه في هيام أن يرى وجوههم) ولكن ينبغي أن نكون مازحين بتأكيد اذا استنتجنا من ذلك أن القديس اغناطيوس الانطاكي الذي كان تلميذ القديس بطرس والذي كان سمع مراراً عديدة التعليم من رسل يسوع المسيح كان في حاجة لتعليم الكنيسة الرومانية ولذلك كان في هيام لمعرفته. حقيقة انه في التحرير ذاته أيضاً قال أن (الكنيسة الرومانية مقدام المحبة) ولكن بقبول أن هذه الكلمة (المحبة) مرادفة هنا للاخوّة أو الكنيسة. فالقديس الشهيد لم يرد ابداً أن يقول أن الكنيسة الرومانية رأس الكنيسة الجامعة وانما كانت له عناية أن يحصر رياسة الكنيسة الرومانية على اقليم الرومانيين

ونعرف بالنظر الى هيجيسيبوس معاصره أنه في هذا التاريخ كانت

كنيسة اورشليم محافظة ومتمسكة على افكاره لان اساقفتها الذين كانوا ذوي قرابة للرب بالجسد كانوا يرأسون الكنيسة الجامعة كما رأينا ذلك في مكانه

أما بالنظر الى القديس بوليكربوس فالقديس ايريناوس يخبرنا أن هذا الرجل العظيم الذي منذ صباه صار تلميذ الرسل والذي عاش زمناً طويلاً في مودتهم وبالاخص في مودة القديس يوحنا الذي وكّله ذاته على حكم كنيسة سميرنا (ايريناوس ضد الهراطقة ف ٣ : ٣ واوسابيوس ك ٤ : ١٤)

وزاد القديس ايريناوس نفسه أن القديس بوليكربوس علم دائماً ما تسلمه من فم الرسل انفسهم (المكان المذكور) فاذاً غرض سفره الى رومة لم يكن ليتلقى دروساً من الكنيسة الرومانية بل ليتنازع مع انيكتوس اسقف هذه الكنيسة على بعض مسائل . وقد رفض على الفور بعد هذا النزاع التسليم بحكم انيكتوس ذاته وباتخاذ الكنيسة الرومانية القاعدة في ممارسة الاحتفال بعيد الفصح (أنظر رسالة القديس ايريناوس الى البابا فيكتور في اوسابيوس ك ٥ : ٢٤)

وزيادة على ذلك أن القديس اسقف سميرنا لما كان برومة هدى كثيرين من هراطقة الوالانتينيين والماركونيين بسلطان شهادته واعلانه بها أن تعليم الكنيسة في زمانه هو الحقيقة الاكيدة التي تسلمها هو ذاته من الرسل (ضد الهراطقة ٣ : ٣ واوسابيوس ك ٥ : ٢) كل هذا ليس فيه رائحة (صفة) من الحق ان يبرهن على ان القديس بوليكربوس كان برومة

لانه رغب أن يغتنم علم وتدابير الكنيسة الرومانية

أن هيجيسيبوس اسقف هيرابوليس يعلمنا ذاته أن رومة ليست وحدها التي زارها بل أنه ساح كل المدن التي شاد فيها الرسل كنائس مبتدئاً من الشرق حتى بلغ رومة وكورنتوس وتحقق ان هاتين المدينتين كانتا تحافظان مثل كل المدن الاخرى على وحدانية كرازة الرسل (اوسابيوس ك ٤ : ٢٢) هذا يبرهن على أن هيجيسيبوس بلغ رومة لا ليتلقى دروساً من الكنيسة الرومانية وانما ليتأكد فقط تعليم الكنيسة الرومانية اذا كان مثل تعليم باقي الكنائس موافقا لوحدانية الكرازة الرسولية التي هي عنده الاصل والقاعدة للمعتقد العام لكل الكنائس

واخيراً أن اوريجانوس كتب شطراً عما كان برومة بعد ان هام زمناً طويلاً ان يرى كنيسة عاصمة العالم لماذا كانت هذه الرغبة ؛ لانه تمكن ان يطوف كل كنائس الشرق في اليونان واخائية لكنه لم يكن ذهب بعد الى رومة عاصمة العالم الروماني فكان بلا مرية مشتاقاً ان يعرف تعليم الكنيسة الرومانية بحيث ان الباعث لهذه الرغبة ما كان اصل اعتقاده بأن هذا التعليم قاعدة ايمان عموم الكنائس بل باعثها ان يتثبت ان هذا التعليم موافق لتعليم كل الكنائس الاخرى الرسولية حتى يتمكن ان يدعو بملء الثقة كما فعل في كل محرراته الى اتفاق الاراء بخصوص الكرازة الكنيسية وبالتالي رسولية التعليم في كل الكنائس. فاذا هذه الامور الاربعة ابعد من ان تبرهن على مراد المجلة الرومانية بأن رومة كانت تعتبر ذاتها كأنها قاعدة

معتقد عموم الكنائس وبالعكس تبرهن على انه في اثناء القرون الثلاثة الاولى كان يظن بارثوذكسية رومة بنسبتها مع تعليم الكنائس الاخرى العام الذي معينه وحدانية الكرازة الرسولية

(ثانياً) المجلة الرومانية ادعت بقياسها المنطقي نوعا آخر ركبته هكذا (ان مستأنفي القلاقل (الحركات) الدينية كانوا يتحرون ان يكونوا مقبولين في شركة المسيحية برومة ويستميلون حماية سلطتها المسكونية بتدخلهم عند رؤسائها) هذه الكلمات القليلة توضح بالاختصار قصة تاريخ الهرطقات في أثناء القرون الاولى الثلاثة باي حال كان معظم الهراطقة الاولون يقلدون هرطقاتهم لجيد الكنيسة الرومانية ؛ — كما تشهد بذلك الآثار القديمة وبالاخص مؤلفات القديس ايريناوس وترتوليانوس — الذين كانوا يحاولون ان يكونوا مقبولين في الكنيسة الرومانية ويستميلون حماية سيادتها بنشر اضاليلهم فيها سواء بالسر كما فعل سابقاً كاردون وسواء بالجهر كما فعل ذلك كل الباقين يعني ماركيان ووالنتيان والتاودوتسيان نويلوس وبركياس وقبلهم كردون ذاته لما اشتهر

فالمجلة الرومانية لم تقل ذلك. وعلى كل فاننا مزمعون ان نبيّن بسرور هذا السر . هل باقي الهراطقة لم يتصرفوا هذا التصرف مع باقي الكنائس حيث ساموا وزرعوا اراءهم الاراتيكية ؛ فهل يمكن ان يستنتج (شيء) بطريقة شرعية من تصرفهم الذي كانوا يحاولون به ان يكونوا مقبولين بهذه الكنائس ويستميلون حماية سيادتها ؛ ثم كيف كان اكثر الهراطقة على

التحقيق يختارون رومة مركزاً لاستئنافاتهم الدينية فهل يدل ذلك ضرورة على أن سلطة رومة الروحية كانت مسكونية ؛ ألا يكفي ان يبيّن اختيار رسل الضلال هؤلاء (لرومة) ان رومة التي هي عاصمة العالم كان محكوماً عليها بهم كمرسح واسع جداً لاعمالهم وارضية موافقة لمركز نشر تعاليمهم؟ (بروبا جندا)

اما بالنسبة لنا فان علم منطقنا يجد في نفس هذا العمل الدليل المناقض. لانه لو كان الهراطقة ظنوا برهة ما ان رومة اصبحت معتبرة عند كل المسيحية كأنها كعبة الاعتقاد العام لكانوا احترسوا جداً ان يعرضوا قواعد تعليمهم على سمع (اذن) اساقفتها لكي لا يكونوا من الاول سبب صدور الحكم المسكوني عليهم ويكون قاطعاً لكل رجاء لهم من نشر تعاليمهم مؤخراً . لكن ماذا نختار ؛ القياس المنطقي الشرقي او القياس الروماني . وتواهما مناقضان بعضها بعضاً تماماً

٢ نحن لا نحذو حذو المجلة (رومة والشرق) بالاختصار ولذا فاننا سنجول في الكلام باكثر تفصيل عن عمل الهراطقة في القرون الثلاثة الاولى لكي نثبت ماذا كانت عملية ونظرية المسيحية بالنظر اليهم واية سلطة مسيحية استدعت ضدهم في صالح الحق والايمان اذا كانت سلطة رومة الفردية كما تدعي مجلتك او سلطة كل الكنائس الرسولية المشتركة التي كانت لديها الشهادات الاصلية عن التعليم الاول الذي بشر به الرسل

اولا أن الرسل انفسهم الذين اسسوا الكنائس سلموها كل تعليم

الايمان وحذروها صريحاً من عمل الهراطقة القريب (١ كو ١١ : ١٩) ولم يأمروها بأن تلفت انظارها بلا انقطاع نحو رومة كنحو مركز أو قاعدة المعتقد العام وانما امروها دائماً (أن تحافظ ذاتها على التعليم الصحيح الذي تعلمته منهم (١ تي ١ : ١٨ و ٦ : ٢٠ و ٢ تي ١ : ٢) أن (احفظ الوديعة الصالحة التي للروح القدس الساكن فينا (٢ تي ١ : ١٤) سلم وديعة التعليم الصحيح هذه أناساً مؤمنين يقدرون ان يعلموا الآخرين (٢ تي ٢ : ٢)

فالرسل في رسمهم للكنائس الخطط التي تتخذها من نحو الهراطقة ومخترعي التعاليم الفاسدة لم يأمروها ان تحفظ الحكم عليهم وعلى تعاليمهم الى محاكمتهم بسلطة رومة بل امروها ان (تجتنب الرجل المبتدع بعد انذاره مرة واثنتين وتعرف ان مثل هذا محكوم عليه بحكومة ذاته التي هي رباطه بالشر (تي ٣ : ١٠ و ١١)

ثانياً ان الكنائس ما كان يمكنها الا ان ترسخ دينياً على هذه التعاليم المنقوشة من مؤسسيها الالهيين على معدن الايمان . وهكذا لما فشت بدع الغنوسيين (ذوي المعرفة) والماركونيين لم يخبرنا تاريخ القرون الثلاثة الاولى ان الكنائس استدعت محاكمتها بواسطة رومة وانما يخبرنا ان (تاوفيلس الانطاكي سادس اسقف لهذه المدينة بعد الرسل كتب ضد هؤلاء الهراطقة الاولين وخصوصاً ضد ماركيون ومثل ذلك كل رعاة الكنائس دفاعاً عن صحة التعليم الرسولي (اوسابيوس ك ٤ : ٢٤)

ثالثاً لما فشت بدعة الفريجيين التي كان مخترعها مونتان الذي منبت

عوده فريجيا فالمسيحية لم تستدع ولم تنتظر تدخل رومة بل يروي مؤلف قديم جداً ذكره اوسابيوس (ك ٥ : ١٦) ان الاراتيكي الجديد الذي قهره اساقفة فريجيا كان جعل نفسه نبياً بكيفية مخالفة لكيفية الكنيسة استلمها من اسلافه وانتقلت بتسلسل غير منقطع اما تابعوه فحكم عليهم كهراطقة وطردوا من الشركة بواسطة اساقفة آسيا الذين اجتمعوا من اماكن مختلفة لهذا الاقليم ليقفوا على حالة هؤلاء المبتدعين ومن المعلوم ان ابولونيوس مؤلف قديم ذكره اوسابيوس (ك ٥ : ١٨) يخبرنا ان هؤلاء الهراطقة ساروا وراء الارباح القبيحة بادعاآتهم انهم انبياء وبقبولهم ربح الفضة والبذلات الفاخرة المخالفة لتقليد الرسل المضاد لكل نبي عاش ايا كان يذيع اموراً دنوية في ممارسة سره (تعالى) الروحي . اننا نجد اثراً منظوراً لهذا التقليد الرسولي في تعليم الاثنى عشر رسولا (١١ : ٦)

رابعاً لما جسر بولس السميساطي على ان ينكر لاهوت المسيح يسوع في منتصف الجيل الثالث لم تقدم المسيحية قضيته الى رومة بل ان اساقفة سوريا والاقاليم المجاورة عقدوا مجمعاً في انطاكيا نفسها مركز اسقفية الاراتيكي واقنعوه انه ابتدع ضد شخص المخلص تعليماً مخالفاً لقاعدة الايمان يعني (لتعليم كل الكنائس الرسولية العام) وبالنتيجة انهم اعلنوا اسقاطه وكرسوا مكانه دمنوس على كرسي انطاكيا (اوسابيوس ك ٧ : ٢٩) هذا العمل المتمم اعلن عنه الآباء ديوناسيوس الروماني ومكسيموس

الاسكندري وكل اساقفة الكنيسة الكاثوليكية بان عزل بولس السميساطي ورسامة دمنوس خليفة له يلزم ان يوافق عليه الكل عموماً (اوسابيوس ك ٧ : ٣٠) فالكنيسة الجامعة صادقت عموماً على اعمال هذا المجمع الانطاكي الذي يعتبر دائماً مجمعاً مقدساً وموقراً

وهكذا ان عزل بولس السميساطي بصفة كونه اراتيكياً ورسامة دمنوس بصفة كونه خليفة له على كرسي انطاكيا حدثا بدون اشتراك او بدون رضى سالف من بابا رومة . وبابا رومة لم يسعه الا ان يصادق مثل باقي الاساقفة على ما ترتب خارجاً عن سلطته فهذا لا يدل بالتأكيد على انه كان ذا السيادة العليا على المسيحية وعلى انه بدون أمر وبلا رخصة منه ما كان ممكناً ان يجرى شيء في الكنيسة

ومع ذاك فان لاهوتييك الذين مجلتهم (رومة والشرق) الصدى الصحيح يعتقدون انهم وجدوا في تصرف اوريليان الامبراطور الوثني موازنة لتصرف البابا وتصرف الكنيسة الجامعة الذي يظهر عدم وجود السيادة الرومانية في هذا الزمن

ان بولس السميساطي لما عزل بواسطة آباء المجمع وابدل بدمنوس لم يرد ان يخرج من الكنيسة الانطاكية واعلن انه معتمد على الامبراطور ضد قرار مجمع الشرق متعللا بلا شك ان معه كل الكنائس الغربية فالامبراطور الوثني تداخل في مسألة مسيحية لامحل له فيها ورضى ان يحوّل المشتكي على نظر مركزه واذا كان بيده الحق يصير في شركة اسقف رومة رئيس

الغربيين . لكن ماذا يوجد في تدبير امبراطور وثني أيقدر ان يبرر دعوى اسقف رومة الحديثة بالرياسة العامة على الكنيسة؟ بينما نرى في ذلك الوقت ان بولس السميساطي حوكم وعزل وعلى الفور ابدل بدمنوس بدون تدخل وبدون اشعار سابق من بابا رومة وكان ذلك باستحسان عام من كل اساقفة المسيحية ومن اسقف رومة نفسه

خامساً لما انكر سبليوس اسقف ليبيا المتعلقة ببطريركية اسكندرية التمييز بين اقانيم الثالوث الالهية جرياً على منوال نويلوس وباركسياس الهرطوقيين الغربيين حكم ديوناسيوس الاسكندري على هرطقته بدون انتظار وبدون الاستغاثة بحكم بابا رومة . وأنا أعرف هنا جيداً ان مجلتك تدعي في هذه الفرصة أن بابا رومة بصفته قاعدة المعتقد أعاد الى الارثوذكسية حكم رئيس اساقفة مصر . ولكن نحن سنتحرى جيداً قيمة هذا التعلل بعدئذ بقليل

سادساً أن القديس اغسطينوس بصفته اسقف غربي لا يمكن أن يظن به التعصب بهذه المادة فقد اختصر هكذا محاكمة الهرطقات في مدة الزمن الاول المسيحي بعبارات تنفي تماماً تدخل رومة في محاكمة الارتقات الناشئة خارجاً عن دائرتها قال (أن الامور المخالفة من حيث توجد يلزم أن تمحّص وتفحص . وفي هذه المثابة ما ارتكب منها في الاراضي الاخرى دينَ مرتكبوها (ضد الاصلاح ك ١ : ٤ و ك ١٢ نمرة ٣٤)

٣ فهاك ما كانت اجراءآت المسيحية في محاكمة الهرطقات ولكن

نظريتها كانت دالة اكثر فبعد هذا القياس المنطقي لم تكن قاعدة المعتقد بواسطة تعليم بشر بل بواسطة تعليم الرسل الذي هو تعليم الروح القدس الذي هو تعليم ابن الله الذي هو تعليم الاب . ومن ثم يكون تعليم الرسل وجد في كرازة مجمع عليها من كل الكنائس بحيث عند انفجار جدل عن نقطة ما من المعتقد فكل المسألة تتحول على معرفة ما اذا كان هذا التعليم هو تعليم الرسل أم لا

وفي هذه الحالة لمعرفة هذا التعليم اذا كان تعليم او غير تعليم الرسل كان تتوجب المبادرة الى شهادة كل الكنائس الرسولية لا الى شهادة مفردة من واحدة منها واولى أن يقال الى شهادة مجمع عليها لا الى شهادة فردية . ويرى من ذلك ان نظرية مثل هذه هي سلب قاطع وصحيح لسلطة شخصية الكنيسة الرومانية كأنها كعبة المعتقد ومن ثم هكذا صارت واضحة النظرية من عموم المسيحية اثناء القرون الثلاثة الاولى . وعندنا ضمانة لها القديس ايريناوس اسقف ليون من بلادغاليا (فرنسا) وترتوليانوس كاهن كنيسة قرطجنة واوريجانوس قس كنيسة الاسكندرية

أولا ان القديس ايريناوس وهو الذي يروي عنه لاهوتيوك رغبة في تركيب قياسهم المنطقي لانهم فهموه غلطاً انه ضمن مؤلفه ضد الهرطقات جملتين مفرزتين الاولى هي ان الهرطقات حكم عليها بالضلال لان كرازة الكنيسة الجامعة كانت مضادة لها . وان وحدانية هذه الكرازة الجامعة هي دليل واضح على وحدانية اصلها المشترك الذي هو

تعليم الرسل (ضد الهرطقات ١ : ١ ك ١٠ نمرة ٢ : ١ — ٥ ك ٢٠ نمرة ١)

والثانية هي انه فى حالة الجدل على نقطة ما تخص العقيدة ينبغي ان يبادر لا الى تعليم الكنيسة الرومانية بل الى شهادة الكنائس الرسولية (الجامعة) تأمل كلام هذا الاب القديم الخصوصي ما هو (اذا هل عند انفجار أي جدل على نقطة ما من المعتقد لا ينبغي المبادرة الى الكنائس القديمة التي عاش فيها الرسل ليستلم منها ماهو حق واكيد ؟ (ضد الهرطقات ١ : ٣ ك ٤ نمرة ١) وأيضاً (الاصغاء ضروري للاساقفة الذين ثم في الكنيسة يعني الذين سلسلتهم الرسولية مشتقة من الرسل وبذلك تقلدوا الخلافة الاسقفية عطية الحق الاكيدة التي هي حسب ارادة الله الاب وبالنظر لاولئك الذين يقصون انفسهم عن تعليم هذه الخلافة الاصولية (الرسولية) وقد كونوا ضلالهم وادخلوه فى أي مكان كان ينبغي اتخاذهم كمشبوهين وينظر اليهم كهراطقة ومعلمين لعلوم مخالفة . لان ثم وضعت عطايا الرب التي ينبغي التحري فيها عن الحقيقة والمعرفة من هؤلاء الذين لهم الخلافة الكنيسية المتصلة بالرسل والذين لهذا السبب هم اصحاب الودائع التي لا تفنى لتعليم السلام هؤلاء هم الذين يحفظون ايماننا ويشرحون لنا الكتب المقدسة بلا خطر ضلال (ضد الهراطقة ١ : ٤ ك ٢٦ نمرة ٢ — ٥)

ان ادراك القديس ايريناوس هو ادراكه في كل سير مؤلفه وهو : ان الكنيسة الرسولية هي شهادات اصلية للتعليم الرسولي الالهي شهادات موضوعة وموصى بها من الله ذاته : والاجماع على هذه الشهادات هو دليل

لا ينقض على رسولية اية نقطة عقائدية . وايضاً في النص نفسه الذي يروم لاهوتيوك ان يروه انه جعل به رومة قاعدة الايمان اعلن صريحاً انه لاجل محاربة اراتقة الضلال من الضروري تبيانه بخلافة اسقفية كل الكنائس الرسولية التي كلها تحكم على تعليمهم الجديد . فاذا كان اقتصر في مؤلفه على خلافة اسقفية كنيسة رومة فذلك فقط بسبب اختصاره اولاً وبالتالي لان شهادة كنيسة رومة في ذاك الزمن هي شهادة كل الكنائس الاخرى الرسولية التي كان يمثلها دائماً في رومة جملة من مؤمنيها يأتون لمصالحهم الى عاصمة العالم واليك نص القديس ايريناوس الشهير الذي لا يوجد إلا في الترجمة اللاتينية واليونانية مفقودة اليوم .

(بما ان تقليد الرسل ظاهر في العالم اجمع فمن السهل بمكان لكل واحد ان يتحرى الحقيقة ويراها في كل الكنائس . وبالنتيجة انه يجب علينا ان نحسب كل الاساقفة الذين عينهم الرسل في هذه الكنائس بتسلسل خلفائهم الى ايامنا الذين لم يعلموا شيئاً او يعرفوا هذه التعاليم الكاذبة التي يقر بها الاراتقة ولكن بما انه يطول بنا جداً ان نحسب في هذا المجلد خلافة كل الاساقفة فقد اقتصرنا على ان نعين تقليد وايمان الكنيسة العظمى والاكثر قدمية والمشهورة جداً التي اسسها برومة الرسولان بطرس وبولس التي تقلدت من الرسل خلافة اساقفتها الغير المنقطعة الى ايامنا وبها نفحم كل أولئك الذين يرتأون الخلف الذي لا ينبغي ان يكون من الايمان الذي حازوه بعمى قلوبهم او بالنيات الشريرة التي تشغلهم)

فحينئذ لماذا تكون الكنيسة الرومانية في الوقت نفسه شهادة كل الكنائس الرسولية وضروري الحصول عليها حسب رأي المؤلف لكي يركب (من ذلك) قياسه المنطقي ؟ فهل لكون الكنيسة الرومانية صارت عنده الامومة المعصومة التي تستلم منها كل الكنائس ايمانها العام ؟ لا وانما بالعكس وهو ان الكنيسة الرومانية تتقلد على الدوام الايمان والتقليد الرسوليين بواسطة الكنائس الاخرى الرسولية التي تتمثل لديها بجمهور مؤمنيها العديد الذي يحضر دائماً الى رومة من اجل المصالح . واني اروي باللاتينية نص المؤلف الذي يعطي حق ما تقدم

(Ad hanc enim Ecclesiam. propter potentiorem principalitatem. necesse est omnem convenire Ecclesiam. hoc est eos qui sunt undique fideles. in qua semper ab his qui sunt undique conservata est ea quae ab Apostolis traditio)

ثم ان المؤلف بعد ان عد خلفاء اساقفة رومة من زمن الرسل انتهى بهذه العبارات (Hac ordinatione et successione ea quae est ab Apostolis traditio et veritatis praeconatio parvenit usque ad nos. Et est plenissima haec ostensio unam et eamdem vivificantem fidem quae in Ecclesia ab Apostolis usque nunc sit conservata et tradita in veritate) (ضد الهراطقة ١ : ٣ ك ٣ نمرة ٢)

ومراد اللاتينية بالفرنساوية قولها (لانه الى هذه الكنيسة بسبب كون (اصل) تسلط (مدينتها) كانت الضرورة تحتم ان تبادر اليها في وقت واحد كل الكنائس لمعرفة المؤمنين الذين في دائرتها من كل مكان .

وفي هذه الكنيسة (الرومانية) كان التقليد الرسولي محفوظاً على الدوام بفعل المؤمنين الذين فيها من كل مكان (من الكنائس) . . . وبهذه الحالة وبخلافة الاساقفة الرومانيين وصل الينا تقليد الرسل والكرازة الحقة وهذا الايضاح الكامل كاف ومطابق وهو ان الايمان المنعش هو الذي تقلدته الكنيسة (الجامعة) من الرسل والذي يحفظ الى الآن التعليم بكل دقة » (الجدل ضد الاراتقة ك ١ ف ٣ ق ٣ نمرة ٢) لكن لاهوتييك انتهزوا فرصة غياب الاصل اليوناني وترجموا اللاتينية حسب ذوقهم بهذا النوع (لان هذه الكنيسة الرومانية بسبب سلطتها (الروحية) كل الكنائس يجب ان تكون في الشركة معها يعني المؤمنون الذين في كل مكان . . لانه في الكنيسة الرومانية وبالكنيسة الرومانية ان المؤمنين في كل مكان يحافظون على ايمان الرسل » فمن ثم ان هذا لا يسمى ترجمة نص لاتيني وانما هو تزوير له ليجعل قوله مخالفاً (معارضاً) لما يتضمنه (من المعنى). لاحظ اول كل شيء ان النص اللاتيني لم يقل ان كل الكنائس يجب ان تكون « في شركة مع الكنيسة الرومانية » بل انه كان من الضرورة ان تأتي الى هذه الكنيسة »

وأيضاً ان القديس ايريناوس لكونه لم يرد ان يقدم ايضاحاً يستلزم عدم التصديق بتبليغه السمع ان كل الكنائس بمعنى مضبوط تأتي الى الكنيسة الرومانية اسرع في التعبير عن فكره بهذا التقييد وهو « يعني المؤمنون الذين هم (برومة) من كل مكان (من كل الكنائس) . فلو كان

اراد ان يعني ان كل الكنائس يجب ان تكون في الشركة مع الكنيسة الرومانية ما كان بحاجة للتقييد والشرح وبالخصوص لتحديد معنى هذا الشرح فلم يكن يقول « المؤمنون الذين في دائرتها من كل مكان » لكن بالاولى « المؤمنون الذين في كل مكان » فهذا اول تزوير

الثاني لم يقل المؤلف كما يزعم لاهوتيوك انه « بالكنيسة الرومانية ان المؤمنين الذين من كل مكان يحافظون دائماً على ايمان الرسل » بل اثبت العكس وهو « ان مؤمني الكنائس الرسولية الذين ياتون رومة من كل مكان يحفظون في الكنيسة الرومانية دائماً تقليد الرسل » اما ترجمتنا فهي ان تقليد الكنيسة الرومانية وجد انه التقليد المشترك لكل الكنائس الرسولية فنعلم بالحاضر وهو (في حضرة الكنيسة الرومانية مؤمنون اتوا من كل مكان) فهكذا هي الشهادة المجمع عليها من عموم الكنائس الرسولية التي استدعاها المؤلف في هذا المكان ضد الهراطقة الذين حذرنا منهم واضحاً وهذه هي (الشهادة) التي سوّغت له ان يستنتج بفوز وهو انه عند ما يروي تقليد الكنيسة الرومانية يكون قد روى في الوقت نفسه تقليد كل الكنائس الرسولية ويبرهن على ان تقاليد كل الكنائس موافق لبعضها

ولكن في الترجمة المزورة التي للاهوتييك (تجد) برهان القديس ايريناوس غير مرتبط ببعضه لانه على حسب هذه الترجمة ان المؤلف لم يرد منها الا تقليد الكنيسة الرومانية وحدها ويجعله مؤكداً ان كل الكنائس

لا يحفظون تقليد الرسل الا بواسطتها . فقد أندك من الاساس كل برهانه الذي يؤيد بلا اعتراض عملاً (وبالجملة ان هذا العمل هو تعليم أو تقليد الرسل) مؤكداً بالاجماع بشهادات جمة أصلية (وبالجملة بكل الكنائس الرسولية) وواضح أيضاً انه « من أجل تعزيز (ترتيب) فعل التقليد الرسولي تلزم المبادرة الى شهادة الكنائس القديمة التي يطن في اذانها الخصوصية تعليم الرسل » ويلزم « الحصول على الخلافة الاسقفية من كل هذه الكنائس التي وضع فيها الرسل تقليدهم »

فلو اكتفى بالايجاز ان يروي خلافة أسقفية الكنيسة الرومانية لاهم جداً ان ينبه ان هذه الشهادة مصدّق عليها من شهادة كل الكنائس الرسولية التي جملة من أعضائها يعيشون دائماً في حضنها في رومة نفسها . لكن من أين جاء برهان القديس مناقضاً إذ وضع أساسه على كثرة شهادات ذوي سلطة وعلى اجماع شهاداتهم فلو جهل ان يقول عنه ان « عموم الكنائس الرسولية » (الى اية شهادات أحال ليؤكد حقيقة تقليد الرسل) ما كانت تحفظ هذا التقليد الا الكنيسة الرومانية ؟ فكان ذلك موجب للسخرية وهي ان هذا المؤرخ الذي أراد ان يؤكد (يرتب) حقيقة تاريخية بجملة شهادات كونية أصلية يعترف ذاته بأن كل شهاداته الجمة الاصلية وهمية لانها محوّلة على واحد نظراً لكون الباقين لم يكن لديهم معرفة شخصية بالحقيقة ولكون معرفتهم بسيطة صادرة من معرفة واحد . وانما مثل هذه السخرية تقع على مزوري القديس ايريناوس لا على القديس

ايريناوس ذاته الذي برهن مرات مختلفة على ان كل الكنائس الرسولية هي بهذا المقدار شهادة على صحة تقليد الرسل لان تعليم الرسل يجاوب في أذانها وانها تحفظه دائماً بأمانة في حضنها الى هذا اليوم

وأخيراً لكي نجعلك تشعركم هو كذب وتزوير لاهوتييك وبأي قدر كان نص القديس ايريناوس غريباً عن (تأييد) سلطة رومة أضع أمام العيون أضع ترجمة لاتينية لفقرة للقديس غريغوريوس النازينزي حيث قال فيها عن القسطنطينية (المدينة التي لانظير لها في العالم التي تتصل بها جميع المراكز البعيدة من الكرة والتي منها أخذ الكل مبدأه بصفة كونها مخزن الايمان العام (خطب النازينزي : ٣٢)

أرجوك ان تلاحظ المطابقة المطلقة لعبارات هـذا النص اللاتينية المتعلق بالقسطنطينية مع عبارات القديس ايريناوس بشأن كنيسه رومة التي يرتأي بها لاهوتيوك ان كل الكنائس (في شركة مع رومة) ولاحظ كيف ان نص القديس اغريغوريوس عن القسطنطينية بسبب أهميتها (تأثيرها) يدعوها (مملكة شركة الايمان) فهل هذا يعطينا الحق ان نستدل من ذلك على ان رومة الجديدة هي مركز سلطانة المسيحية الروحية وأنها مركز شركة الارثوذكسية الجامعة ؛ في حين ان نص القديس غريغوريورس هو أكثر قوة من نص القديس ايريناوس هذا

ثانياً لنجتاز الى ترتوليانوس قس قرطجنة وهو واحد من ذويك مثل ايريناوس وقد عاش بضعة سنين بعده يعني كان نحو ختام القرن الثاني .

ماذا يقول عن قاعدة الايمان ؛ يتكلم عنها باتساع وامرة واليك نظريته التي علمها كنيسة قرطجنة ذلك الذي استلم ايمانه من رومة نفسها قال

(ان الهرطقة كلمة يونانية وتعبر عن محل مختار يستخدمه (يوكبه) شخص ما لينظم هرطقته أو ليختاره . هذا ما حمل الرسول على ان يقول الارتيكي محكوم عليه بشهادته الخاصة لانه يختار ذاته ما يسبب الحكم عليه . أما بالنسبة الينا فغير مسموح لنا ان نتصرف مها كان بأصلنا ولا أن نختار ما يعلمه آخر من سلطانه في حين ان عندنا المؤلفين رسل الرب الذين لم يخترعوا شيئاً من أنفسهم الذين سلموا بأمانة الامم التعاليم التي تلقوها من يسوع المسيح . ولهذا السبب ذاته لو هبط ملك من السماء ليعلم بعكس الرسل واجب علينا ان نقول له محروم . وهكذا ان الامم تلقوا التعليم المسيحي من الرسل وتلقاه الرسل من الروح القدس الذي علمهم كل الحق) [1] ثم ان (الرسل المتأسسين من الروح القدس هم أنفسهم أسسوا الكنائس أولاً في اليهودية ثم في وسط الشعوب . فهذه الكنائس المؤسسة بالرسل هي التي تلقت منها الكنائس الاخرى(التقليد) وتقلده كل يوم بتحويل الايمان وبذور التعليم ...هذه الكنائس مع كبرها وعددها هي كنيسة واحدة رسولية كنيسةواحدة اولى(تفرع) منها كل الباقي) [2]

(١) سقوط الحق ف ٦ : ٧)

(٢) سقوط الحق ف ٢٠)

ثم يتلو ترتوليانوس قائلاً (ذلك ما كتب . فاليك برهاننا المستحق الاعتبار (ضد الهراطقة) وهو اذا كان ربنا يسوع المسيح أرسل الرسل ليبشروا بتعليمه فأصبح ضرورياً لنا ان لا نقبل كارزين آخرين سوى الذين عينهم يسوع المسيح . والسبب هو ان الابن وحده يعرف الاب ومن أراد الابن ان يعلمهم به وانه لواضح ان الابن ما أعلن لسوى الرسل الذين أرسلهم لينذروا بما كان أعلنهم به. فاذاً بماذا كرز الرسل وأية عبارات أعلنهم المسيح يسوع بها ؛ فاستنتج هنا ان هذا الحق لا يبرهن عليه أحد الا شهادة الكنائس نفسها التي أنشأها الرسل ذاتهم وكرزوا فيها بالايمان شخصياً أو بأصواتهم الحسية أو بالتالي برسائلهم . فاذا كان كذلك فهو ثابت ان كل تعليم شهدت له هذه الكنائس الرسولية الامومة والمتاصلة في الايمان يجب ان يعتبر حقيقة وبقدر ذلك يبرهن بلاشك على ان هذه الكنائس تلقته من الرسل والرسل تلقوه من المسيح يسوع والمسيح يسوع تلقاه من الله . وبالعكس يلزم ان يشجب ويعتبر كاذباً كل تعليم تكون مبادئه مضادة للحق الذي للرسل الذي ليسوع المسيح الذي لله)(١)

فاذاً حقيقة التقليد الرسولي الالهي حسب معتقد القرون الثلاثة الاولى لا يمكن ولا يجب ان تبرهن الا بشهادة الكنائس الرسولية (الجامعة) فأية كنائس رسولية تتبعها ؛ ان ترتوليانوس قال لنا سلفاً عنها تتبع كل

(١) سقوط الحق ف ٢١)

الكنائس التي أسسها الرسل بأنفسهم بكرازتهم الشخصية التي نقلوا اليها مباشرة كلام الايمان والتي لهذا السبب هي المسيحية (الكنائس الامومة وأسس الايمان) ولكن المؤلف ذهب الى أبعد في التحقيق بشأن هذه الكنائس التي شهادتها هي البرهان الوحيد الشرعي للحقيقة الالهية الرسولية مهدداً الاراتقة إذ لا يمكنهم ان يصلوا كنائسهم أو معتقداتهم الى رسل المسيح يسوع بقوله عن ذلك كما يلي (أنهم يستشهدون اذاً عن أصول كنائسهم ويعدون سلسلة أساقفتهم منذ بدئها ويبينون لنا في هذه الخلافة ان أول اسقف هو أحد الرسل أو أحد الرجال الرسوليين الذين استمروا الى النهاية مع الرسل بصفة أصل وسلف . لان بهذا النوع تأصل أساس الكنائس الرسولية وعلى هذا المنوال تستشهد كنيسة سميرنا بيوليكربوس الذي نصبه يوحنا الرسول وهكذا كنيسة رومة وضعت في أول (السلسلة) اكلمندس الذي كرّسه القديس بطرس . ومثل ذلك باقي الكنائس (الرسولية) تستشهد بهؤلاء الذين أقامهم الرسل ذاتهم في الاسقفية الذين هم بالنسبة لها الاساس والبذار الرسولي » (١)

فعلى رأي ترتوليانوس ان كل الكنائس التي أول أسقف فيها كان أصله وسلفه رسولاً أو رجلاً رسولياً ما انفصل من عشرة (وحدة)

(١) في الاستحقاق : ٣٢ (المترجم . يوجد فرق طفيف بين هذا النص الذي أورده المؤلف والذي أورده الاب جراسيموس مسرة في ص ٦١ من تاريخه عن الانشقاق الجزء الاول)

الرسل هي رسولية بهذا اللقب هي بهذا العنوان الكنائس الامهات والاسس للايمان وشهادة بهذا اللقب للتعليم الرسولي الالهي . وعلى حسب (رأي) ترتوليانوس ان هذه الكنائس الرسولية هي عديدة جداً . والمثال الواحد دون غيره هو . أن كنيسة سميرنا هي أيضاً رسولية مثل الكنيسة الرومانية وهي أيضاً شهادة أصلية عندها التعليم الرسولي الالهي . لكن المؤلف جرى في تعداد جملة من الكنائس الرسولية الامهات وأسس الايمان وتلا في مؤلفه عن نبذ الهراطقة قائلاً (ان كنت تريد ان تجاهد جهاداً حسناً في سبيل سلامك فطف الكنائس الرسولية التي لم تزل كراسي الرسل قائمة فيها وفيها تقرأ رسائلهم الاصلية عاكسة صوتهم ومشخصة اياهم . فان كانت أخائية قريبة منك فعليك بكورنثوس وان كنت لست بعيداً عن مكدونية فعليك بفيلبي وتسالونيكى وان كنت تستطيع ان تذهب الى اسيا فعليك بأفسس وان كنت قريباً من ايطاليا فعندك رومة من حيث أتتنا نحن (الغربيين) السلطة (كشهادة عن التقليد الرسولي) [1]

يرى من ذلك ان عدداً من الكنائس الرسولية في زمان ترتوليانوس كانت منصوبة فيها كراسي الرسل أنفسهم وتقرأ فيها رسائل الرسل الاصلية مثل كورنثوس في أخائية وفيلبي وتسالونيكى في مكدونيا وأفسس في اسيا

(١) سقوط الحق : ٣٦

ورومة في ايطاليا وكل هذه الكنائس تتمتع بالسلطة الرسولية وكل منها تلقت من الرسل قواعد الايمان وكان لديها الشهادات الاصلية (الكونية) عن الحقيقة الرسولية الالهية . فاذاً كم اجتهد ترتوليانوس ان يثبت بالدقة هذا البرهان بالسلطة المستخرجة من شهادة الكنائس الاصلية أمهات الايمان بفضل الحقيقة الرسولية الالهية بنوع جدل . وهو الذي يعلمنا ذاته . ذلك بإخلاص بإجماع شهادة كل الكنائس الرسولية (بقوله) « فهل يوافق الصحيح ان عدة كنائس عظمى تضل بتمسكها بإيمان واحد ؟ . . . هذا الذي وجد متفقاً عليه عند الكثيرين لا يكون عملاً ضلالاً لكنه تقليد واحد . ثم يجسر على القول ان الرسل مؤسسي هذا التقليد كانوا مغشوشين [1]

مثل ذلك كان تعليم ترتوليانوس في مؤلفه عن الاراتقة. وفي مؤلفه ضد ماركيون يردد هذه النظرية بهذه العبارات « بكم مقدار هو حقيقي وأكيد ما هو أكثر قدمية ان أكثر قدمية هو الذي كان من البدء وما كان من البدء وهو تعليم الرسل يكون حقيقة موزونة ان تعليم الرسل هو النابت حول (جدران) الكنائس الرسولية . ولذلك لننظرن أي لبن اغتذاه الكورنثيون من بولس لنر وراء أي نظام يتمشى الغلاطيون وأية كتابات يقرأها الفيلبيون والتسالونيكيون والافسسيون وأي ايمان يجاهر به الرومانيون أيضاً الذين هم قريبون منا الذين ترك لهم بطرس

(١) سقوط الحق ف ٢٨

وبولس الانجيل نمواً بدمهم . ونحن عندنا ذات الكنائس التي شادتها مدرسة القديس يوحنا ولذا من صالح ماركيون ان يرفض سفر الرؤيا الذي يشهد لاساسها الرسولي الثابت بالاخص بجدول سلسلة نسب خلافتها الرسولية بأن هذه السبع كنائس كان المؤسس لها القديس يوحنا نفسه . بالكيفية ذاتها التي تدل على شرف أصل الكنائس الاخرى الرسولية . ومن ثم انه نحو هذه الكنائس الرسولية وكل الكنائس التالية التي في عهدتها بجتمع كل الاشياء المقدسة كان لانجيل القديس لوقا (سبب جدل المؤلف مع ماركيون) السلطة منذ أشتهر . . . ونفس شهادة الكنائس الرسولية كافلة بصحة (بسلطة) الاناجيل الأخرى الثلاثة التي حزناها منها وبها »[١]

وعلاوة على ذلك ان رومة ما كانت وحدها الرسولية بل كل الكنائس التي كان المؤسس لها الرسل مباشرة كانت رسولية مثلها وهي على الخصوص كنائس كورنثيا وفيليباس وتسالونيكي وغلاطيا والسبع كنائس المذكورة في الرؤيا وجملة من كنائس أخرى معتبرة . فاذاً رومة ما كانت محتكرة الرسولية وشهادتها ما كانت البرهان السامي للحقيقة الالهية الرسولية لان كل الكنائس التي أسسها الرسل كانت بالاشتراك كانت الشهادات الاصلية الرسمية لهذه الحقيقة لان المسيحية منها وبها تقلدت التعليم الرسولي الالهي .

(١) جدل الماركونيين ١ : ٤ ف ٦

أنه من المحتمل ان يسأل (هذا السؤال وهو) من يكون قاعدة المعتقد المسيحي عند ما يحصل جدل بين الكنائس الرسولية على نقطة عقائدية . ان ترتوليانوس ما كانت له فرصة ان يشرح هذا السؤال وانما آخر افريكي غربي وهو القديس اغسطينوس الذي كان موجوداً بعد جيلين متأخرين وجد في ضرورة ان يدون معتقد المسيحية القديمة بهذا الخصوص وتوافرت له الفرصة بالنسبة للخلاف (البعد) الذي كان موجوداً بين الكنائس الرسولية بسبب قانونية الكتب . لان الكنيسة الرومانية ما كانت تقبل في زمانه قداسة (لاهوتية) رسالتي القديس بطرس وخصوصاً الرسالة الى العبرانيين مع ان الكنائس الرسولية الشرقية كانت عندها هاتان الرسالتان في مستوى الكتب المقدسة فمن منها القاعدة في هذه الحالة : فواضح انه يلزم التمسك بشهادة أغلبية الكنائس الرسولية لا ان تفضل لهذه المهمة شهادة الكنيسة الرومانية فوضع القديس اغسطينوس من ثم هذه النظرية قائلاً لنتبع في قانونية الكتب سلطة أغلبية الكنائس الكاثوليكية بينها بلا شك الكنائس التي استحقت ان تحرز الكراسي الرسولية وتقبل رسائلهم الرسولية (تعليم مسيحي ١ : ٢ ف ٨) هذه نظرية القديس اسقف ايبونا استخدمها لاجل رسالة العبرانيين التي كان يعترف بقانونيتها بناء على سلطان الكنائس الشرقية بالرغم عن شكوك الكنيسة الرومانية بها قال « ولو ان قداسة رسالة العبرانيين غير اكيدة عند البعض (افهم انه يقصد الكنيسة الرومانية هكذا ينتج من الترجمة القديمة

لايتالا ومؤلف الجوهري موراتوري (عاش من ١٦٧٢ — ١٧٥٠) في قانون كتب العهد الجديد الروماني وايضاً شهادة القديس ايرونيموس التي قال عنها في رسالته الا ٢٩ وفي تفسيره لارمياص ٢٨ (ان الكنيسة الرومانية لم تقبل رسالة العبرانيين ، ولكونه كان متأكداً بسلطان الكنائس الشرقية التي كانت هذه الرسالة عندها ضمن قانون الكتب المقدسة قال (انا اقبلها ايضاً) (١)

وتقدمه القديس ايلاريون من بواتيرس والقديس امبروسيوس من ميلان ولوسيفار من كاجلياري فدقق الثلاثة في تقليد الكنائس الشرقية وفعلوا الامر ذاته وبعده الكنيسة الرومانية نفسها هذا مايعرف من التحديد القانوني لمجمع ترنتا الذى انتهى بكونه انضم لرأى الكنيسة الشرقية بهذه النقطة التي وُصفت في وسطه بالهرطقة والتي يرتاب بها اليوم كما جرى بها مرات منذ اجيال شتى وهي قداسة رسالة العبرانيين وقداسة رسالة بطرس الثانية

فها ان الكنيسة الرومانية التي يقال لنا اليوم انها كانت الامومة الوحيدة للمعتقد لسائر الكنائس قد اصبحت لا بصفة معلمة اصلية بل بصفة تلميذة للكنائس الرسولية الشرقية

ثالثاً بالاجتياز من افريقا الغربية الى الشرقية في القرون الثلثة

(٢) استحقاق الخطايا وغفرانها ١ : ١ ك ٥١)

الاولى تصادف ذات نظرية قاعدة الايمان مرصودة . ان اوريجانوس ناظر مدرسة الاسكندرية المسيحية وضع في مؤلفه عن (اتفاق الرؤساء) القاعدة التالية متأخراً بها وهي (يلزم ان نرفض تعليم العلماء الكذبة الذين يدعون ان لهم فكر المسيح يسوع لكي نستمر مرتبطين بالكرازة الكنيسية المنتقلة الينا من الرسل تبع نظام الخلافة الاسقفية وثابت في الكنائس كل ايامنا فينبغي لنا ان لا نقبل كحقيقة مشروحة بكلام المسيح يسوع الا ما لم يخالف بشيء لتقليد كنيسي رسولي) (١)

فهذه النظرية بلا تقييد نفس النظرية التي شاهدناها في ترتوليانوس وايريناوس . وان هذه النظرية تقدم لنا قاعدة وحيدة لايماننا وهي التقليد الرسولي الذي يحيا دائماً في الكنائس المؤسسة من الرسل لا شهادة الكنيسة الرومانية بمفردها او تعليم اساقفتها الشخصي كما يروم اليوم لاهوتيوك .

القسم الرابع

﴿ سلطة الكنيسة الرومانية تنفيها ثورة الكنيسة الجامعة الرسمية واحتجاجاتها القاصفة ضد غلو العظمة (المجرفة) الصادرة من اساقفة رومة ﴾

وصلنا الى اعلى قمة من تاريخ القرون الثلثة الاولى . ان المجلة (رومة والشرق) تدعي ان البابوات في هذا الزمن صادفوا بعض منازعات مع

(١) اول الرؤساء . المقدمة نمرة ٢

بضعة اشخاص محرومين او مع كنيسة ما مخصوصة ولكن بالرغم عن هذه المنازعات الجزئية والمرضية فان المسيحية ما كانت تنكر على الكنيسة الرومانية حق رقابتها على الكنائس الأخرى وتدخلها بلاريب بصفة سلطة في المسائل الموافقة للايمان والتهذيب . وان المسيحية ما اشتكت أبداً من تدخلها في مصالح الكنائس الاخرى كتعد على حقوق الغير أو طمع مقصود) لا شيء أكذب من ذلك واننا سنجعل الكل يشعرون بفساد هذا الاحتجاج بتحرينا ما تدعيه مجلتك من (منازعات جزئية او خلف مع شخص ما او كنيسة ما مخصوصة)

ان تلك هي احتجاجات عمومية تقصف (تدوي كالرعد) اندفقت من كل انحاء المسيحية . ان تلك الاحتجاجات صدرت لا من رجال عاميين بل من أعاظم القديسين في القرون الثلاثة الاولى الذين ملأوا الغرب كما ملأوا الشرق وأخيراً ان هذه الاحتجاجات هي سندات صادقت عليها الكنيسة الجامعة

لاشك ان الرسولية القديمة كانت تعرف ان كل الكنائس اخوات تكوّن اخوية واحدة تركب في المسيح يسوع جسداً واحداً أو هي أعضاء بعضها البعض . كانت تعرف انه بفضل هذه الوحدانية الالهية لما يتألم عضو يجب ان يتألم كل عضو من الاعضاء الأخرى واذا فرح كل الاعضاء يجب ان تفرح معه . ولما اضطربت كنيسة كورنتوس في أواخر الجيل الاول بقحة بعض المشاغبين الذين تجرأوا على ان يطردوا كهنتها

الشرعيين ما تعجب أحد عند رؤيته اكليمندس يكتب باسم الكنيسة الرومانية رسالة مطبوعة كلها بخاتم رسولي (بوظيفة رسولية) لتعزية هذه الكنيسة المتألمة الحزينة مصوباً سهام التوبيخ ضد المشاغبين ومقدماً للكل النصائح النافعة الموحاة بالمحبة الاخوية . فكل القدمية مدحت رسالة القديس اكليمندس لا لأنه استعمل فيها حق سيادة بل لكونه مارس هذه المحبة المشتركة التي يجب ان تربط كل الكنائس ببعضها

وبالحقيقة انه لا يشتم من هذه الرسالة شيئاً من روح الحكم أو يشعر ان سلطاناً يخاطب رعاياه : قال القديس اكليمس لاهل كورنثوس باسم الكنيسة الرومانية « كتبنا لكم هذه الرسالة لا لننبهكم فقط عن واجباتكم (من نحو رعاتكم المرتبين من الله) بل أيضاً لننبهكم أنتم أنفسكم لاننا نجد نفسنا في الميدان عينه ونكابد المعركة مثلكم (رسالته لاهل كورنثوس ٧ : ١ » لماذا هذه العناية من الكنيسة الرومانية لكنيسة كورنثوس ؟ ان خطاب القديس اكليمس يبيّن ذاته السبب وهو : لاننا نحن أعضاء بعضنا للبعض الاخر وبهذه المزية يلزم ان نتساعد بالتبادل : هكذا كان نظر الكنيسة الرومانية (ان الكورنثيين أنفسهم كانوا ليل نهار ملآنين من الاهتمام بالنسبة للاخوّة العمومية يبكون على خطايا الآخرين ويفندون عيوب الغير كأنها عيوبهم الخاصة (رسالة اكليمس ٢ : ٤١٦) فكان من الواجب ان الكنيسة الرومانية تملأ دورها من نحوها بذات واجب المحبة هذه الرسالة لا تتضمن سوى الارشاد (المكان لـ ١٣:٢) والنصيحة

(لك ٨ : ٢) وبالتالي فهل القديس اكليمس الروماني كان الفرد في القدم الاعلى في ارسال الارشادات والنصائح في سبيل الوحدانية الى كنيسة أخرى غير كنيسته ؟ . فهوذا القديس اغناطيوس الانطاكي أرسل منها لا الى كنيسة واحدة بل الى سبع كنائس والى بوليكربوس ذاته بقوله لها أنا لا أصدر أمراً كما لو كنت أياً كان (الرسالة الى أفسس ف ٣ : ١) بل بحسب المحبة. لا يسوغ لي ان أجعل نفسي فوق ما ينفعكم فأنا أنصحكم ان تكونوا مجمعين على تعليم الله ومتحدين بالاستمرار على تعليم أسقفكم (رسالة أفسس ف ٣ : ٢)

وفي دور بوليكربوس كتب بشهادة ايريناوس لا الى كنيسة واحدة بل الى جملة كنائس مجاورة (لكي يثبتها في الايمان) وكذا الى جملة اخوة لكي ينصحهم ويرشدهم (تاريخ اوسابيوس ٧ : ٢٠) وعندنا أيضاً اليوم خطابه الى كنيسة فيلبي حيث يقدم لها بلهجة عجيبة مشورات مصلحة شتى من نحو الايمان تارة وأخرى من نحو واجبات الحياة المسيحية

فاذاً خطاب الكنيسة الرومانية بامضاء القديس اكليمس المرسل الى كنيسة كورنثية لا يبرهن على سلطة له على الكنائس الأخرى وانما يدل فقط على ان واجب المحبة المتبادل الذي يربط كل الكنائس بعضها بالبعض الهم الكنيسة الرومانية الفكر المجيد بأن تقدم لاختها نصائح الصلح في الوقت الذي كانت في أشد الحاجة اليها . وهكذا كنيسة كورنثوس اعترفت دائماً بجميل الكنيسة الرومانية عن عمل هذه المحبة بشهادة خطاب

القديس ديونيسيوس الكورنثي الى الرومانيين المحفوظ في (اوسابيوس ٤ : ٢٣) كما حفظت أيضاً كنائس أفسس ومغنيسيا وتيراليس وفيلي وسميرنا دائماً ذكرى محبة اغناطيوس الانطاكي الفاضلة بشهادة خطاب القديس بوليكربوس الى أهل فيلبي (١ : ١ و١٣ : ٢) ولكن لم يجر شيء من ذلك حينما يتصور أساقفة رومة ان يخاطبوا كسادة الكنائس الأخرى ويصدروا لها الاوامر (مثاله)

أولاً — ان أول شخص تصادمت الكنيسة الرومانية به هو بوليكربوس ذاته . هذا الرجل الرسولي الذي استلم من القديس يوحنا الانجيلي عادة الاحتفال بعيد الفصح في الـ ١٤ من قمر نيسان رفض بتاتاً الخضوع لالحاح البابا انيكتوس الذي كان يضغط عليه ان يتنازل عن هذه العادة وان يحتفل بعيد الفصح في الاحد الاول الذي يلي قمر ١٤ نيسان روى القديس ايريناوس كما في (تاريخ اوسابيوس ٥ : ٢٤) ان انيكتوس جادل بوليكربوس حين وفد الى رومة على جملة نقط وخصوصاً على مسألة يوم الفصح ومن ثم ما أجراه أسقف رومة انه لم يقدر أبداً ان يجعل بوليكربوس ان يترك القاعدة التي مارسها صحبة القديس يوحنا الانجيلي ورسل آخرين عاشرهم زمناً طويلاً »

فكيف تأول معارضة القديس بوليكربوس هذه القطعية ضد إلحاحات انيكتوس الشديدة لو كان له على التحقيق حق ان يجري ما يريد في عموم الكنائس ؟ وبوليكربوس ما كان من واجبه ان يجهل

الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة ذلك الذي بشهادة القديس ايريناوس (اوسابيوس ٤ : ١٤) تهذب في مدرسة الرسل وتفاوض زمناً طويلاً مع اولئك الذين شاهدوا الرب » فأي أسقف اليوم في الشركة الرومانية يجسر على ان يقف في وجه (نظر) البابا بيوس العاشر ويحذو حذو القديس بوليكربوس تجاه انيكتوس ؛ ألم يصر حالاً مشكواً من كل ذويك بعصيان ذي ذنب عظيم في حق راعي عموم الكنائس ذنب المنشق ومنظوراً اليه كهرطق ؛ وألم يصر على وجه العموم منظوراً اليه عند قومك كانسان لا دين له وهالك ؛ وانى يتأتى مع اعتبارك هذا الذي عندك وهو سيادة أسقف رومة المطلقة عدم اعتبارك بوليكربوس القديس عاصياً ومشاقاً وأراتيكياً واعتبارك اياه بالعكس بصفة واحد من أعاظم القديسين وبمنزلة واحد من آباء الكنيسة الوقورين ؛ السبب الوحيد في ذلك هو أن الكنيسة الجامعة ما كان قانونها هكذا من الاصل ولو كان ساقه الشؤم ان يعيش في أيامنا وفي شركتك لما كنت قصرت عن ان تعتبره كافراً

ذلك يبرهن على ان الكنيسة الجامعة في القرون الثلثة الاولى كانت كلها مثل بوليكربوس لاتنظر الى أسقف رومة بعيون معتقدك وأنها ما كانت تقرله بحق التدخل بصفة كونه ذا سيادة خصوصية في أشغال الكنائس الاخرى أو ان يصدر أوامر الى الاساقفة الذين لاعلاقة له بهم

ثانياً — يروي القديس ايريناوس في المكان ذاته ان انيكتوس بالرغم عن عدم نجاحه في تصرفه لم يقطع علاقة الشركة مع القديس بوليكربوس

بل ان الاسقفين افترقا بعد معانقة الصلح . وان أسقف رومة ذاته لكى يكرم القديس بوليكربوس دعاه الى تقديس سر الافخارستيا في كنيسة رومة مكانه . ولكن فيكتور الخليفة الثاني لانيكتوس وجد بلا ريب ان فشل سلفه كان صادراً (مقدراً) من رخاوة طبيعته ولذلك شرع في أن يخضع الكنائس الاسيوية بالتهديد طالباً من كنائس القديس يوحنا هذه ان تتنازل عن عادتها تحت خطر قطع الشركة معها

ذلك كان خطراً لانه لاول مرة انفجر شجار هذا الشأن بين كنائس الله التي استقرت منذ نشأتها ان تعيش باخوة عظيمة وفي وحدانية اخوة عظيمة. امر ماذا جرى لهيئة كل الكنائس الرسولية التي تشربت أيضاً من تعليم القديس بولس والقديس يوحنا مؤسسيها الخصوصيين تجاه خلف مع أسقف رومة يعني مع من يدعوه لاهوتيوك المحور الالهي للشركة الكاثوليكية والقاعدة المعصومة للمسيحية الارثوذكسية . هذه عبارات تلك الهيئة التي (حددت) أعربت عن تهديدات فيكتور الوهمية بخطابها المجمعي الذي حرره بوليكراتيس رئيسها ووقع عليه كل أساقفتها قال ذلك الشيخ الوقور في جوابه (عشت في المسيح ستين سنة أنا الذي تفاوضت مع عدد عظيم من الاخوة المتفرقين في مختلفات نقط من الارض . أنا الذي قرأت باجتهاد كل الكتب فلا يمسني شيء من التهديدات التي يجرونها لتخويفي لاني أعرف ما قاله الذين هم أعظم مني انه يجب الخضوع لله أكثر من البشر (اوسابيوس ٥ : ٣٠) فأنظر اذاً ان كل الكنائس

الرسولية بأسيا والاقاليم المجاورة — وهذه كنائس رسولية لا غش فيها — أعلنت على رؤوس الاشهاد بطريقة رسمية أنها لا تجزع من تهديدات أسقف رومة ولا من انفصالها عنه المزمع لان أوامره مخالفة لله الذي يجب الخضوع له أكثر من البشر . فهل هذا ما تدعوه مجلتك نزاعاً مع شخص ما أو كنيسة مخصوصة ؟

أما فيكتور فتجاوز من التهديد الى العمل وذلك : بتحاريره التي أصدرها الى كل الكنائس كما روى أوسابيوس وحكم على عموم الاخوة الذين باسيا وفي الاقاليم المجاورة وأشهرهم أنهم غرباء من جامعة الكنيسة كهراطقة (٥ : ٢٢) فماذا صنعت الكنائس الرسولية والاقاليم المجاورة هل اضطربت ؛ لا بل حافظت على عادتها الى زمان مجمع نيقيا . ولم تعتبر نفسها أنها طردت من مملكة يسوع المسيح بعمل منفرد وهو كونها أصبحت في الخارج عن شركة أسقف رومة

هذا ما كان أولاً . وبعدئذ بماذا حكمت باقي الكنائس المسيحية على تصرف البابا فيكتور ؛ كل هذه الكنائس بالنسبة لعيد الفصح كانت على قاعدة الكنيسة الرومانية ومع ذلك فجملة منها وخصوصاً كنائس الغال (فرنسا) أظهرت استياء من تصرف مخالف لروح الكنيسة ووبخت بحدة فيكتور بصفة (بشخص) كونه مقلقاً للسلام والاتحاد والمحبة المسيحية الامر الذي لم يرقبله . أصغ الى رواية اوسابيوس

قص المؤرخ الشهير عن القرون الثلاثة الاولى قائلاً

(أنه بعد ان وصلت تحارير بوليكراتيس الافسسي الى فيكتور أسقف رومة سوّل لنفسه ان يفصل من الشركة كل كنائس اسيا مع كل الكنائس المجاورة وأعلن بتحاريره جميع أفراد هذه المقاطعات أنهم أصبحوا غرباء من الشركة كهراطقة . ثم ان هذه الاجراءآت اسخطت كل الاساقفة وبجوابهم على تحارير فيكتور نصحوه ان يلاحظ العواطف التي تؤيد السلام والاتحاد والمحبة . وان رسائل هؤلاء الاساقفة هي عندنا الى اليوم تفيد التوبيخ المر لفيكتور ومن بينهم فعل مثل ذلك القديس ايريناوس بخطابه الذي أرسله الى فيكتور باسم الاخوة الذين في غاليا (فرنسا) وقد عزّز رأي القائلين بأن عيد (سر) قيامة الرب يلزم ان يحتفل به يوم الاحد ولكن في الوقت نفسه نصح فيكتور بالا يقطع من الشركة كل الكنائس المتمسكة بعوائد أسلافها . وبعد جملة نصائح بهذا المعنى تلا القديس ايريناوس (وخصوصاً ان الجدل ما كان يدور حول يوم عيدالفصح فقط بل على كيان صوم الفصح فالبعض فكروا انه لا يلزمهم انيصوموا الا يوماً واحداً وآخرون جملة أيام والبعض جعلوا يومهم أربعين ساعة متوالية النهار والليل . وهذا الاختلاف ليس هو ابن أيامنا بل كان قبلنا بزمن طويل يعني من زمن اسلافنا الذين أما عن اهمال أو عن بساطة نقلوا هذا الخلف الى خلفائهم . ومع هذا (الخلف) فان اولئك القدماء

حافظوا على السلام بينهم ونحن ايضاً حللنا محلهم (ارجوك أن تلاحظ هذا الاشعار بعد الحرم الذي تفوه به فيكتور) لان تختلف الاصوام كان يأمر بوحدانية الايمان .

ثم ان القديس ايريناوس ذكر : ان الاساقفة الذين قبل سوتير (سلف فيكتور مباشرة) رأسوا الكنيسة التي ترأسها اذكر منهم انكيتوس وبيوس وهيجسين وتالسفور وكستوس ما كانوا يحفظون الاربعة عشر يوماً من القمر للتعييد بالفصح وما كانوا يسمحون بهذه العادة لتابعيهم . ومع ذلك فقد حفظوا باعتناء السلام مع اولئك الذين كانوا يأتون روما من الكنائس التي فيها هذه العادة ورغماً عن مقاومتهم ما احد منهم رفض قاعدة هذه العادة . ان الاساقفة الذين تقدموك كلفوا بتقديس الاسرار اساقفة تلك القاعدة . ولما حضر بوليكربوس الى روما في زمن انيكتوس وقد حصل بينهما نزاع بسبب مسائل أخرى تبادلا حالاً قبلة السلام ولم يتشددا كثيراً على النقطة التي في موضوع كلامنا . لان انيكتوس ما قدر ان يقنع بوليكربوس لكي يتنازل عن تلك القاعدة التي تمشى عليها دائماً برفقة يوحنا الانجيلي ورسل الرب الآخرين الذين مارسوها زمناً طويلاً ولا بوليكربوس حاول ان يقنع انيكتوس ليعتنق هذه العادة لان انيكتوس ادعى انه يجب عليه ان يحتفظ بعادة الاساقفة اسلافه .

ورغماً عن هذا الاختلاف اشتركا معاً (بالاسرار) وانيكتوس ذاته

لكي يكرم القديس بوليكربوس دعاه لتقديس الاسرار بدله في كنيسته الخصوصية . واخيراً افترقا بسلام متبادل . والذين كانوا يحافظون على اليوم الرابع عشر من الهلال والذين ما كانوا يحافظون عليه تمسكوا بالصلح وشركة كل الكنائس . فها ايريناوس الرجل الصالح المحب السلام نصح واحتج عن سلام الكنائس ولم يكتف بالكتابة الى فيكتور بل ارسل تحاذير بالمعنى ذاته بخصوص تلك المسألة الى جملة اساقفة آخرين (اوسابيوس ٥ : ٢٣)

هذا يبرهن على ان القديس ايريناوس واساقفة غاليا (فرنسا) لم يصادقوا على الحرم الذي رشقه فيكتور بل حافظوا على الشركة مع كنائس اسيا وانهم كانوا ينصحون الاساقفة الآخرين ان ينسجوا على منوالهم وان لا يعملوا ادنى حساب لتصرف فيكتور فكيف هذا يمكن ان يتفق مع الرأي بكون اسقف رومة هو الحاكم المطلق في مصالح الكنيسة وانه عند ما يتكلم كل العالم يجب ان يحني الرأس بكل خضوع وتعظيم ؟ انا لا ارى بالتأكيد اليوم اسقفاً في الشركة الرومانية يحذو حذو القديس ايريناوس فانه اذا اعلن عن ذلك صار مذنباً في نظر كل الاساقفة كمترد ومشاق واراتيكي . فلا يتجاوز القول احد هذين الامرين وهما اما ان يكون القديس ايريناوس وكل اساقفة غاليا ثواراً ومشاقين واراتقة لانهم قبلوا الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة وانتقدوا حكم اسقف رومة . باعلانهم اسقف رومة انهم يحافظون على الشركة مع كنائس اسيا رغماً عن حرمه

وبتحريرهم الى الاساقفة الآخرين بان لا يقطعوا الشركة مع الاساقفة المحكوم عليهم من اسقف رومة والخلاصة ان القديس ايريناوس لم يعد قديساً ولا اباً للكنيسة ولا اميناً ولا موضوع شهادة الايمان بالمسيح يسوع او بالحري ان الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة ليس هو الذي تدعيه اليوم الكنيسة الرومانية

فهل هذا كل ما يلزم من الملاحظة على النزاع بين البابا فيكتور والكنائس الرسولية الاسيوية والاقاليم المجاورة ؛ لا ليس فقط كل الكنائس في اسيا والاقاليم المجاورة التي سخرت باراجيف اسقف رومة وحرمه ذاته ليس ايريناوس القديس وكل اساقفة غاليا فقط حرروا في هذه الفرصة لاسقف رومة انهم لا يصادقون باي نوع كان على احداث جديد ما في الكنيسة ومضر بسلام عموم السيحية باعلانهم اياه بانهم محافظون مهما كان على شركة الكنائس المشجوبة منه وبكتابتهم الى الاساقفة الآخرين ان ينسجوا على منوالهم وان لا يجزئوا من اجل خاطر اسقف رومة الوحدة المسيحية . بل ايضاً كل الكنائس التي تحت قبة السماء التي كانت صادقت زمناً على حكم فيكتور فهمت منها مثل كنائس فلسطين والبونط واسدروين وتمسكت بشركتها مع الكنائس المحكوم عليها من اسقف رومة . وهذه لم تبد اقل اضطراب الى زمان مجمع نيقيا الذي اخرج المسألة الى النور وفصل فيها بجلسة علنية

ثانياً وحسبنا القراءة بكل امعان للخطاب الذي اصدره الامبراطور

قسطنطين لكل الكنائس عن مسألة عيد الفصح وعن الحكم الذي صدر مخصوصاً من الثمانية عشر والثلاثمائة اباً لنيقيا (هذا الخطاب ضمنه اوسابيوس في سيرة حياة قسطنطين) لكي تتأكد ان الكنيسة الجامعة لم تحوّل نظر المسألة الى طرف نظر فيكتور

هذا ما وجد المجمع المسكوني ان يشجب الاربعة عشرية لا على كونهم يحتفلون بالدقة بعيد الفصح على منوال القديس يوحنا في اليوم الرابع عشر من قمر نيسان بل لاتباعهم في تحديد هذا اليوم غلط حساب اليهود في زمانهم . الحساب الذي كان يحملهم بالواقع على الاحتفال بعيد الفصح مرتين في السنة الواحدة

والنتيجة ان المجمع المقدس حدد انه بالنظر لحساب الفصح يلزم كل المسيحية ان تتمسك من اليوم بحساب اسقف اسكندرية الذي كلف ان يعمله باسم الكنيسة الجامعة . وانه لاجل الاجماع باحتفال على هذه المهمة يجب على كل الكنائس ان يحتفلوا بالعيد في يوم واحد بالذات من الآن فصاعداً وان يكون يوم الاحد الذي يلي الرابع عشر من قمر نيسان المعيّن بواسطة حساب الاسكندرية

فهذه هي الحقيقة بخصوص هذا النزاع العظيم الذي قاسى به اسقف رومة خسارة مرفوقة بشكل الظروف التي اخبرنا عنها . فحكم فيكتور وحرمه رفضا بحالة عمومية بصفة كونهما بلا قيمة وسلطان المجمع المسكوني علم عند كل المسيحية واعترف به اساقفة اسيا انفسهم . وبعد مجمع نيقيا اصبح

به الاربعة عشرية العصاة مرفوضين من شركة الكنيسة كما يستنتج ذلك مما قيل عنهم من العمل السادس لمجمع افسس المسكوني الثالث

ثالثاً ذلك حدث في القرن الثاني . وفي القرن الذي يليه نعثر على عمل جديد لاسقف رومة على خسارة ايضاً جديدة بشكل اعظم . ذلك نزاع البابا اسطفانوس مع كل كنائس افريقيا والكبادوك بخصوص معمودية الهراطقة . فان اسقف رومة اصدر امراً بان أحد الهراطقة عند رجوعه الى الكنيسة لا يجب ان يعمد وكنائس افريقا برئيسها القديس كبريانوس القرطجني أعلنت الخلاف وهو أن جميع الهراطقة يجب أن يعمدوا عند قبولهم في الكنيسة وأن رأي البابا اسطفانوس غلط ومضاد للمعتقد الرسولي والقديس فيرميليانوس وكل كنائس الكبادوك ائتمروا للقديس كبريانوس ضد البابا اسطفانوس وهذا اسقف رومة شعر بالاذى من عدم تقدير منزلته فقطع الشركة مع القديس كبريانوس وكل كنائس افريقا وعمل ذلك مع القديس فيرميليانوس وكل كنائس الكبادوك (فكتب كما قال القديس اغسطينوس (في المعمودية ضد الدوناتيين ٥ ف ٢٥ نمرة ٣٦) الى جميع الكنائس بالا يشتركوا مع معيدي المعمودية)

فماذا صنع من ثم القديس كبريانوس مع كل كنائس افريقا ؛ وماذا صنع القديس فيرميليانوس مع كل كنائس الكبادوك ؛ وماذا صنعت الكنيسة الجامعة ؛ جمع القديس كبريانوس وكل اساقفة افريقا مجمعاً وطنياً وأعلن المجمع بكل بساطة وكل تحقير ان حرم البابا اسطفانوس لا قيمة له

وخيال وهمي للتخويف . وأن اسقف رومة ليس له ادنى سلطة على الاساقفة الآخرين ولا له حق أن يأمرهم او يحاكمهم أنه في ضلال وأنه جمع الى ضلاله الجهل وقلة الادب والوحشية

أرجو ان تصغى لنص هذه الاعلانات المفيد . قال القديس كبريانوس لاساقفة افريقا المجتمعين بمجمع قرطجنة وعددهم ٨٧ اسقفاً (لا أحد منا يدعي عن نفسه أنه اسقف الاساقفة ويجسر عن ارهاب أو ظلم على أن يلزم زملاءه بالخضوع له . نظراً لكون كل اسقف في وظيفته له الحرية في ابداء استحسانه ورأيه وفي مصلحته وانه لا يستطيع أحد أن يحكم عليه كما انه لا يستطيع أن يحكم على أحد . وانما ننتظر نحن الجميع حكم ربنا يسوع المسيح الذي له وحده القدرة على توليتنا حكم كنيسته وعلى مقاضاة كل منا)

هذه الاقوال المسددة للبابا اسطفانوس وتصرفه نرى منها ان القديس كبريانوس لم يطلب المبارزة بقوله لاسقف رومة أنه ليس اسقف الاساقفة وأن هذا اللقب من طرفه هو اغتصاب مدنس لحقوق الغير الالهية وأن ليس له ادنى حق أن يطالب طاعة زملائه وأنه بادعائه بهذا الحق يدخل الظلم في الكنيسة وانه ليس له ادنى صفة بأن ينصب نفسه قاضياً على الاساقفة الآخرين وانه بادعائه بهذه الصفة يقلب الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة الذي بموجبه لا يمكن أن يحكم أحد على اسقف ولا اسقف يحكم على أحد لانه غير ملزم ان يقدم حساباً عن مصلحته لسوى واحد هو الرب يسوع المسيح الذي فوض اليه الحكم على كنيسته .

وبما أن البابا اسطفانوس كان يستدعي لقبه أنه خليفة القديس بطرس قدم القديس كبريانوس الى الكونتس هذه الملحوظة (ان بطرس الذي اختاره الرب الأول عند حصول جدل له مع بولس بسبب الختان لم يظهر بمظهر قليل أدب ولم يدع بقحة أنه متقلد الاولية وان الذين اتوا في الرسولية متأخراً يلزمهم الخضوع له) وشبيه هذه اللهجة خط في شرح على خطابه لبومبايس. قال له فيه القديس اسقف قرطجنة (بما انك ترغب أن تعرف ما أجاب اخونا اسطفانوس على خطابنا فانا ارسل لك صورة من جوابه فضلاً عن الاحوال المعجرفة او الغريبة عن الموضوع او المخالفة التى رقمها بهذا المقدار من الجهل وعدم التمييز الذي اضافه الخ (رسالة كبريانوس ٧٣ الى بومبيوس)

ان اساقفة افريقا عند اجتماعهم في المجمع وضعوا تحت المزائدة اعلان القديس رئيسهم فالثالث والعشرون منهم اعترف بكل بساطة أن اسقف رومة في ضلال وقال الرابع ان اسقف رومة كافر بايمان الكنيسة ولا يصح ان كفره يفاق الاسقفية وقال الواحد والستون ان اسقف رومة هو يهوذا بالنظر لعروس المسيح يسوع الذي باعه لاعدائه)

يلزم ان نقر ان القديس كبريانوس مؤلف كتاب وحدانية الكنيسة وكل اساقفة افريقا ما كان عندهم ادنى فكر من نحو سلطة اسقف رومة الالهية وعصمة سيادته اللتين هما اليوم من ضمن قواعد ايمان رومة الاساسية ولذا ننبه ان كنيسة افريقا هي مشتقة من الكنيسة الرومانية وانها تقلدت

منها الكهنوت والايمان كما اقر بذلك غالبآ توليانوس والقديس كبريانوس ذاته . وهل نجد احسن من ذلك فى (تصرف) القديس فيرميليانوس اسقف قيسرية الكبادوك وتصرف اساقفة هذا الاقليم : أن القديس فرميليانوس يعرف تماماً ان اسطفانوس كان يفاخر بشرف مركزه وأنه يزعم انه جلس على كرسي بطرس المبنية عليه الكنيسة (١) ومع ذلك فاليك أية عبارات تكلم بها عن هذا البابا وعن تصرفه من نحو القديس كبريانوس فيما كتب الى القديس اسقف قرطجنة (قد ابى ان يقبل رسلكم وبابسط عبارة قد منع كل الرومانيين من قبولهم فى بيوتهم مع أن هؤلاء الناس أتوا بنيات صالحة فوضح لهم أنه يرفض لا الصلح والشركة بل ايضاً حتى الضيافة ونحن (تلا) بأي حال مضطرون لاسطفانوس الا بأن عدم انسانيته صارت السبب لكوننا نستدل على ايمانكم وحكمتكم وفي الامكان أن يقال أنه لم يجد سبباً يجعله أن يصنع لنا خيراً الا تصرفه على قياس يهوذا الذي ما امكنه ان يجد ذاته بسبب غدره لربنا . وعلة خيانته اعطت فرصة لخير عظيم وهو خلاص العالم . ولكن فلندع اسطفانوس وما فعله لئلا ذكرى جسارته وقلة أدبه تجدد الالم الذي فينا من نحو سوء تصرفه (رسالة ٦٥ لكبريانوس وفيرميليانوس) ما اجمل ذلك

ان اسقف رومة في رفضه شركة وضيافة الرسل الذين ما كانوا

(١) رسالة فيرميليانوس الى كبريانوس في مؤلفات كبريانوس

ديوناسيوس الاسكندري المحب سلام الجيل الثالث كما كان ايريناوس يحب سلام الجيل الثاني كان بهذا المقدار قليل الموافقة على حكم اسطفانوس البابا لانه بعدموت هذا خاطب كيستوس انيتنازل عن آراء سلفه متلطفاً على قدر الامكان في خطابه الذي سنرويه حالاً بعجرفة أساقفة رومة الاعتيادية . ومع ذلك فقد قال كل فكره بخطاب بعنه في الوقت ذاته الى فيليمون قس الكنيسة الرومانية كاتباً اليه ما هو (أنا أعلم ما عدا هذه العادة (عماد الهراطقة) انها لم تدخل في أيامنا وأنها لم تكن عند الافريقيين وحدهم خاصة بل أنها كانت مستعملة من قبل منذ زمن بعيد من الاساقفة الاولين وأنها مقررة من زمان في الكنائس المأهولة جداً وفي مجامع الاخوة التي انعقدت في ايكونيوم باسيناد وفي جملة أماكن أخرى ومن ثم فهل تقدر ان ندك قرارات هذه الكنائس ونهيج الاخوة للقلاقل والشجار ؟ أما بالنظر الي فأنا لا أريد أن أفعل ذلك لانه مكتوب (لا تنقل تخم قريبك هذه التخم التي رتبها الآباء (اوسابيوس ٧ : ٧) هذا واضح ان القديس ديوناسيوس الاسكندري ليس كونه لم يوافق فقط على حكم اسطفانوس البابا بل يصرح في عهد حبرية خلفه بانه في حالة عدم الموافقة عليه بالمرة لانه يشجبه من حيث أنه ضار بسلام المسيحية وضد أصول الكنيسة التي لا ترخص لاسقف رومة ان يغيّر بسلطته الخاصة قواعد الكنائس الأخرى وقرارات الاساقفة الآخرين

هـذا الاخطار المحصن من كل جانب أجرى للكنيسة الرومانية

يرتأون مثله من نحو مسألة تحت الجدل كان ذلك منه قلة ادب وقحة انسان متوحش وعديم الانسانية وتصرفه دل على سوء خلقه . ولكن يوجد ما هو اهم ايضاً . ان القديس فيرميليانوس كتب مثل ذلك لاسقف رومة شخصه قائلاً (انك رددت غلطك بحالة أشنع حينما فصلت ذاتك من كنائس هذا مقدارها. لا تغرّر بذاتك فانك انت قطعت نفسك بنفسك لان المشاق هو الذي يتكر الشركة من الوحدانية الكنيسية لانك بقدر ما تظن أن لك القدرة أن تفصل من ذاتك كل الآخرين فانت الذي تكون وحدك مفصولاً من الكل [1]

هذا خطاب القديس فيرميليانوس الى اسقف رومة الذي توبخ فيه فيه بعنف على كونه فصل ذاته من كنائس هذا مقدارها وصار ذا خلق مشاق وذا حرمان للغاية ومفصولاً بعمله الخاص من وحدانية الكنيسة أن القديس كبريانوس فعل ذلك عند ما ترجم الخطاب المذكور من اليونانية الى اللاتينية وارسله الى كل الكنائس لكى تكون الحكم بين اسقف رومة وبينه

فماذا فعلت باقي كل الكنائس ؟ فهل وافقت على حكم اسطفانوس وقطعت كما رام ذلك الشركة مع القديس كبريانوس وكنائس افريقا وفيرميليانوس وكنائس الكبادوك ؟ لا احد من العالم (فعل ذلك) فالقديس

(١) رسالة فيرميليانوس ... المذكورة

فان القديس ديوناسيوس حرر الى كيستوس ذاته خطاباً كانت وجهته الاستشارة الاخوية ولكن على وجه التحقيق كان له به غرض مخصوص وهو أن يعلّم أسقف رومة ان كل جدل على معمودية الهراطقة ما كان الا غلطاً نشأ من خطأ التمييز بين معمودية الهراطقة الشرعية ومعموديتهم الغير شرعية . بلا شك انه لا يوجد محل لتعميد الهراطقة الذين أصبحوا معمدين بعد اقبالهم الى الكنيسة وقبولهم التعميد منها (أنظر الخطاب الى فيليمون في اوسابيوس ٧ : ٧)

فلا شك انه لا يجب عماد الهراطقة الذين اعتمدوا خارج الكنيسة بصيغة وصورة الكنيسة . ولكن ألا ينبغي ان يعمد الهراطقة الذين لم ينالوا من بدعتهم الا معمودية كفروشنعاء التي الصيغة فيها والصورة لا تلتحمان مع صورة وصيغة الكنيسة ؛ واليك هذا الخطاب الذي بالحق نخبة من اللطف والرقة

قال الاسقف الاسكندري لاسقف رومة « اني بالحقيقة يا أخي في حاجة لمشورتك واني أستمد الرأي منك على هذا الامر الذي ورد عليّ . ان واحداً من اخوتنا الذي يظن أنه مؤمن قديم وانه في شركة الكنيسة قبل اسقفيتي وأظن أنه قبل أسقفية ايرا كليس سلفي وقد حضر منذ قليل معموديات ما كاثوليكية فلما سمع السؤالات والاجوبة حضر عندي ذارفاً الدموع ووقع على قدميّ وأقسم أمامي ان المعمودية التي نالها من الهراطقة ليست مثل هذه ولا شركة لها معها وبالعكس أنها مملوءة من الكفر والتجديف

ولذلك يسألني أن أمنحه المعمودية الطاهرة وأنا لم أجسر أن أفعل ذلك قائلاً ان الزمن المعتبر الذي قضاه في الشركة كاف فماذا ترى في ذلك ؟ (١) (اوسابيوس ٧ : ٥) فاستشارة مثل هذه كانت مقصودة جداً لكي توقظ أسقف رومة وتشعره بغلط اسطفانوس عن هذا الموضوع وهو (لا يلزم ان يعمد أرتيكي عند رجوعه الى الكنيسة)

وبالواقع أن تاريخ هذا الزمن يعلمنا ان الاراتقة في جملة مقاطعات وخصوصاً في انحاء الكبادوك كانوا اخترعوا معموديات متجاوزة الرسوم وغريبة عن طبيعة المعمودية التي تكلم عنها القديس ديوناسيوس التي تخيلها . لهذا الحال ان القديس باسيليوس الكبير أحد خلفاء القديس فيرميليانوس على كرسي قيسرية الكبادوك قال بعد مجمع نيقيا بعدة سنين أنه من الصعوبة بمكان معرفة استعمال وممارسة أي الاراتقة لمعمودية الكنيسة ومنهم الذين عندهم معموديتهم الخاصة (وأضاف) لانهم لو ادعوا انه يلزم في ذلك سؤال المهتدى عن مادة وصورة المعمودية التى نالها عند الهراطقة يستمر دائماً غير أهل لتصديق جوابه (رسالة القديس باسيليوس الـ ١٨٨ الى أمفيليوس)

ليس القديس ديوناسيوس الاسكندرى وحده الذى لم يعمل حساباً

(١) المترجم . يوجد فرق لا يعتد به بين ترجمة المؤلف والترجمة العربية لصاحبها الاب جراسيموس مسرة راجع ص ٩٩ من الجزء الاول تاريخ الانشقاق

لحكم البابا اسطفانوس وان يحافظ على الشركة مع الكنائس التى شجبها بل كل الكنيسة الجامعة حذت حذوه . في الواقع لان الكنيسة الجامعة وقرت دائماً كبريانوس وفيرميليانوس اللذين حرمهما اسطفانوس لا بصفة كونهما قديسين وأبوين موقرين فقط. بل بنسبة كون القديس كبريانوس كنور على سارية في الكنيسة الغربية وبالنظر للقديس فيرميليانوس فعندنا الشهادة التي لا تقبل اعتراضاً وهي شهادة مجمع انطاكيا الذي أسقط بولس السميساطي هذا المجمع الذي تمثلت فيه كل الكنائس الشرقية وصدّقت عليه كل المسيحية قد أجمع فيرميليانوس والقديس ديونيسيوس الاسكندري في وقار واحد بقوله في خطابه الذي وجهه الى عموم الكنيسة الكاثوليكية (ان ديونيسيوس الاسكندري وفيرميليانوس القيصري الرجلين السعيدي الذكر شجبا قبل موتهما بولس الهرطوقي (أوسابيوس ٧ : ٣٠)

وزيادة على ذلك ان القديس اغسطينوس اكبر آباء اللاتين اخبرنا ان مجمع نيقيا المسكوني بسلطته الوحيدة الغى (وكان له صفة ان يحسم) المسألة التي دار الجدل عنها بين البابا اسطفانوس والقديس كبريانوس . لان سلطة البابا اسطفانوس لم يكن لها ادنى تأثير لتصادف قبولاً ليس فقط من القديس كبريانوس بل ايضاً من كل اسقف ارثوذكسي وخصوصاً القديس اغسطينوس ذاته (في المعمودية ضد الدوناتيين ف ١ : ٢ و ف ٤ : ٥)

واضاف أن شهادة الكنائس المجمع عليها الوحيدة هي البرهان الذي لا ينقض على حقيقة قواعد المسيحية (المكان ١ : ٣ ك ٢ : ٢)

ماذا حدد مجمع نيقيا او بعبارة أخرى ماذا حددت سلطة الكنيسة الجامعة ؟ هل هذا التحديد اعطى الحق لاسطفانوس بصفة كونه اسقف رومة ؟ فاليك ما كتب بهذا الشأن رجل لا يمكنك ان ترفض كلامه وهو البابا بناديكتوس ١٢ (من سنة ١٣٣٤ — ١٣٤٢) قال (ان البابا اسطفانوس حكم أن اياً كان من الذين اعتمدوا عند أي الاراتقة فاذا رجع الى الكنيسة الكاثوليكية لا يجب تعميده لان القديس كبريانوس في مجمع عديد مركب من اساقفة افريقيا حكم بالعكس مخالفاً في هذه النقطة البابا اسطفانوس هذا ما يتلخص من رسالته الى يوبيانوس وبومبيوس (اسقفين افريقيين) وانما مجمع نيقيا وفق ما بين رأي القديس كبريانوس ورأي البابا اسطفانوس بتحديده بأن من اعتمد عند الهراطقة غير المحافظين على رسم الكنيسة يجب ان يعمد ولكن من اعتمد عند الهراطقة الآخرين لا يجب ان يعاد عماده [1]

فانظر بموجب الحجج التي لا تنقض (ظهور) الحقيقة التاريخية بالنظر الى نزاعي اسقف رومة العظيمين مع المسيحية القديمة . [2] هذان النزاعان لم يكونا عرضيين كما زعمت ذلك مجلتك بل شغلا الجيل الثاني والثالث واستمرا مدة الى زمن مجمع نيقيا الذي اعطى الرأي الصائب فيهما.

(١) في كتاب بوسييه . دفاع عن الاعلان المختبر سلفاً

(٢) وهما عيد الفصح ومعمودية الهراطقة (المترجم)

هذان النزاعان لم يكونا جزئيين حدثا (عرفا) مع شخص ما او كنيسة خصوصية كما ادعت مجلتك بل مع الكنيسة الجامعة وبالاولى مع كبار القديسين ونوابغ الكنيسة في القرون الثلثة الاولى

بهذين النزاعين جاوبت اصوات كبار القديسين ونوابغ الكنائس نوابغ الكنيسة الجامعة وهذه الاصوات لم تكن عن انتقاد تصرف البابوات المضر جداً بمصلحة المجموع التصرف الذى كشف على المفتوح ان اساقفة رومة ليس لهم ادنى حق على الاساقفة الآخرين وعلى محاكمتهم وانهم أبعد عن ان يكونوا قاعدة الايمان المعصومة ومحور الجامعة الارثوذكسية الالهية . وأنه يمكنهم أن يفصلوا أنفسهم كما ينفصل الموتى وأن يكونوا مقطوطين من الوحدانية المسيحية . وبعبارة أخرى أن كل المسيحية في الاجيال الثلثة الاولى انكرت سيادة رومة الروحية سواء كان باعمالها (باعمال المسيحية) أو بأقوالها عالمة بالتمام أن هذا الزعم زعم السلطة العليا لا وجود له في التعليم الذى تلقته من الرسل

رابعاً أن المجلة الرومانية أدعت بلا روية (ببساطة) أن حالة القديس ديوناسيوس الاسكندرى مع (سميه) أسقف رومة وحال اوريجانوس مع البابا فابيانوس تؤيد أن اسقف رومة كان له في القديم الحق ان يراقب على معتقد الكنائس ولكن هذان العملان نفسهما يظهران العكس بتبيان كون كل المسيحية في القرون الثلثة الاولى كانت تنظر أحكام البابا فيما يخص الايمان احكاماً باطلة ومغلوطة وما كانت تحسب ادنى حساب لها في الواقع

ذلك لانه ما هو حال القديس ديوناسيوس ؟ حال هذا الاب العظيم الذى بادر الى الكتابة ضد سبليوس أسقف ليبيا الذى كان ينكر تمييز الاقانيم الالهية في الثالوث وعلى الخصوص تمييز أقنوم الاب والابن . ومؤلف القديس العلامة نشره على كل الملا وأساقفة كل الكنائس الرسولية قرأنه ولم تجد فيه أقل مذمة ما عدا اثنين او ثلاثة مصريين ذوي أميال شريرة ومن المحتمل أنهم كانوا من حزب سبليوس راموا أن يروا فيه انكار لاهوت الابن ولكنهم لم يصادفوا في الشرق اسقفاً ما ارثوذكسياً يعزز غيرتهم النفاقية . فسألوا اسقف رومة لا لكونهم كانوا ينظرون اليه كأنه رئيس الكنيسة او أنه قاعدة المعتقد بل لكونهم كانوا يؤملون أن يضعوه في شحناء مع اسقفهم بدل اعتمادهم على وسيلة اخرى . فاسقف رومة استولت عليه البساطة والقته في الفخ فارسل خطاباً رآه اخصام القديس ديوناسيوس انه شاجب لمؤلفه فجاوبه اسقف اسكندرية بخطاب موجود بعد (يوقظ) يكشف به لثام اسقف رومة عن غلطه ويثبت له ان النصوص التي اشتبه فيها لا شيء فيها من الهرطقة . فهذا هو تاريخ الحقيقة

فماذا تجد في هذا العمل من سلطة لبابا رومة ؟ أفي تصرف اثنين او ثلاثة مصريين منافقين ارادوا ان يذموا اسقفهم بالتجائهم الى اسقف رومة وفي تحرير هذا الى سميه بخصوص الايمان ؟ فهل نسيت ياعزيزي ان مصلحة الايمان هي مسألة تتناول شركة كل الكنائس ولهذا السبب بادر المصريون

الى اسقف رومة بدون ان يروا فيه سيادة كنيسية كما ـ ذكرنا مثالاً لذلك نحو من الف مرة

وبعد بضعة سنين حصلت حوادث الانطاكيين بسبب بولس السميساطي اسقفهم فعرضوا لا الى اسقف رومة بل الى القديس ديوناسيوس الاسكندري ذاته والى القديس فيرميليانوس القيسري والى اساقفة آخرين شرقيين وحكموا على الهرطوقي بموجب سلطة هؤلاء الرعاة فقط بدون ان يبادروا الى سلطة اسقف رومة . فهل ترى دليلاً على سلطة بابوية في هذا كون اسقف رومة انتقد مؤلف القديس ديوناسيوس الاسكندري وارتاب بمعتقد هذا الاب العظيم ؟ ويظهر ان مجلتك بنت قاعدة اعتقادها على ذلك لانها تقول ان اسقف رومة قدر ان يرد الى الارثوذكسية رئيس اساقفة مصر الاعلى لكن التاريخ يعلمنا ان رئيس اساقفة مصر الاعلى ما كان بحاجة ان يرد الى الارثوذكسية لانه لم يقص ذاته عنها وان اسقف رومة ارتاب بما ورد في مؤلفه فهذا الذي خدع بالاولى ان القديس اثناسيوس الرسولي كتب مديحاً للقديس ديوناسيوس الاسكندري وفي هذا المديح اوضح ثبات ارثوذكسية سلفه على كرسي مار مرقس فكل الكنيسة في الجيل الثالث والقرون التالية كانت ابعد من ان تصادق على تهم اسقف رومة وانها على الدوام تمسكت بان القديس ديوناسيوس الاسكندري في مؤلفه ضد سبليوس ما تقدم خطوة الى مخالفة الاعتقاد بلاهوت الابن . فاذا كان ينبغي ان يستنتج شيء ما من هذا

الحادث فهو ان القدمية المسيحية ما كانت تعتبر اسقف رومة لا بكونه سلطان الكنيسة ولا بكونه محور الاعتقاد ولا بكونه الحاكم المطلق في الامور الكنيسية لانها احتقرت انتقاده (تقديره) لمؤلف القديس ديوناسيوس واعتبرته باطلاً

ومسألة اوريجانوس هي خيالية ايضاً اكثر . فهذا كان حكم عليه ديمتريوس الاسكندري اسقفه بعلة كونه جمع جملاً اراتيكية « مع انه في الاصل كان السلام (ضارباً اطنابه) بين الحاكم والمحكوم عليه » وانه ارتسم قساً بعكس القانون فقدرت مجلتك ان اسقف رومة اجرى حقه السلطاني بصفته حارساً على معتقد كل الكنائس لانه (طلب من اوريجانوس شروحات على مستغربات تفسيره) فمن اين استفرغت هذه الرواية فليس ذلك بحق من تاريخ اوسابيوس الكنيسي . لان هذا التاريخ يقص ان اوريجانوس حرر الى فابيانوس الروماني لكي يؤيد ارثوذكسيته بدون ان يبلغ سماع احد ان خطابه صادف سوء الاً ما او ان هذا السؤال بخصوص غرائب تفسيره وتلا (التاريخ) ان اوريجانوس (كتب في المعنى ذاته الى عدد عظيم من الاساقفة) فهل كان لهؤلاء الاساقفة سلطان على الكنيسة كما كان اسقف رومة بحيث التزم اوريجانوس ان يخاطبهم كما خاطب اسقف رومة لكي يزكي نفسه عندهم من الشكاوى التي اتهم بها ؟

حقاً ان القديس ايرونيموس المؤلف الغربي والمتأخر كثيراً عن الحوادث ادعى ان اوريجانوس بخطابه الى البابا فابيانوس اعتذر عن اضاليله) والقى

الخطأ على امبروسيوس صديقه الذى اذاع المؤلفات التي لا اختصاص للعامة بها . ادعى ذلك بدون ان يقدم اى مستند يعزز دعواه وما زعمه هو الا مماكسة جنائية لا على رواية اوسابيوس الذى قال ان (اوريجانوس كتب الى البابا فابيانوس لكي يؤيد ارثوذكسيته) لا لكي يقر باضاليله او يتزكى منها بل ايضاً على مؤلفات علامة اسكندرية الاخيرة التي تتضمن على وجه لاطلاق قواعد التعليم والتفاسير مثل مؤلفاته الاولى

بما ان مجلتك رامت ان تضع اساسهام اراً على علل القديس ايرونيموس. نذكرها ان هذا القديس الغربي فى ايام جمال حبه الحماسى لاوريجانوس استخدم لنا كثيراً القريحة بالرواية التالية(ان رومة نفسها (في أيام فابيانوس) عقدت جلستها (الكنيسية) ضده (ضد اوريجانوس) وحكمت هكذا عليه لا لكونه علم قواعد جديدة ولا لكونه تمسك بآراء آراتيكية هذا الذى لم يرم اعداؤه ان يثبتوه لنا الذين كانوا ينبحون حوله مثل الكلاب الكلبة بل لكونهم ماكانوا يحتملون مزية بلاغته ومعرفته لانه لما كان يتكلم كان يظهران الجميع امسوا خرساً) [١] انا ليس لي غرض ان اصور مقدار تملق طبيعته الرومانية (يقصد ايرونيموس) لانه بصفته غربي كان واجباً

(١) فى روفينوم ضد ايرونيموس (١ : ٢ ف ٣٠) ورسالة ايرونيموس الى بولام الاوريجاني

عليه ان يكون معروفاً اكثر من الكل وانما سروري ان الاحظ ان هذا الحكم على اوريجانوس من رومة الذي حكاه القديس ايرونيموس صار حينئذ منظوراً من الكنيسة الجامعة كأنه صرخة في واد (مهمل) لامنفذ له . لان كل الكنائس الشرقية الرسولية حافظت على شركتها مع اوريجانوس [١] واعتبرته معلماً ارثوذكسياً ذلك الذي بسوء قصد وكذباً نسبت له التعاليم الاراتيكية التي شجبتها الكنيسة في زمن متأخر جداً [٢]

اما الاساقفة الذين قلما اعتبروا حكم رومة واجزلوا للمحكوم عليه علامات الاحترام الجزيل من القلب (العمق) فليسوا رجالاً ابهم كانوا بل الاساقفة الاكثر قداسة واعظم مفوضي الجيل الثالث وهم القديس اسكندر الاورشليمي والقديس ثاوفانيوس القيسري الفلسطيني الذي قلده بعد محاكمته وظيفة الوعظ وتفسير الكتب في كنيسته الخصوصية (اوسابيوس ٦ : ٢٧) وهذا القديس فيرميليانوس القيسري الكبادوكي مع كل اقليمه ألح عليه ان يحضر عنده ويقيم زمناً طويلاً بقدر الامكان ليمتع كنائسه بدروسه التقوية (اوسابيوس ٦ : ٢٧) وبمجمعا الخائية والعربة دعواه في مركزهما لكي بمقدرة بلاغته يعزز جانب الايمان ويرد بتأثيره الاراتقة (اوسابيوس ٦ : ٢٣ و ٣٢ و ٣٧) ان القديس غريغوريوس العجائبي

(١) فى هذا الكلام مغالاة فان الذين شجبوا اوريجانوس أكثر من انتصر له (المترجم)

(٢) (يقصد المجمع الخامس عند اللاتين والروم (المعرب)

المعظم في زمانه اهتدى وانضم الى الايمان في قيسرية فلسطين اهتدى على يد المحكوم عليه من رومة ورجل الله هذا اقر لاستاذه بشكر دائم ومودة لا تتغير (اوسا ٦ : ٣٠) خطاب القديس غريغوريوس العجائبي على اوريجانوس

والقديس ديوناسيوس نفسه الذي صار اسقف اسكندرية بعد ديمتريوس اشترك جهراً مع استاذه القديم (اوسا ٦ : ٢٧) والقديس بامفيليوس قس قيسرية الشهيد كتب تقريظاً لاوريجانوس وهو في سجن اعترافه وعلى حافة الموت من اجل الايمان بالمسيح ودعاه في التقريظ اول علامة بعد الرسل (اوسا ٦ : ٣٢) تقريظ بامفيليوس لاوريجانوس)

فالكنيسة الجامعة في القرون الثلاثة الاولى كانت كل مرة وكل فرصة تحقر احكام وقضايا رومة التي تصدرها . فتصرف مثل هذا صادر من أعاظم القديسين في القدمية الرسولية كان يفرض امام عيونهم ومعتقدهم ان اسقف رومة ما كان سلطان الكنيسة وما كان الاستاذ المعصوم بالنسبة للحقيقة المسيحية .

(الخاتمة)

ينتج من هذا كله بالايضاح الاخير . ان المقام الاول اعطي لرومة بين مراكز البطاركة بسبب تقدمها المدني فذلك غير مرادف بكل معنى للسيادة الروحية على باقي الكنائس فان هذه السيادة الروحية تنفيها جميع احوال القرون الثلثة الاولى . ينفيها الوضع ذاته الذي يسوّغ من الاصل الولاية للكنائس . ينفيها لقب الكنيسة الجامعة ذاته الذي كان لها وهو ان وحدانية المسيحية هي قاعدة الايمان والتهذيب العام . ينفيها تصرف كل القدمية واعلاناتها المقصودة جداً . تنفيها الاصوات القاصفة (ذات الدوي) واحتجاجات كل المسيحية العلنية ضد عجرفة (غلو عظمة) اساقفة رومة الحديثة

فاذاً النظرية الرومانية هي غريبة عن ايمان العصر الرسولي ولم تكن منذ البدء . اذاً هي ناشئة متأخراً . اذاً الذي كان منذ البدء وهو الحق هو تقليد الرسل والذي صار متأخراً هو اختراع البشر وبالتالي ضلال . من الاصل كانت الحقيقة . قال ذلك ترتوليانوس الذي يخصك (ان الاصل هو الحقيقة والمتخلف هو كذب . وبهذه المثابة يمكن ان يعتبر ذلك هرطقة وهو مما يمكن معرفته فيما بعد وبه تعرف الحقيقة وقد نقلت من قبل ومن بعد (الجدل ضد الماركونيين ١ : ١ ف ١)

كتاب

الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة

تأليف

المغبوط المثلث الرحمة الانبا كيرلس مقار
بطريرك الكاثوليك التبع

الجزء الثالث

مترجم

من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية

بقلم الفقير صاحب مجلة صهيون

« حقوق الطبع محفوظة للمترجم »

سنة ١٩٢٥ افرنجية أو سنة ١٩١٧ مسيحية قبطية
وسنة ١٦٤١ للشهداء الاطهار

مطبعة عين شمس
بشارع كلوت بك بالدرب الواسع نمرة ٢٤ بالقاهرة

الجزء الثالث

(الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة كما في المجامع المسكونية السبعة)

(لمحة عمومية)

طالعنا وضع الكنيسة حسب تاريخ القرون الثلاثة الاولى المسيحي وأثبتنا شيئين مهمين احدهما ان كل القدمية أقرت بان لاسقف رومة المقام الاول في الكنيسة لانه كان اسقف المدينة المالكة (الامبراطورية) ولكنها رفضت بتاتاً أن ترى في الاولية الشرقية صفة ما للسيادة. الثاني انه فيما يخص معتقد هذه القدمية العليا أن السلطة التي تفصل قطعياً في الاختلافات الدينية وخصوصاً الاختلافات العقائدية والتهذيبية كانت سلطة الكنائس بالاشتراك ولكن كانت في الاصل الكنائس الرسلية يعني الكنائس الممتازة التي كان شعار الفخر لها انها تقلدت من الرسل أنفسهم تعليم الايمان وقواعد الحكم والتي بهذا اللقب هي الشهادة الاصلية للتعليم الاساسي نظراً لكون باقي الكنائس لم تتقلد الايمان من الرسل مباشرة بل من هذه الكنائس الاصلية

ومن ثم ماهي السبعة مجامع المسكونية (١) التي سلسلتها الفخيمة افتتحت بسني الجيل الرابع الاولى، لاشيء سوى كون موافقة هذه الاصول العظيمة العمومية التي لمسيحية الاجيال الثلاثة الاولى كانت القاعدة (الاساس) لوضع الكنيسة

---

(١) المترجم. اسلفنا ان الكنيسة القبطية لا تقر على اكثر من ثلاثة مجامع مسكونية

بعد أن تفاوضنا بشأن وضع الكنيسة حسب تاريخ القرون الاولى الثلاثة بيضعة أيام رجع اليّ زميلي الروماني وقال لي . أرغب أن اعرف آراءك عن السبعة المجامع المسكونية وذلك بأكثر ما أعرف أن كنيستك تود أن تسمى بكنيسة السبعة مجامع المسكونية . هذه التسمية موضوع عجبنا نحن رجال الكنيسة الرومانية لان اعتقادنا أن هذه السبعة مجامع المسكونية حازت رضى سلطان البابوات الروحي بمعنى كونهم معلميها المعصومين . كل لاهوتينا متفقون على ذلك

— الارثوذكسي اجيب أي أن لاهوتييك المتأخرين اتفقوا على أن يروا بعويناتهم الواناً أن كنيستنا الارثوذكسية المركبة كتلة من الكنائس الرسلية التي بلغت حداً بالسبعة المجامع المسكونة تعتقد وتقر أن هذه السبعة المجامع هي البرهان الواضح وأنها الأثر المؤبد المطبوع بخاتم المسيحية القديمة ضد مزاج عظمة البابوات . وبالحقيقة هل تريد أن تقول لي جيداً كيف يتأتى اقرار لاهوتييك المتأخرين بموجب هذه السبعة المجامع بالسلطة الروحية وتعليم عصمة البابوات ؛

— الروماني : بهذا بأن هذه المجامع كانت تدعى وترأس بالبابوات وخصوصاً بهذا أن هذه المجامع نفسها كانت تقر بغير محاولة (تغيير) أن تحارير البابوات المتعلقة بالمعتقد التي كانت ترسل اليها كانت لديها القاعدة المعصومة التي لم يمكنها الابتعاد عنها وأن أحكامها المجمعية ما كانت لها قيمة بدون تثبيت بابوي ولذا كانت تتطلب بتواضع تحصين أعمالها بذلك

— الارثوذكسي : كيف تذهب هذا المذهب ياعزيزي ؛ تقول أولاً ان السبعة المجامع المسكونية كانت تدعى وترأس بالبابوات

فاليك جوابي . اذا كانت المجامع السبعة المسكونية من ثم تدعى وترأس حقيقة بالبابوات فذلك لا يبرهن على سيادتهم الروحية ولا على تعليمهم المعصوم كما شرحت لك ذلك في مفاوضاتنا على تأسيس الكنيسة حسب كتب العهد الجديد وهو أن رئيس هيئة (رأس جسم) مجمعية لمجلس أو لمحكمة مثلا يدعو عادة زملاءه للاجتماع ويرأسهم وأن هذا العمل لايدل على أنه سلطانهم وسيدهم بل أول اخدانه فقط على اني قلت عادة انه لو خان الرئيس أو كان موضوع تهمة ما ينتقل حق الاستدعاء والترأس على الجلسة طبيعياً الى الوكيل أو الى أكبر منه في المقام والسن في هيئة الاجتماع . ومكان الرئيس يصبح مكان المتهمين

أن الكنيسة الارثوذكسية لاتستصعب أبداً قبول كون أسقف رومه كان في القديم أول اسقف في الكنيسة لان مركزه كان في مدينة الامبراطور ومن ثم كان يستدعي الحال أن يدعو ويرأس المجامع السبعة المسكونية هذه الحال تبرهن على صفته هذه لا على شيء اكثر . مع أن الحقيقة التي في التاريخ هي عكس هذه الدعوى ذاتها . الحقيقة التاريخية ان مجمعاً ما من هذه المجامع السبعة المسكونية لم تستدعه البابوات بل كلها بلا استثناء كان الامبراطورون المسيحيون يستدعونها وان تحارير الدعوة كانت تصدر من هؤلاء الامبراطورين وتسجل بين أعمال هذه المجامع الرسمية وقد

يمكنك أن تطالعها في عزلتك في مجموعة لابيه. فاذاً بسهو زعمت الساعة ان السبعة المجامع المسكونية كان البابوات يستدعونها . هذه الغفلة تأتت بلا شك من هذا وهو ان الاعتقاد الروماني اليوم يجعل من دعوة المجامع المسكونية حقاً للبابوات وقفاً عليهم مانعاً لسواهم وبعبارة اخرى تقدّر أن الحقيقة التاريخية توافق معتقدك الاساسي

بالنظر لرياسة البابوات على المجامع قد لاحظت لك أن هذه السبعة المجامع المسكونية لم يرأسها اثنان منهم بشهادة (برأي) كل مؤرخيك الحديثين التي لا أن البابوات ما اتخذوا فيها مركزاً بصفة رؤساء فقط بل أنهم لم يتمثلوا فيها جميعاً. لا بأنفسهم ولا بوكلائهم . فهذا المجمع الثاني المسكوني رأسه القديس ملاتيوس الانطاكي والخامس المسكوني رأسه اوتيشيوس القسطنطيني وهذا المجمع الاخير بنوع خصوصي كما يظهر من اعماله انعقد ضد ارادة البابا واصدر الاحكام المتعلقة بشأن الفصول الثلاثة . هذا الذي يدل على ان البابا ما كان سلطاناً ولا السيد المعصوم لزملائه بل فقط الاول لرفقائه بالبساطة بنوع أن البابا إذا كان خائناً لا أن المجامع تستدعى ذاتها فقط بل يكون لها الحق المطلق من محاكمته وسجنه

قلت بالتالي اولاً ما هو. ان السبعة المجامع المسكونية اقرت بلا محاولة ان تحارير البابوات كانت لديها القاعدة التي لا خطأ لها التي ما كانت تستطيع ان تبتعد عنها وان احكامها المجمعية ما كان لها قيمة بدون تثبيت بابوي وانها كانت دائماً تطلب بتواضع تحصين اعمالها بذلك. هذا المعروف المزدوج الذي

عده لاهوتيوك للسبعة المجامع المسكونية هو كذب تاريخي مضاعف. كذب مزدوج بعيار كبير . أن اعمال السبعة مجامع المسكونية تجدها بنصها الاصلي الذي هو اليونانية فترى هذه الاعمال على المفتوح ان السبعة مجامع المسكونية ما كانت تقر بعادة الايمان بقاعدة اخرى لا تتزعزع الا بتعليم الرسل المحفوظ والذي ينادى به في الكنيسة الجامعة الرسولية وان ذلك كان كذلك بالدقة لتعزز وحدانية هذه الكرازة العمومية التي في الاصل كانت ضرورية لوحدة التعليم الرسولي التي من اجلها كانت كنائس الله تعقد الجلسات العلنية داعية اليها المجامع المسكونية. كل الاوقات التي ينفجر فيها خلاف هائل على نقطة ما من الاعتقاد

اما بالنظر إلى تحارير البابوات التي تلاحظ المعتقد فالمجامع السبعة المسكونية ما اقرتها كقاعدة غير مغلوطة من نحو الايمان وما خطر على بالها . انها (المحررات) غير ممكن أن تشذ عنه بل أن معاملة المجامع السبعة المسكونية تثبت أن هذه المحررات البابوية العقائدية طرحت أمامها للبحث والحكم لتبرهن اذا كانت موافقة ام لا للتعليم الرسولي المحفوظ في كل الكنائس وتصادق عليها بلا نزاع اذا كانت موافقة لتعليم باقي الكنائس الرسلية وترذلها أيضاً اذا كانت مخالفة له . وبعبارة اخرى أن تصرف السبعة مجامع المسكونية الثابت وحده هو الحكم المطلق من نحو حقيقة أو كذب المحررات العقائدية البابوية والاعلان في الوقت ذاته أن حكمها الجمعي هو وحده المعصوم وهو وحده الذي لا يلغى بقدر ما

انه حكم الروح القدس الذي حسب وعد المسيح يسوع يحيي الكنيسة الجامعة الى انقضاء العالم ويحفظها من كل ضلال . فلذلك أن الاعمال المجمعية جعلت احكام المجامع السبعة المسكونية تعلن واضحاً وقبل تبليغها للبابا كانت تذاع بصفة كونها قاعدة غير مغلوطة الايمان وكقاعدة الهية عقائدية التي لا يمكن لأحد أن يناقضها الا اذا فقد اسم الارثوذكس .

ومن ذلك يتتج أن عبارة التثبيت المزدرى بها التي لاكها (لعب بها) لاهوتيوك بدعوى أن الحكم المجمعي ما كان له قيمة بدون تثبيت بابوي له معنى غير المعنى الذي تخيلوه وهذا المعنى يشتق من متن الاعمال ولهجة المجامع حيث ليس البابا وحده بل آخر واصغر الاساقفة الذي لم يحضر شخصياً المداولات العمومية يستدعى لتثبيت الاحكام المجمعية يعني ليوقع عليها

وقبل أن نفحص بالتفصيل هذه النقطة المزدوجة بدرس دقيق (عميق) عن كل واحد من المجامع السبعة المسكونية اقف لكي ابرزلك باعتبارات عمومية عدم امكان القضية الرومانية كلية . أتعرف ماذا كانت المجامع السبعة المسكونية ، كانت الميزان الاصلي للقاعدة الاساسية . كم من مرة استدعيت ضد المبتدعين دعتها مسيحية الاجيال الثلثة الاولى . واذا حصل (انفجر) خلاف على نقطة ما عقائدية ألا يبادر الى الكنائس القديمة التي عاش فيها الرسل ليؤخذ منها عن هذه المسألة (الحاصل فيها الخلاف) ما هو حقيقي ويقين ؟ —

ضروري الاصغاء لتعليم الاساقفة الذين خلافتهم الاسقفية مشتقة

من الرسل الذين تلقوا بهذه الخلافة الاسقفية موهبة الحقيقة الاكيدة حسب ارادة الله الآب . . . فاذاً هناك حيث وضعوا مواهب الرب يلزم البحث عن الحقيقة والمعرفة من عند الذين لهم الخلافة الاسقفية التي تتصل صاعدة الى الرسل والذين لهذا السبب هم الامناء الذين لا يضمحلوا لمبدأ السلام. هؤلاء هم المحافظون على وديعة ايماننا والشارحون لنا الكتب المقدسة بلا خطر الضلال (القديس ايريناوس ضد الهراطقة (ك ٣ ف ٤ نمرة ١ ك ٤ ف ٢٦ نمرة ٢ — ٥)

وأيضاً « نحن عندنا المؤلفون رسل الرب الذين لم يخترعوا من انفسهم بل الذين بأمانة سلموا الامم التعليم المستلم من المسيح يسوع . فمن ثم ماذا بشر الرسل أو ماذا ألهمهم به الرب ، هذا العمل لا يمكن أن يستدل عليه بوجه آخر سوى بشهادة هذه الكنائس نفسها التي أسسها الرسل أنفسهم بكرازتهم بالايمان لها بالصوت الحي أولا وبالتالي برسائلهم فاذا كان كذلك فكل تعليم له شهادة هذه الكنائس الرسلية الامومة وأسس الايمان فيلزم أن يعتبر حقيقة بمقدار ما أن الشهادة تبرهن بلا شك على هذا وهو ان الكنائس استلمت من الرسل رسل المسيح يسوع والمسيح يسوع من الله . وبخلاف ذلك يلزم أن يحكم بكذب كل تعليم يكون مفهومه مغايراً لحقيقة الكنائس (الرسلية) وللرسل وليسوع المسيح ولله (ترتوليانوس محررات ضد الهراطقة ف ٢١) ومن ثم ان الاعمال والصكوك المجمعية يبدو منها أن معظم الاساقفة الذين كونوا المجامع السبعة المسكونية كانوا مختصين

بالكنائس الشرقية بقدر ما أن الغرب لم يكن فيها منه الا وكلاء البابا مصحوبين أحياناً باسقفين أو ثلاثة قاعين مقام البطريركية الرومانية

وحقيقة هذا العمل الاكيد الغير المتغير في تركيب المجامع السبعة المجامع المسكونية التي من جهة لكون اصل الكنائس الشرقية أو بالتقريب رسولياً بشهادة الكتب المقدسة نفسها لكن في كل الغرب ساهمت كنيسة رومة وحدها بهذا الشرف مع كنائس الشرق . ومن جهة اخرى أن الاساس الاصلي المذكور أعلاه رام أن المنازعات من جهة المعتقد أو جهة التهذيب الصادرين عن الرسل لا تتحول بلا روية على شهادة أية كنيسة كانت بل على الشهادة المختصة بالكنائس الرسولية يعني هذه الكنائس الاولى التي تسلمت من الرسل انفسهم تعليم الايمان وقواعد التهذيب الكنيسي . فتصرف هذه المجامع السبعة المسكونية هو جوهري بالقياس لتصرف مجامعك الغربية المزعومة كونها مسكونية لتخيلها حديثاً انها تمثل الكثلكة الرسولية . مع أن الحقيقة أنه لا يوجد في دائرتها الا كنيسة واحدة رسولية التي هي رومة نظراً لكون كل باقي الكنائس الغربية منذ الاصل القريب أو البعيد ما تسلمت شيئاً من الرسل ذاتياً بل كلها تسلمت من الكنيسة الرومانية في عهد قريب جداً يحدده التاريخ بكل دقة

أما المجامع السبعة المسكونية فتدعي بهذا اللقب من باب الحق والعدل لان عندها شهادات الجامعة الرسولية . واتفاقها على أية نقطة من التقليد هو دليل لا ينتقض على رسولية هذه النقطة . ولكن مجامعك الغربية تسمى بطريق

الكذب مسكونية لانه بالرغم عن كثرة الاساقفة التي تكونها فانها لا تحتوي الا على شهادة مفردة (على الحياد) لا تقيم برهاناً معقولاً في حال الجدل لان المثل في القضاء العادل يقول حسناً (شهادة واحدة شهادة مهملة)

فالسبع المجامع المسكونية كانت تمثل بالحقيقة كلية الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية بحيث أن اجتماعها كان كاملاً من جميع كنائس يسوع المسيح الرسولية لكن مجامعك الغربية لم تمثل ولم يمكنها أن تمثل الكنيسة الكاثوليكية الرسولية لانها لم تحضر في حضنها الا كنيسة رسولية واحدة يحتج ضد شهادتها بمجموع الكنائس الرسولية الاخرى ولم تعمل حساباً ان كنيسة رسولية واحدة لا يمكنها ان تدعي كنيسة جامعة رسولية الا بطريق السخرية

فهلا عرفت ماذا كانت المجامع السبعة المسكونية ؟ كان كل واحد منها في زمانه المجلس الاعلى للكنيسة الذي يفصل بحالة جازمة في المنازعات التي بشأن المعتقد او التهذيب لان حكمه كان حكماً عاماً من كل الكنائس الرسلية وحكمه هو حكم الروح القدس ذاته الذي له مزية لا تقبل النقض ولا تدع مكاناً لنزاع جديد . ومن يشك بحكم صادر علناً من عموم الكنائس الرسولية فينكر أن الكنيسة الكاثوليكة الرسولية هي مشيدة دائماً بيسوع المسيح وروحه

فالمجامع السبعة المسكونية بصفة كونها مجلس الكنيسة الاعلى ليست اختراع بشر كما زعم ذلك الكاردينال بلارمين أحد لاهوتييك العظام

(الاحبار الرومانيون ك ٤ ف ٧) بل وضع يسوع المسيح وعمل الرسل قبلاً الذين تعلموا من الروح القدس وتسربلوا بقوته الالهية

المجامع السبعة المسكونية تلقت لقبها من مجمع الرسل الاورشليمي الذي سلطته العليا انهت الجدل المختص بالزام حفظ نواميس موسى نظراً للوثنيين المهتدين . في هذا المجمع الرسولي الذي اخبرتنا الكتب المقدسة عن اعماله والذي تكلمنا عنه طويلاً خصوصاً نرى المسألة لم تتحول على مجلس بطرس بل على مجلس الرسل والمشايخ نرى ان الرسل والمشايخ اجتمعوا ليفحصوا المسألة موضوع الجدل ويحكموا فيها بالاشتراك . نرى الرسل والمشايخ يتداولون معاً في القضية التي طرحت لفحصهم اياها وكل واحد منهم أعطى صوته بالحرية مضيفاً الجملة الى ما كان قاله بطرس ذاته . نرى الرسل والمشايخ بعد المداولة المشتركة انشأوا حكماً عاماً وهذا الحكم العام قالوا عنه انه حكم الروح القدس (رأى الروح القدس ونحن) نرى الحكم الذي صدر من وحدانية الرسل والمشايخ وبلغ بعناية عموم الرسل والمشايخ وكل الكنيسة الاورشليمية الى كنائس الامم انه حكم فعال . اخيراً نرى ان القرارات الصادرة هكذا من حكم عموم الرسل والمشايخ كانت معتبرة عند الجميع بصفة كونها لا تنقض ولا تقبل اعادة النظر فيها . ثم ان هذه الاحكام ما عتمت ان بلغت الى الكنائس . والقديس بولس ذاته كان المهتم بتعليم

المسيحية الحديثة (ان تحفظ بالدقة الاحكام التي حكم بها الرسل والمشايخ باورشليم (اع ١٥ : ٢١) [1]

فهاك انموذج وقياس وصورة المجامع السبعة المسكونية التي نرى فيها ان السلطة العليا هي التي تبت مناظرات الكنيسة لا سلطة شخص البابا بل سلطة عموم الكنائس الرسولية وبعبارة اخرى الصوت الذي يجاوب بالاتفاق من خلفاء الرسل بالحكم المشترك ثم لاحظ جيداً ان بطرس شخصياً كان معصوماً من الخطأ وكل واحد من الرسل كان كذلك بفضل نعمة خصوصية منحت لهؤلاء اسس الكنيسة الاولى . وكل منهم كان في امكانه ان يحسم الخلاف بسلطة ثابتة لا نزاع فيها ومع ذلك فان الروح القدس لم يرم ان اول خلف بشأن الايمان والتهذيب يفصل فيه ألا بمجلس الكنيسة الاعلى الذي هو مجمع الرسل والمشايخ . . لكيلا يحصل خلف في الاجيال المتخلفة على كيفية المجلس الاعلى الذي رتبه المسيح يسوع . والروح القدس ذاته اودع في سفر الاعمال هذا الحادث المهم ليعلن به اهل الختان ويدلهم على ان مجلس الكنيسة الاعلى ليس هو سلطة فردية لبطرس أو أي رسول آخر بل سلطة عموم الرسل والمشايخ المجتمعين للمداولة معاً والحكم معاً مع وحدانية الروح القدس الذي لايفارق كنيسة المسيح يسوع

ان الآباء الذين كان لكل واحد كرسيه في المجامع السبعة المسكونية

(١) المترجم هذه الجملة لا أرها في نسخة بيروت المسيحية في هذا المكان ولكنها وجدت فيها في (اع ١٦ : ٤)

كانوا من ذوي ذمة كاملة في كل ما هو هكذا جيد في تصرفهم ووظيفتهم وكانوا يعرفون انهم خلفاء الرسل وان مجتمعاتهم العلنية تقلد المجتمع الرسولي الاورشليمي وتنظم مجلس الكنيسة الجامعة الاعلى الذي احكامه هي احكام الروح القدس ذاته . في ذلك الزمن باوائك انفسهم ما كانوا يجسرون على ان ينكروا هذه الحقيقة الاساسية التي هي كيفية المجامع المسكونية . هكذا قال البابا سيليستينوس بخطابه الى المجمع المسكوني الثالث للآباء المجتمعين : ان الروح القدس غير منفصل من مجتمعهم : واحتج فيه عن كون المجمع الذي انعقد في افسس كان متمتعاً بذات سلطة وذات وقار مجمع الرسل الذي تكلم عنه سفر الاعمال « المجمع يجب ان ينعقد بكل وقار . فهو مقدس لانه ليس الا مثال من مسالك تلك الاجتماعات التي رسمها الرسل والتي كان ينظر اليها بعظم الوقار »

وبالتالي جعل قاعدة السلطة العليا وعصمتها للمجمع الرسلي وعد المسيح يسوع العظيم للمجمع الرسولي ان يثبته دائماً ويحفظ حكمه المشترك خالياً من كل الضلال « ولم يكن ينقص الرسل ابداً هذه المنزلة التي نالوا بها سلطة الكرازة من الرب والمعلم ذاته. وما ابتعدوا ابداً من معلمهم الذي علم من ارسلهم. علمهم ما كان قاله. والطريقة لعرض ذلك انه رسم ان تذاع بواسطة رسله »

ثم أثار اهتمام آباء مجمع أفسس معلناً اياهم بالحاح غريب انهم جميعاً خلفاء الرسل وانهم تقلدوا بالاشتراك ذات الوكالة وذات الحكم بمواعيد العناية الالهية مثل المجمع الرسولي « كل كهنة الرب ائتمنوا على العناية والتفويض

في أمر الكرازة . هذا الحق الموروث الذي تسلمناه نحن المجمع ان نبشر باسم الرب في كل انحاء المسكونة « اذهبوا وعلموا جميع الامم . . .

« لتعتبر اخوتكم اننا تقلدنا أمراً عمومياً . ونحن على الخصوص يجب أن نجتهد حسب الحكم كما هو معقول . ومن اللازم ان نتبع بالحذر اسلافنا بحيث نقتفي آثار أعمالهم نحن الذين حللنا محلهم ونلنا شرفهم اخيراً وانه محتم علينا ان نحافظ على تقاليد(١) الرسل » ان المجمع الخامس المسكوني لم يظهر (يشهر) بمظهر أقل صراحة في تكييف مجامع الكنيسة الجامعة وبما ان وبجيليوس (البابا) رفض ان يحضر مجتمع الآباء واعداً ان يصدر حكمه على حدة حكم المجمع المقدس في جلسته السابعة بهذا التصرف بقوله (ان أصل وضع الكنيسة يستدعي موافقة ما كان أجراه الرسل في مجمع أورشليم وهو المداولة والاقرار في الاختلافات الدينية وان هذا الاصل حفظ بأمانة عن الآباء في المجامع الاربعة المسكونية : « برضينا وبرضي البابا فيجيليوس ان نجتمع لكي تتفق كل الكهنة على المسائل المعروفة : ولذلك ولكي نذكر البابا فيجيليوس نحن قرأنا أمثلة الرسل المعتبرة وتقاليد آبائنا القديسين .

لان نعمة الروح القدس انسكبت بملء في كل واحد من الرسل بحيث انهم لم يكونوا بحاجة ان يرتشدوا بآخرين في ما كان يجب ان يجروه . وحينما لما أرادوا أن يعقدوا جلسة على مسألة وهي هل يجب على الامم ان يختتنوا كان اعتمادهم على شهادة الكتب المقدسة وعلى رأي كل واحد عرض من

(١) مجموعة لابيه . المجمع الثالث . العمل الثالث

الحاضرين. بحيث ان قرارهم أذيع بهذه الكلمات «ظهر عدلاً للروح القدس ولنا . . .

وان الآباء القديسين في الزمان الماضي اجتمعوا في الاربعة الاجيال وحافظوا على أمثلة القدماء بهذا النوع . وبهذه الاقوال حلوا المسائل ضد الهرطقات التي كان يجب اوارها. وأخيراً ان المجمع السابع المسكوني أردف حكمه المجمعي في الجلسة الثالثة بأعلان على المفتوح عن كيفية المجامع المسكونية وهذا الاعلان يقول انه في المجامع المسكونية يجتمع أساقفة الكنائس الرسلية بصفتهم خلفاء الرسل ويقررون حكماً مشتركاً بخصوص أمور الايمان وان احكامهم تكون غير مغلوطة لان المجامع المسكونية تشخص الكنيسة الجامعة الرسولية التي هي عروس يسوع المسيح التي بلا دنس بحسب وعد المسيح يسوع للرسل أن يكون معها كل الايام الى انقضاء العالم. ويتعلق (الوعد) أيضاً بجمع خلفائهم أساقفة الكنائس الرسلية المجتمعين في المجامع المسكونية . « ان المسيح وعد رسله القديسين أن يعتني بكنيسته الكاثوليكية بلا قيد ولا رباط وأن يحفظها بقوله لهم : سأكون معكم كل الايام . . هذا الوعد لم يعط لهم فقط بل لنا نحن الذين نؤمن باسمه . وبنعمة هذا ربنا والهنا الذي دعانا كولاة على الكهنوت . لكي بسلطان الكنيسة الكاثوليكية الالهي باجماع يتعين حكمنا ويتحدد أبداً ودائماً » من كل هذه الايضاحات ينتج سلفاً (كما نتج) أن المجامع السبعة المسكونية التي تمثل بكل حق مجتمع الكنائس الرسولية حسمت المنازعات الدينية

بصفتها المجلس الاعلى المرتب من المؤسس الالهي للكنيسة التي صدّرت احكامها بسلطات معصومة من الخطأ لا لكونها موافقة لكلام البابا أو أن البابا رضي أن يثبتها بل لكونها أحكام الكنائس الجامعة الرسلية التي هي عروس المسيح يسوع بلا دنس بل لكون هذه الاحكام صدرت من مجمع خلفاء الرسل الاصليين الذين تسلموا التفويض العام ان يعلموا كل الامم بوعد الروح القدس المشترك أن يمكث معهم دائماً ويسوع المسيح نفسه يكون معهم كل الايام الى انقضاء العالم . هذه الصفة السامية العالية التي لا يتطرق اليها الخطأ والتي طبعها الله على جبهة السبعة المجامع المسكونية والتي نظريتك الرومانية تحاول باطلاً ان تمحو رسومها التي لا تمحى تبرز بالافضل من اختبارها باكثر تفصيل نأتي على عمله عن كل واحد من هذه المجامع السبعة .

﴿ الفصل الاول ﴾

المجمع الاول المسكوني

(القسم الاول)

﴿ اعمال مجمع نيقية والاعلانات عنه ﴾

انعقد هذا المجمع بنيقية من أعمال بيثينيا سنة ٣٢٥ م . وكان مؤلفاً من ٣١٨ أباً ، وانما انعقد هذا المجمع ليضع حداً للجدل العنيف الذي أثاره القس اريوس في الكنيسة حول لاهوت المسيح . ومن بواعث انعقاده أيضاً ثلاث قضايا كانت موضوع نزاع محتدم بين الكنائس ، هي قضية عماد الهراطقة وقضية يوم تعييد الفصح وقضية انشقاق ملانيوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط) عن الكنيسة الاسكندرية ، اذ سام كهنة في صعيد مصر ، دون أن يحصل على مصادقة الاسقف الاسكندري .

ويتضح من الوثائق التاريخية القديمة أن هذا المجمع انما انعقد بدعوة من الملك قسطنطين لا من البابا (الروماني) سلفستروس . وأن هذا البابا لم تكن له يد في عقده (١) وتدل الامضاءات التي ذيل الاساقفة بها أعمال

(١) ليلاحظ القراء ان المؤلف لم يعتمد على غير شهادات المؤرخين والكتاب المعاصرين للحوادث اكليريكيين كانوا او عالميين . وأنه اتى على نصوص شهاداتهم بلغتها الاصلية يونانية كانت أو لاتينية . وأنه فوق ذلك وضع نصب أعين القارىء اسم الكتاب ورقم الفصل الواردة فيه تلك النصوص (المعرب)

كل من جلسات ذلك المجمع المؤلف من ثمانية عشر وثلاثمائة أباً على أنه لم يكن ليمثل الغرب كله غير آباء خمسة ، كما تدل على أن بقية الآباء انما كانوا شرقيين يمثلون الكنائس الشرقية : ومع أن ترؤس بابا رومة على هذا المجمع بصفة اسقف الكرسي الاول في الكنيسة كان أمراً ميسوراً الا ان الواقع كان على النقيض من ذلك فقد أسند المجمع منصب الرئاسة الى أوسيوس أسقف قرطبة ، وكان شيخاً وقوراً مهيباً ، حاز ثقة الملك وفاز باحترام الجميع ، لمجاهرته بالايمان في عهد مكسيميانوس ، ولما تجمل به من فضائل ومواهب لم يباره في مضمارها مبار : وهذا هو القديس اثناسيوس (الذي حضر المجمع بصفة رئيس شمامسة كنيسة الاسكندرية) بعد أن سماه (أوسيوس الكبير) و (المعترف العظيم) و (ابو الاساقفة) قال بصريح العبارة : (انه رئيس المجمع النيقاوي)

ولذا ترى اسم اسقف قرطبة مكتوباً في رأس قائمة اسماء الاساقفة الذين حضروا جلسات ذلك المجمع : وكان اسم اوسيوس مقدماً على اسمي ويتون وويكندوس الممثلين الوحيدين سلفستروس في مجمع نيقية

(وهنا وجه المؤلف (السيد مقار) الخطاب الى اللاتين وأشياعهم قائلا) : (يزعم لاهوتيوكم ان اوسيوس كان ممثلا للبابا سلفستروس بالاشتراك مع الكاهنين الرومانيين ويتون وويكندوس : يزعمون ذلك لان من عقائد الايمان عندهم أن لا يلتئم مجمع الا برئاسة البابا ويدعمون زعمهم هذا بشهادة

جيلاسيوس (١) في تاريخه عن مجمع نيقية، ولكننا لو انعمنا النظر في هذه الشهادة لوجدناها عليهم لا لهم لان جيلاسيوس هذا الذى كتب تاريخه في آخر القرن الخامس لم يكن الا مردداً لما كتبه اوسابيوس (٢) في الموضوع ممسوخاً، اذ لم يذكر النص الاوسابيوسي بحروفه فجاءت عبارته مخالفة للحقيقة.

قال جيلاسيوس ما نصه: (لما رأى الامبراطور ان الكنيسة في اضطراب عقد مجمعاً مسكونياً بأن كتب الى الاساقفة في جميع البلاد احضروا الى نيقية من اعمال بيتينيا فلبى الدعوة اساقفة ابرشيات عديدة ومدن كثيرة)

ثم قال مستطرداً: (ان اوسابيوس (اسقف قيسارية) في كتابه الثالث عن حياة قسطنطين كتب في هذا الموضوع مانصه: لقد اجتمع في مكان واحد اساقفة منتخبون من جميع الكنائس التي كانت تملأ اوربا وليبيا (افريقيا) وآسيا يومئذ، وكان أوسيوس اسقف اسبانيا الشهير والقسان الرومانيان ويتون وويكندوس جالسين في مكان سلفستروس بابا رومة العظمى، ومعهم جمهور الاساقفة)

---

(١) مؤرخ كنيسي عاش في أواسط القرن الخامس أي بعد المجمع النيقاوي بقرن كامل على أقل تقدير (المعرب)

(٢) ولد سنة ٢٦٤ وسيم أسقفاً على قيسارية سنة ٣١٥ وكان عضواً بالمجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وتوفي سنة ٣٣٨

على أن نص اوسابيوس الحقيقي يخالف هذا النص الذي عزاه اليه جيلاسيوس كل المخالفة. قال أوسابيوس.

لقد اجتمع في مكان واحد اساقفة منتخبون من جميع الكنائس التي كانت تملأ أوربا وليبيا وأسيا يومئذ، وكان اسقف اسبانيا الشهير جالساً مع جمهور الاساقفة. أما اسقف المدينة المالكة (رومة) فلم يحضر بسبب شيخوخته، غير ان قسوساً موفدين من قبله شغلوا مكانه) (أوسابيوس في حياة قسطنطين ك ٣ و ٧)

هذا هو النص الاوسابيوسي الصحيح، ومنه يتضح جلياً أن القسوس الذين اوفدهم البابا سلفستروس لينوبوا عنه في المجمع كانوا غير أسقف اسبانيا الذي عينه اوسابيوس تعييناً... وقد اجمع المؤرخون السابقون لجلاسيوس على أن مندوبي البابا في المجمع انما كانوا قسين اثنين هما ويتون وويكندوس: ولم يدع أحدهم ان اوسيوس كان مندوباً بابوياً...

قال سوزومينوس (١) (في تاريخه الكنيسي ك ١ ف ١٧).

« ان الملك عقد مجمعاً في نيقية من أعمال بيتينيا، وكتب الى رؤساء الكنائس في كل مكان أن يحضروا الى هناك في يوم عينه لهم وكان من بين الذين لبوا الدعوة من أساقفة الكراسي الرسولية مكاريوس الاورشليمي واسطاتيوس الانطاكي والكسندروس الاسكندري أمابوليوس (وصوابه سلفستروس) اسقف كنيسة الرومان فلم يحضر بسبب شيخوخته، وقد

---

(١) ولد سنة ٣٩٠ وتوفي سنة ٤٤٣

حضر عنه ويتون وويكندوس قسا هذه الكنيسة »

وقال تيؤدوريتوس (١) (في تاريخه الكنيسي ك ١ ف ٧).

(ان اسقف رومة قد تخلف عن الحضور الى المجمع لكبر سنه ولكنه أرسل اليه قسين »

أما القديس اثناسيوس فانه بتلقيبه أوسيوس (بأبي الاساقفة) قد أبان بجلاء أن الحبر الاسباني العظيم لم يرأس جلسات المجمع باسم البابا سلفستروس او باسم غيره من الاساقفة . . .

هذا ولم نكن نريد من التبسط في هذه النقطة أن نبرهن على أنه لم يكن في وسع اسقف رومة أن يرأس مجمع نيقية بصفته أول كرسي رسولي — كلا ، ولكنا أردنا أن نبرهن على أن دعوى ترؤس بابا رومه (سلفستروس) للمجمع المسكوني الاول انما هي محض كذب على التاريخ . . .

(وبعد ان دقق المجمع في المناظرة وتعمق في المناقشة ، أصدر حكمه في القضايا المعروضة عليه وهي اربع : اثنتان منها مختصتان بالعقيدة وهما قضيتا لاهوت المسيح وعماد الهراطقة ، واثنتان خاصتان بالنظام وهما قضيتا يوم تعييد الفصح وبطلان السيامات التي قام بها ملاتيوس اسقف ليكوبوليس

والمهم الآن أن نعرف هل كان المجمع عند ما أصدر حكمه في القضايا الاربع مقيداً بأوامر بابا رومه ؟ وهل اعتبر ان ما يصدره من الاحكام يعدم

(١) ولد سنة ٣٩٦ وتوفي سنة ٤٥٨

قيمته القانونية ان لم يكن مصادقاً عليه من البابا ؟

هذه دعوى الكنيسة الرومانية المصرية ، ولكنها كلها مبنية على جرف هار ، اذ من الثابت المقرر أن البابا سلفستروس لم يبعث الى المجمع بتعليمات أيا كانت . . . ومن الحقائق التي لا تنقض ان حكم المجمع قد أبلغ — على أثر النطق به — الى كنيسة رومة كما أبلغ الى غيرها من الكنائس لينفذ فيها على السواء باعتباره حكماً الهياً لا يقبل نقضاً ولا ابراماً ، أو قل انه حكم الروح القدس الذي يسري على الكنائس جميعاً . والذي يؤدي عدم الرضوخ له الى التجرد من المسيحية حتما .

هذه قضايا ثابتة لا تحتمل جدلاً ولن تجد تبديلاً وانكم معاشر البابويين لتعجزون — انتم ولاهوتييكم — عن أن تأتوني ولو برسالة واحدة موجهة من البابا سلفستروس الى المجمع النيقاوي بشأن العقيدة او النظام ، وها أنا ذا اقيم لكم الدليل القاطع على ان الآباء ال ٣١٨ عند ما فصلوا في القضايا الاربع التي طرحت على محكمتهم لم يستندوا الى سلطة بابواتكم الذاتية بل الى سلطتهم العليا المستمدة من الله وانهم كانوا يعلمون كل العلم ان الاساس الذي ترتكز عليه تلك السلطة المقدسة انما هو الهيئة الكنيسية الرسولية المجتمعة بصفة علنية لتصدر الاحكام بالهام الروح القدس . لذلك نراهم عند ما ارادوا ان يفصلوا في القضية الخاصة بلاهوت المسيح وهي من أهم القضايا المطروحة عليهم — لم يستندوا الى سلطة البابا ، بل الى شهادات كنائسهم المقدسة التي التقطت الايمان من افواه الرسل

أنفسهم فحافظت عليه بكل امانة والتي صانت التعاليم الرسولية من العبث وقدست تلك الوديعة الطاهرة تقديساً . . .

قال آباء نيقية : كل من يدعي انه أتى على الابن حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً ، او انه وجد من العدم فان الكنيسة الجامعة الرسولية تحرمه حرماً ، ولم يكن دستور الايمان الذي وضعه الـ ٣١٨ ابا درساً القاه عليهم البابا سلفستروس او مندوباه ، بل كان دستور الايمان الرسولى الذي تنادى به جميع كنائس الله المجتمعة يومئذ بنيقية ، فقد قال كل من ممثلى هذه الكنائس : « أؤمن بالرب يسوع المسيح ، وحيد الاب اله من اله ، نور من نور . به كان كل شيء ، مولود غير مخلوق ، مولود من الآب ، قبل كل الدهور ، مساو له في الجوهر)

اما القديس اثناسيوس الذي تتجلى فيه الارثذكسية النيقاوية ، فقد فسر لنا طبيعة حكم الـ٣١٨ اباً فيما يختص بالعقيدة حيث قال في كتابه (المجامع) (الفصل الرابع) : « ان آباء نيقية عند ما اصدروا حكمهم في قضية الفصح قالوا : هذا ما وجدناه حسناً : لان هذه المرة كانت الاولى التى فيها سن قانون عام فى هذا الموضوع (موضوع يوم تعييد الفصح) اما عند الكلام على الايمان فلم يقل الاباء هذا ما وجدناه حسناً بل قالوا : هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة : ثم جاهروا بمعتقدهم ليدلوا على ايمانهم ليس بحديث العهد بل هو نفس الايمان الرسولي وأن ما سطرته أيدي هؤلاء الاباء لم يكن من عملهم بل هو الايمان عينه المسلم من الرسل الى الكنائس)

هذا ومن حكم المجمع النيقاوي فى القضية الثانية الخاصة بالعقيدة (قضية عماد المراطقة) يثبت ثبوتاً لا ريب فيه : انه كان مستقلاً استقلالاً لا تشوبه شائبة ما ، وان سلطته على البابوات لم تكن بأقل منها على غيرهم ، وهاكم الدليل :

كان البابا استفانوس الاول — قبل انعقاد المجمع النيقاوي بقرن كامل . قد أصدر حكماً في « قضية عماد المراطقة » شفعه بحرم القديس قبريانوس وجميع أساقفة افريقيا : ثم بحرم القديس فرمليانوس وجميع كنائس كبادوكيا اذ كانوا قد خالفوه فيما ذهب اليه بشأن ذلك العماد

فلو كان المجمع النيقاوي يعتقد أن سلطة البابا فيما يختص بالعقيدة هي قاعدة الايمان للمسيحية جمعاء ، أفلم يكن هذا الظرف هو الذي كان يجب عليه أن يتبع فيه تعليم البابا ، وأن يجعل هذا التعليم قاعدة لحكمه ؟ ؟ ؟ ولكن الآباء الـ ٣١٨ لم يكتفوا بعدم العمل بتعليم البابا استفانوس ، بل هم على النقيض من ذلك رذلوه وعدّوه تعليماً هرطوقياً وبدعة في الدين ، كما رذلوا تعليم القديس قبرياقوس . .

وهذا ماسجّله عليكم بنيديكتوس الـ ١٢ أحد بابواتكم كل التسجيل حيث قال :

« كان البابا استفانوس الاول قد رأى أن لا يعاد عماد من قام بتعميده أحد المراطقة (المبتدعين) اذا عاد الى أحضان الكنيسة الجامعة . وكان القديس قبريانوس ومعه جمهور اساقفة افريقيا قد رأوا عكس رأيه ، كما

يتضح ذلك من رسالته الى بومبيوس وبوبيانوس ولكن مجمع نيقية سفه كلا الرأيين حيث قال في قراره « ان الذين عمدهم هراطقة على طريقة تخالف الطريقة المتبعة من الكنيسة ، اولئك يجب اعادة عمادهم أما الذين عمدهم هراطقة متبعون في تعميدهم الطريقة المتبعة من الكنيسة فلن يعاد عمادهم »

فاذا كان المجمع النيقاوي قد حكم بفساد تعليم بابا رومه ، أفلم يكن يعتقد اعتقاداً راسخاً ، أن سلطته المسكونية انما هي فوق سلطته ، وأن سلطة المجامع المسكونية سلطة عامة معصومة على النقيض من سلطة البابا ؟؟؟

أجل اذ ذلك الاعتقاد هو الذي كان سائداً الكنيسة في صدر النصرانية وليس أدل على ذلك مما قرره القديس اغسطينوس حيث قال . « أن سلطة المجمع المسكوني الاول — التي لها صفة الفصل في القضايا — هي وحدها التي فصلت في قضية العماد ، التي كانت موضوع نزاع احتدم أواره بين القديس قبريانوس والبابا استفانوس » . . .

ولقد قال اغسطينوس ذلك الاسقف الكبير صراحة : «أن تعليم البابا استفانوس لم يكن له من التأثير والنفوذ ما يحمل القديس قبريانوس — أو غيره من أساقفة الكنيسة — على قبوله ، ولو كان استفانوس مكان قبريانوس لما كان أطوع منه للتعليم البابوي ! ولم ذلك ؟ ذلك لسببين أولهما : ان السلطة الوحيدة التي يعد قولها قانوناً بالنسبة لكل من قبريانوس واستفانوس على السواء ، انما هي سلطة المجمع المسكوني دون غيره . . . ثانيهما « ان شهادة

الكنائس مجتمعة (لا شهادة البابا منفرداً) لهي أقطع دليل على صحة العقيدة المسيحية . . . »

هذا هو تعليم اغسطينوس عن سلطة المجامع المسكونية ، أما استقلال المجمع المسكوني الاول ، وسلطته على البابوات — كغيرهم من الاكليريكيين فتجليا في قضية يوم تعييد الفصح بما لا يدع قولاً لقائل :

كان البابا فيكتور قبل أن ينعقد المجمع النيقاوي بقرن ونصف قرن قد أصدر قراراً بشأن يوم تعييد الفصح لينفذ في الكنيسة بأسرها . غير أن كنائس آسيا ضربت بقراره عرض الحائط فقطع شركته معها غضبان حنقاً

فلو كان مجمع نيقية يؤمن بالسلطة التي يخلعها لاهوتيوكم على البابا ، أما كان يتحاشى أن يقول : انه انما سن قانوناً في هذا الصدد للمرة الاولى ، وأن الباعث على سن ذلك القانون لم يكن الا القرار الذي أصدره البابا فيكتور ؟

ألم يكن من واجب المجمع أن يقرر — على الاقل — انه انما يؤكد القرار البابوي الذي صدر منذ ١٥٠ سنة ، والذي يسري مفعوله على المسيحية جمعاء منذ يوم صدوره ؟

على أن شيئاً من ذلك لم يكن ، ولقد مر آباء نيقية بقرار البابا فيكتور مرورهم بلغو الحديث ، فكان عندهم عديم القيمة بل عديم الوجود . .

لم ير آباء نيقية في قرار البابا فيكتور قانوناً تتقيد به جميع الكنائس ، وما ذلك الا لأنهم كانوا يعلمون أن المجمع المسكوني هو وحده الذي له سلطة التشريع في الكنيسة الجامعة ، وأن القرار الذي أصدره بشأن قضية يوم

تعييد الفصح ، كان أول قرار صدر في تلك القضية . فتقيدت به المسيحية بأسرها . . .

وهذه الحقيقة الراهنة ، يؤيدها القديس اثناسيوس في تصريحه الذي سبقنا فذكرناه ، والذي نستصوب اعادته هنا ، قال :

« ان آباء نيقية عند ما أصدروا حكمهم في قضية الفصح قالوا : هذا ماوجدناه حسناً : لان تلك المرة هي الاولى التي فيها سن قانون عام في تلك القضية » (قضية يوم تعييد الفصح) — : ولن يكون هذا التصريح الذي فاه به اثناسيوس خطأ ، الا اذا كان هو والآباء الـ ٣١٨ يعتقدون ان القرار الذي اصدره البابا فيكتور — قبل انعقاد المجمع النيقاوي بمئة وخمسين سنة — له قوة القانون وسار على جميع الكنائس . .

ثم أن المبدأ — الذي بنى المجمع المسكوني عليه حكمه بانشقاق ملاتيوس أسقف ليكوبوليس عن البطريركية الاسكندرية — ينفي نفياً تاماً السلطة المزعومة التي للبابا على الكنيسة الجامعة . أما هذا المبدأ فهو ابقاء العادة القديمة التي تحدد مقدار وطبيعة السلطة المخولة للكراسي الرسولية الثلاثة الاولى (الاسكندري والروماني والانطاكي) وكذلك السلطة المخولة لباقي الكراسي الرئيسية

وبمقتضى هذه العادة فان سلطة الكرسي الاسكندري تتناول مصر وليبيا والخمس المدن ، وطبيعة هذه السلطة تحتم بان لا يعتبر أسقفاً ـ في دائرة

الكرسي الاسكندري ـ من سيم بدون مصادقة اسقف الاسكندرية : وينتج من ذلك أن ملاتيوس اسقف ليكوبوليس الذي اجترأ على سيامة اساقفة في ثيبا بدون اقرار اسقف الاسكندرية ، لم يكن الا منشقاً انشقاقاً واضحاً لانه أوجد تفريقاً في الوحدة الترتيبية للبطركية الاسكندرية وذلك يعد خروجاً على النظام العام في الكنيسة .

هذا هو المعنى المقصود من القانون السادس لمجمع نيقيا بل هذا ما وضحه الآباء الـ ٣١٨ انفسهم في رسالتهم المجمعية الى الكنيسة الاسكندرية حيث يقولون : « لا يعتبر اسقفاً في المقاطعات الثلاث ـ مصر وليبيا والخمس المدن — الا الذي انتخبه الشعب وثبته اسقف الاسكندرية . »

ألم ينفِ ذلك سلطة البابا على المقاطعات التابعة لكرسي الاسكندرية وانطاكية وعلى باقي الكراسي الرئيسية ، ألم يحدّد ذلك سلطة البابا على المقاطعات التابعة لكرسي رومة ؟

(هنا جعل المؤلف الكلام على نسق محاورة بين روماني وارثوذكسي)

الروماني — ماذا تقول في القانون السادس النيقاوي : أهو ينكر سلطان البابا على الكنيسة الجامعة ؟ هاك هو نص القانون : « فلتحفظ العادة القديمة في مصر على ليبيا والخمس مدن بحيث يكون لاسقف الاسكندرية السلطة على هذه المقاطعات لان ذلك قانون وضعه أسقف رومية »

الارثوذكسي — لان ذلك قانون وضعه أسقف رومية ؟ ! من أين لك

هذا الاكتشاف الثمين ، ان مجمع نيقية لم يكتب بلغاتكم المصرية على ما أظن بل كتب باللغة اليونانية وهذا هو تعريب النص اليوناني: « فلتحفظ العادة القديمة التي في مصر على ليبيا والخمس مدن بحيث يكون لاسقف الاسكندرية السلطة على هذه المقاطعات ، بما أن اسقف روما هو أيضاً محتفظ (عنده) بهذه العادة ولتحفظ هذه العادة كذلك في انطاكية وفي سائر ابرشيات الكنيسة ، تلك الابرشيات التي تتمتع بامتيازاتها القديمة . والمبدأ العام الواضح الذي لا يحتاج الى برهان هو من يسام اسقفاً بدون مصادقة المتروبوليت (اسقف المدينة الرئيسية) فان المجمع العظيم لا يعتبره اسقفاً له هذه الصفة ويقول عن هذا الرجل لا يجب أن يكون أسقفاً . »

فليس في النص اليوناني « قانون وضعه اسقف رومة » ولكن فيه « عادة قديمة » تحدد مقدار وطبيعة السلطة التي لاسقف رومة كما تحدد مقدار وطبيعة سلطة اسقف الاسكندرية واسقف انطاكية واساقفة الكراسي العظمى الاخرى

على أن النص اليوناني غير قابل لاي معنى آخر بحيث أن كل المؤلفين في العصور الخالية حتى الغربيين منهم لم يستطيعوا أن يتصوروا المعنى الغريب الذي يحلم به الآن مؤلفوكم المصريون اولئك الذين منوا بتزوير تعليم الاقدمين وأصيبوا بتحريف نصوصهم

اني اظن أن روفينوس كان اكثر من لاهوتييكم المصريين قدرة على معرفة موضوع القانون السادس النيقاوي لانه كان كاهن كنيسة اكويلا

بايطاليا وكان معاصراً للمجمع النيقاوي . فضلا عن أنه كان حجة في المسائل الكنيسية ومن المنكبين عليها . واليك ماقاله عن ذلك القانون : « لقد قرر الآباء بان العادة القديمة يجب حفظها في الاسكندرية وفي رومة . وبمقتضى هذه العادة يكون لاسقف الاسكندرية الحكم في مصر ولاسقف رومة الحكم على الكنائس التابعة له (في كل المدن والجهات المحدقة برومة)

على أن القديس أريناوس - قبل روفينوس والمجمع النيقاوي بكثير كتب الى البابا فيكتور في غضون القرن الثاني يقول : « ولو ان سلفاءك على كرسي رومه كانوا لا يسمحون للكنائس التابعة لهم بالمحافظة على الرابع عشر من القمر — كما كان يعمل الاسيويون — الا أن هذا السلف كان على سلام تام مع اساقفة الكنائس الاخرى التي كانت تحافظ على ذلك »

وينتج صراحة من هذا ان الكنائس الشرقية وخصوصاً كنائس آسيا - غير تابعة لاسقف رومية بل لرؤساء أساقفتها .

فمنذ البدء اذن لم يكن لاسقف رومية أية سلطة على الكنائس الشرقية أو أي حق في انتخاب أو تثبيت أساقفتها لان الشعب كان ينتخب هؤلاء الاساقفة ولم يثبتهم الا رؤساء أساقفتهم

هذا هو النظام الذي حدده المجمع النيقاوي في قانونه السادس ، وهذا النظام ينفي تماماً تدخل بابا رومية في ادارة الكنائس الشرقية وغيرها وفي انتخاب وتثبيت الاساقفة الذين لا يخضعون للمقاطعة الرومانية

ولقد أوضحنا هذه النقطة ايضاحاً تاماً عند تكلمنا على ادارة الكنيسة

في القرون الثلاثة الاولى ، وسترى عند الكلام على مجمع افسس – وهو المسكوني الثالث – ان هـذا المجمع لم يفهم القانون النيقاوي السادس الا مثبتاً للاستقلال القديم في الكنائس

لقد وضح الآن أن المجمع المسكوني الاول فصل في قضيتين مختصتين بالعقيدة وبت في قضيتين اداريتين ، معتمداً في ذلك على السلطان الكلي والمعصوم التي اعطاه السيد المسيح للهيئة الرسولية وسلمه في اشخاص الرسل الى هيئة خلفائهم فلم يستند الآباء الـ ٣١٨ على سلطة باباوات رومية في العقيدة والنظام ، بل انكروا بقراراتهم وأعمالهم سلطة باباواتهم وعصمتهم الانكار كله

بقي علينا الآن تمحيص الجزء الثاني من الدعوى الرومانية وهي : هل كان المجمع النيقاوي والمسيحية في ذلك العهد يعتقدان ان القرارات التي أصدرها الآباء الـ ٣١٨ لم يكن لها قيمة أو قوة نافذة بدون تثبيت اسقف رومية ؟

ان كل الوثائق الرسمية القديمة تدل على ان شيئاً من ذلك لم يكن .

أولاً – تدل شهادة هذه الوثائق على ان المجمع المسكوني الاول والمسيحية بأسرها في ذلك العهد كانا يعتبران أن القرارات المتعلقة بالعقيدة الصادرة من هيئة نيقيا المجمعية هي من تلقاء نفسها معصومة وذات سلطان

يعني انها « لاتدع مجالاً للجدال في الايمان ، وأن المسيحيين كافة يجب

ان يعتبروها معبّرة عن النعمة السماوية وعن النظام الالهي) والسبب في ذلك هو ان (الاحكام التي نطق بها المجمع المسكوني انما هي أحكام الهية)

هذا ما جاء حرفياً في الرسالة التي أعلن بها الملك قسطنطين قرارات نيقية ، تلك الرسالة التي سنأتي على نصها فيما بعد .

فان هذه الرسالة – التي كتبت بمصادقة ان لم يكن باملاء المجمع – تعبّر عما كان يعتقده الاباء الـ ٣١٨ والعالم المسيحي في طبيعة المجامع المسكونية.

فاذاء هذا الايمان في السلطة المعصومة للمجمع المسكوني ، لا يمكن ان يكون قسطنطين او الاباء الـ٣١٨ فكروا لحظة واحدة في أن قرارات نيقية – وهي عندهم قرارات الروح القدس – كانت في حاجة الى أن يثبتها البابا لتكون مقدسة الهية . ولذلك فبمجرد النطق بها أعلنت الكنائس لتنفيذها ، ولقد أعلنها الامبراطور نفسه الى كنيسة رومية كما أعلنها لجميع الكنائس بالنص الآتي .

(وجد في المسيحية انقسام بخصوص الايمان والفصح وبخصوص مسائل أخرى . . . وبما ان الطريقة الوحيدة لارجاع الوحدة في الكنيسة هي دعوة الاساقفة او العدد الكبير منهم في مجمع ، حتى تحصل المناقشة بحضورهم في كل النقط المختلف عليها فيبدون فيها قرارهم ، لهذا السبب اجتمع اكبر عدد منهم في نيقيا وفحصت كل نقط النزاع فحصاً تاماً حتى ان الآباء المجتمعين اتفقوا الى وضع قرار واحد حسب مشيئة الله وبذلك لم يبق محل للجدال في العقيدة ولما وصل الاباء الى قضية يوم الفصح تقرر بالاجماع أن هذا العيد

يجب ان يحتفل به في كل مكان ومن الجميع في يوم واحد ، لان مخلصنا لم لم يترك لنا الا يوماً واحداً نعيد فيه تذكاراً لخلاصنا وهو يوم آلامه المقدسة وقد أراد له المجد أن تكون كنيسته الجامعة واحدة . وأن يكون أعضاء هذه الكنيسة — ولو متفرقين في جهات مختلفة ـ متحركين بروح واحدة هي ارادته الالهية . . . . . . وهكذا كان فقد بت الآباء الـ ٣١٨ وباتحاد الآراء ـ بعد مداولة تامة ـ في جميع القضايا المختلف عليها ، مشمولين بالنعمة السماوية والروح الالهي ، لان كل ما قرره الاساقفة المجتمعون اجتماعاً مسكونياً يجب نسبته لروح الله ولارادته الالهية)

ثانياً ـ هناك وثيقة ثانية هي الرسالة الخاصة التي بعث بها الامبراطور قسطنطين لكنيسة الاسكندرية بهذه المناسبة . فان هذه الرسالة تثبت ان المسيحية كانت تعتقد في ذلك الوقت بسلطة المجمع المسكوني وبعصمته . فقد جاء فيها ما نصه . (كل ما قرره الاباء الـ ٣١٨ يجب أن يعتبر حكماً الهياً... واني واثق من أنه لا يوجد بينكم ايها الاساقفة من يشك فيه أو يتردد في تنفيذه)

ثالثاً ـ وهناك وثيقة ثالثة تظهر ان مجمع نيقية كان يعتبر ان قراراته من تلقاء نفسها معصومة وذات سلطان وان هذا المجمع سهر بنفسه على تنفيذ قراراته بمجرد نطقه بها ودون ان ينتظر تثبيتها من بابا رومية. وهذه الوثيقة هي رسالة المجمع المسكوني لكنيسة الاسكندرية . تلك الرسالة التي ورد نصها في تاريخ الكنيسة لثيؤدوريتوس ، ففي هذه الرسالة اعلن الآباء

الـ ٣١٨ الى كنيسة الاسكندرية ما قرروه بشأن الايمان وبشأن انشقاق ملاتيوس بناء على نص القانون النيقاوي السادس ، فقد جاء فيها ما نصه :

(لا يجوز في المقاطعات الثلاث ـ مصر وليبيا والخمس مدن الغربية ـ أن يسام أسقف على كنيسة ما ، الا اذا انتخبه شعب هذه الكنيسة وثبته أسقف الاسكندرية) . . . . (١) فاذا كان اعتقاد الآباء الـ ٣١٨ ان قوانينهم في حاجة الى تثبيت بابوي ، فكيف جاز لهم ـ بل كيف سمحوا لانفسهم ـ ان يعلنوها للكنيسة المختصة محتمين عليها أن تعجل بتنفيذها قبل أن تصل هذه القوانين الى علم البابا ؟

فلا ريب اذن في أن الامبراطور قد تولى نشر قرارات نيقيا بمجرد تحريرها بأن اعلنها الى جميع الكنائس للتنفيذ، وكان اعلانها مصحوباً بتصريح علني يفيد ان هذه القرارات هي من تلقاء نفسها الهية ومعصومة وذات سلطان ، لان هذه هي طبيعة المجامع المسكونية . وهذا ما ينتج من الوثائق النيقاوية نفسها ومن اجماع المؤرخين المعاصرين .

فبعد ذلك ألم يكن من الغرابة أن يجسر لاهوتيوكم المصريون فيدعوا بأن الاباء الـ ٣١٨ كانوا يعتقدون بأن قراراتهم تظل بلا قيمة طالما لم يثبتها أسقف رومية ويصدق عليها ؟

الروماني . — وكيف تفسر لنا ما جاء بالرسالة التي بعث بها المجمع

(١) من له اذنان سامعتان فليسمع (المعرب)

الروماني المنعقد في عهد البابا فلكس الثالث عام ٤٨٠ الى اكليروس القسطنطينية حيث يقول !

(بناء على قول السيد لبطرس . انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ، طلب الاباء الـ ٣١٨ من الكنيسة الرومانية أن تثبت اعمالهم المجمعيه (راجع مجموعة لابيه المجلد الـ ٤)

الارثوذكسي . — ان تفسير ذلك من السهولة بمكان — بفرض صحة الرسالة اذ هناك أسباب قوية للشك في صحتها — وذلك التفسير هو ان المجمع الروماني ارتكب تزويراً تاريخياً فاضحاً كما ثبت ذلك بكل وضوح من الوثائق التي قدمتها والتي لا تحتمل الشك

أضف الى ذلك ان الرسالة المزعومة التي يقال ان آباء نيقيا طلبوا بموجبها من الرومانيين تثبيت أعمالهم لم يكن لها أثر في الوجود . ويعلم الله وحده الغرض الذي دفع اللاتين الى اختلاق رسالتين احداهما من آباء نيقيا للبابا سلفستروس والثانية من هذا الاخير الى الاباء يمنحهم فيها التثبيت الملتمس . لانه لم يبق الآن نقادة واحد حتى من الرومانيين — يجرؤ على القول بصحة هاتين الرسالتين ، فضلا عن ان اللاتينية التي كتبتا بها والخطأ التاريخي الذي حشيتا به ، يدلان دلالة واضحة على تزويرهما القبيح الفاضح . لا تنتابنك الشكوك من قولي ان البابا فلكس الثالث مع مجمعه الروماني قد أتيا تزويراً فاضحاً في رسالة يتحتم فيها الصدق محافظة على الكرامة الكهنوتية ، لانه يجب أن اقول لك ان فلكس لم يكن اول البابوات أو آخرهم في ارتكاب

مثل هذا التزوير فقد حاول البابوات زوزيموس وسلستينوس — وهما من اسلاف البابا فلكس . في أن يتغلبا على كنيسة افريقيا بأن ذكرا لها قوانين سرديكا باعتبارها القوانين النيقاوية كما ذكر نواب البابا لاون الاول في وسط المجمع الخلقيدوني قانون نيقيا السادس بعد ان حرفوه تحريفاً أوحت به الغطرسة الرومانية !

وقد ادعى البابا لاون الاول (القديس) (١) ان القانون الثالث من المجمع المسكوني الثاني (القسطنطيني) لم يرد في النسخة التي أرسلت الى الكنيسة الرومانية ، فكذب على الحقيقة . . هذا وبعد البابا فيلكس الثالث بقرون عديدة لم يعبأ البابا نقولاوس الاول وخلفاؤه بالحق ، بل عبث به فنشر الاوامر البابوية المزورة التي قام بها ايزيدورس مركاتوس بنفث سمومها في الغرب كله ، والله وحده أعلم باليد التي لفقتها وبالغرض من تلفيقها . على ان كل ذلك سيأتي الكلام عليه في حينه .

الروماني — ان النسخة العربية لقوانين نيقيا تتضمن ٨٤ قانوناً وقد جاء في القانون الـ ٤٤ ما نصه .

« كما ان للبطريرك السلطة على الاساقفة ورؤساء الاساقفة التابعين له فلاسقف رومية السلطة على البطاركة كما كان لبطرس السلطة على رؤساء المسيحية وعلى المجامع »

(١) وضع المؤلف لفظة قديس بين هلالين ولعله خشي أن يشك الناس في قداسة ذلك البابا بعد ان سجل عليه التزوير . . . . (المعرب)

الارثوذكسي — عجباً لكم أيها الرومانيون فانكم اذا لم توفقوا الى وجود وثائق رسمية تؤيدون بها سلطة باباواتكم على مجمع نيقية ولجتم بطون الكتب المزورة والمستندات المشبوهة « الابوكريفا » وأخرجتم منها ماأخرجتم. على أن النسخة العربية التي تتكلم عنها تنقسم الى قسمين: يشمل القسم الاول منها القوانين العشرين التي وضعها آباء نيقيا ويشمل القسم الثاني ٦٤ قانوناً نسبت زوراً الى المجمع المسكوني الاول

ولو ان القانون الـ ٤٤ الذي تذكره هو من قوانين القسم الثاني « المزور » فاني اسألك عما تريد أن تستنتجه من هذا النص؟ أتدعي أن الـ ٨٤ قانوناً الواردة في النسخة العربية هي كلها من عمل مجمع نيقيا؟ أم أنت تدعي ان نص القانون الـ ٤٤ جعل لاسقف رومية السلطان على جميع بطاركة الكنيسة؟

أما فيما يختص بنسبة الـ ٨٤ قانوناً الى آباء نيقية فاظنك لا تجسر عليه لان المسيحية تشهد في ذلك العهد بصوت واحد بأن المجمع المسكوني الاول لم يسن الا عشرين قانوناً لم تزل موجودة باللغة اليونانية ومنقولة بامانة في مجموعة المجامع للابيه

الروماني ـ : انا أعرف تماماً أن الـ ٨٤ قانوناً العربية ـ ما عدا العشرين الاولى ـ لم تكن من عمل مجمع نيقيا ولكن ألا يمكن أن يقال ان الـ ٦٤ قانوناً الاخيرة كانت عبارة عن مجموعة قوانين سابقة للمجمع المسكوني الاول وان

هذه المجموعة قدمت لجلسة المجمع وصدق الآباء عليها فاكتسبت الصبغة المسكونية؟

الارثوذكسي ـ كلا يا سيدي فان افتراضك هذا محال ومن له بعض المعرفة بالتاريخ الكنسي لابد أن يحكم بأن هذه المجموعة لم تكتب الا بعد المجمع النيقاوي بزمن طويل، والبرهان على ذلك ما جاء بتلك القوانين عن البطريركيات والبطاركة.. فقد قال القانون الـ ٣٧ منها ما يأتي: « لا يجب أن يكون في الدنيا الا اربع بطريركيات إذ ليس فيها الا أربع جهات أصلية وأربع اناجيل وتكون البطريركية الاولى في رومة كرسي القديس بطرس والثانية في الاسكندرية كرسي القديس مرقص الانجيلي والثالثة في انطاكية كرسي القديس بطرس أيضاً والرابعة في افسس كرسي القديس يوحنا الانجيلي: وقد نقلت هذه الاخيرة الى القسطنطينية »

واذا غضضنا النظر عن بطريركية افسس التي لم يسمع بها أحد!! فانه لا يمكننا أن نغض النظر كذلك عن لفظتي «بطريركية وبطريرك» اللتين لم تسمعا للمرة الاولى الا في المجمع الخلقيدوني واللتين لم تردا في ما كتبه آباء نيقية أو من سبقهم من آباء الكنيسة..

وفضلا عن هذا فاننا نرى النسخة العربية ـ التي يظهر ان الغرض منها كان تعيين ترتيب البطاركة الاربعة في المجامع المسكونية — تتكلم عن اسقف الحبشة. وكلنا يعلم ان الحبشة لم تعتنق المسيحية قبل المجمع النيقاوي بل بعده!!

وعليه ينتج بكل وضوح أن محرر تلك النسخة العربية لم يكن الا مزوراً وان تحريرها انما كان بعد مجمع نيقيا بزمن طويل

الروماني — : لعلك لا تنكر ان هذه القوانين موجودة عندكم (معاشر الارثوذكس) ؟

الارثوذكسي — : وماذا تريد بذلك ؟ أتريد أن تقول ان كنيستنا الارثوذكسية تؤمن بنيقاوية هذه القوانين أو على الاقل تنظر اليها كأنها جديرة بالاحترام ؟

انى اتحداك أن تذكر لي أباً ارثوذكسياً واحداً إعتقد هذا الاعتقاد فان لاهوتييكم الرومانيين بعد أن تصببت جباههم دماً وماء لم يعثروا الا على كاتبين اثنين يقولان بالطبيعة الواحدة وقد عاشا في القرن الثالث عشر وهما وحدهما القائلان بنيقاوية هذه القوانين (١)

وعلى كل حال فما تأثير ذلك على الكنيسة الارثوذكسية كنيسة المجامع المسكونية ، تلك الكنيسة التي تفرق بين الحق والباطل وتحتفظ بالقوانين النيقاوية العشرين بكل أمانة ولا تعرف لمجمع نيقية غير هذه القوانين ولم تبلغ بها السذاجة أن تنسب اليه ما كتبه آباؤها وما لم يكتبوه

(١) هما أبنا العسال وهما من أبناء الكنيسة القبطية : ولكن يجب ان يلاحظ ان عثرة هذين المؤلفين لا يمكن عقلاً ان تنسب الى تلك الكنيسة . لأنهما أجنبيان عن سلسلة درجاتها وان قولهما فى هذه المسألة لم تصدق عليه السلطة الكهنوتية عند الاقباط

لقد قلت ان هذه القوانين العربية موجودة عندنا وأردت ان تستنتج من ذلك القول اننا لهذا السبب نقدسها تقديساً ونجلّها اجلالاً :

فهل كل مايوجد بين أيدينا فهو لذلك مقدس جليل ؟ الا يجرّنا هذا المنطق المضحك الى تقديس الاناجيل المزورة بما انها بين أيدينا ولها تحمل من الاسماء الرسولية ما راق واضعيها أن يصدروها به ؟ الا تشعر بان مثل هذا الاستنتاج من البلاهة بمكان ؟ ؟ اعلم ان آباءنا الذين نبذوا الاناجيل المزورة نبذ النواة هم انفسهم الذين نبذوا القوانين النيقاوية المزورة قائلين « ان الكنيسة لم تعرف للآباء الـ ٣١٨ غير عشرين قانوناً فقط »

وهذا يكفي بصدد النسخة العربية وصحة قوانينها أما ماتدعيه من أن القانون الـ ٤٤ ينطق بسلطة بابا رومية على جميع البطاركة فلا ريب في بطله

اذ ليس فى ذلك القانون على مافيه من التزوير ظل أوشبه ظل لماتدعي بل هو على النقيض من ذلك ينفي تلك السلطة نفياً مزدوجاً : أولاً — يؤخذ من النص أن سلطة بطريرك رومية على سائر البطاركة هي من نوع سلطة البطاركة على رؤساء الاساقفة والاساقفة التابعين لبطريركياتهم . ويقول لاهوتيوكم أنفسهم فى هذا الصدد ان تلك السلطة ليست عامة ولا تخول البطريرك أن يملي ارادته على أساقفته أو يتصرف فيهم وفى كراسيهم كما يحلو له . فضلا عن ان كل القوانين الرسولية القديمة لاتسمح للبطريرك بأن يأتي أي عمل فيه شيء من الخطورة دون أن يشرك معه مجمع بطريركيته .

ومن المعقول أن يشغل البطريرك في المجمع المركز الاول ، اذ هو رئيس ذلك المجمع . ولكن ذلك لا يؤخذ منه أن أعضاء المجمع مضطرون أن يأخذوا برأيه اذ لهم حرية التصويت ، ومجموع اصوات تلك الهيئة المجمعية هو وحده الحكم الشرعي . . .

وبما أن نص القانون الـ ٤٤ ينطق بأن سلطة البابا انما هي من هذا النوع فلا تكون سلطة تامة مطلقة بل سلطة تخول للبابا الحق في أن يرأس المجمع المسكوني فقط لا أن يضع الشريعة ويسن قانون الايمان بدون وساطة المجمع الذي له وحده السلطان العام المعصوم في بيعة السيد له المجد . . . .

ثانياً — : أن القانون الـ ٤٤ بقوله ان سلطة البابا على البطاركة شبيهة بتلك التي كانت للقديس بطرس على الرسل والمجامع الرسولية — ينفي كل سلطان للبابا على الاساقفة ! ! لان سلطة القديس بطرس التي تكلمنا عنها باسهاب (في الجزأين الاول والثاني) ليس لها خاصية السيادة اذ لم يكن القديس بطرس سلطاناً على الرسل بل زميلاً لهم . . واذا كان بطرس قد رأس مجمع اورشليم ، فيفيد ذلك أنه كان رئيساً للمحكمة الرسولية لا أنه كان هو وحده تلك المحكمة

المجمع السرديكي

وتدخل البابا يوليوس في قضية اثناسيوس

الروماني — : فلنغض الطرف عن القوانين العربية بما أنها مزورة ولكن ماقولك في مجمع سرديكا وهو غير مزور على ما أظن ؟ ألم يعترف هذا المجمع — الذي تعتبره الكنيسة مسكونياً — اعترافاً صريحاً بالسيادة البابوية

الارثوذكسي — : ان أنت أيها الصديق الا الصدى الامين لمؤرخيكم العصريين ، اؤلئكم الذين يقولون لمن يقرءون مؤلفاتهم ان مجمع سرديكا مجمع مسكوني ويجعلونه تتمة لمجمع نيقيا . ولم يبق الا أن يجعلوه هو والنيقاوي مجمعاً واحداً . . فلم هذا الجنون المطبق ؟ ألأن هؤلاء المؤرخين يريدون أن يجعلوا للبابا حق الاستئناف الذي خول المجمع رفعه الى القديس يوليوس أسقف رومية في قضية الاساقفة الذين حكم عليهم من مجامع اريوسية انعقدت في جهاتهم أو في جهات مجاورة لهم ؟ ألا إنهم يريدون أن يجعلوا هذا الحق الهياً غير قابل للتحول موقوفاً على اسقف رومية يتمتع به في جميع القضايا الكنيسية ؟

ولكن هناك شهادة التاريخ تنطق بأن المسيحية لم تعتبر مجمع سريكا مجمعاً مسكونيا في عصر من عصورها ، وان حق الاستئناف الذي نصت عليه قوانين هـذا المجمع ، لايتناول جميع القضايا الكنيسية وليس هو حقاً الهياً غير قابل للتحول ، بل هو حق وقتي يشمل قضايا الاساقفة في عصر

البابا يوليوس ، وهو حق مستحدث ما لبث أن نقله المجمع الرابع الى القسطنطينية . . . واذا كانت المسيحية لم تعتبر مجمع سرديكا مجمعاً مسكونياً، فما ذلك الا لأنه انعقد سنة ٣٤٧ أي بعد المجمع النيقاوي باثنين وعشرين سنة ، فلو كانت له الصبغة المسكونية لسمته الكنيسة المجمع المسكوني الثاني ومعلوم أن الكنيسة لم تطلق هذا الاسم الا على المجمع الذي انعقد بالقسطنطينية وقرر الوهية الروح القدوس فقضى على بدعة انصار مقدونيوس . . .

هذا . ثم إن قوانين سرديكا لم تقل قط ان لاسقف رومة من الحقوق الالهية ما يخول محكمته أن تقبل استئناف القضايا الكنيسية كما زعم لاهوتيوكم المصريون . وفوق ذلك فان أحد هذه القوانين يحظر على الكهنة والشمامسة وذوي الدرجات الصغرى المحكوم عليهم فى جهاتهم أن يستأنفوا قضاياهم فى رومة ويأمرهم أن يستأنفوها في مجمع الجهة المجاورة لهم ، وذلك القانون يدل على أن مجمع سرديكا لم يكن يرمي فى قوانينه الى السلطان العام الذي يدعيه بابواتكم والذين يريدون بمقتضاه أن تنظر محاكمهم في جميع القضايا الكنيسية بلا استثناء

أما الاساقفة فان منطوق القوانين الثلاثة (الثالث والرابع والخامس) لا يشملهم بوجه التعميم بل هو خاص بالاساقفة المعاصرين للبابا يوليوس وهذا نص القانون الثالث :

« قال الاسقف أوسيوس : يجب أن ينظر أيضا في المسألة الآتية

وهي اذا كان لاحد الاساقفة قضية ضد زميل له فى الاسقفية ، فلا يرفعها أمام اساقفة ابرشية أخرى للفصل فيها ولكن للاسقف المحكوم عليه اذا وثق من حقه وأراد أن ينظر في قضيته مرة ثانية فان شئتم فلتكن الكرامة فى هذه الحالة لبطرس الرسول ، وليكتب الاساقفة الذين قضوا فى الامر أولاً الى يوليوس أسقف رومية حتى يعاد النظر فى القضية بواسطة أساقفة الابرشيات المجاورة الذين ينتدبهم يوليوس لذلك واذا كان ذلك متعذراً يصبح الحكم الاول نهائياً نافذاً . فأجاب آباء المجمع (السرديكي) انا لنجد ذلك حسناً »

وجاء فى القانون الرابع : قال الاسقف غودنسيوس . اذا حط الاساقفة المجاورون أسقفاً عن درجته وكان في حالة تمكنه من اظهار براءته ، فلا يسام على كرسيه أسقف جديد قبل أن يرفع الامر الى اسقف رومة (يوليوس) وقبل أن يبدي رأيه فيه. فأجاب الجميع انا لموافقون» وجاء في القانون الخامس قال الاسقف اوسيوس اذا حط اساقفة جهة أسقفاً عن درجته فانا نرى مناسباً أن يستأنف ذلك الاسقف قضيته أمام اسقف الرومانيين (يوليوس) اذ من العدل أن يعاد النظر فى القضية بأن يبادر الاسقف المحكوم عليه ويطلب من أسقف رومه أن يحرر الى الاساقفة المجاورين له ، مكلفاً اياهم بفحص القضية فحصاً دقيقاً ثم باصدار حكمهم فيها بما ينطبق على الحقيقة تمام الانطباق واني أرى فوق ذلك ان الاسقف الذي يريد أن يعاد النظر فى قضيته ليستطيع — ان شاء — أن يجعل أسقف رومة (يوليوس) حكماً في قضيته ، بأن

يرسل الاسقف الروماني الى الاساقفة المجاورين قضاة من قبله مزودين بتوكيل يحكمون بمقتضاه . اما اذا رأى اسقف رومة أن ذلك لا يجدي ، فعليه أن يعمل ما يراه مناسباً . فأجابه الجميع انا لموافقون » فمن هذه القوانين الثلاث ومن القانون الخاص بالكهنة والشمامسة وذوي الدرجات الصغرى ، لم يرد المجمع السرديكي الا أن يؤيد العدل بان يمنح المحكوم عليهم حقاً يمكنهم من اعادة قضاياهم امام هيئة ثانية غير الهيئة الاولى التي حكمت عليهم ، ولم يكن في نية المجمع أن يعبر عن سلطان اسقف رومة على الاساقفة المحكوم عليهم الذين يطلبون منه أن يرسل اليهم قضاة جدداً ، وكذلك لم يكن في نيته أن يعبر عن مثل هذا السلطان لمجمع الجهة المجاورة للكهنة والشمامسة وغيرهم ممن يلجئون اليه لاعادة النظر في قضاياهم التي حكم فيها مجمع جهتهم .

ويمكننا أن نفهم من قول هذه القوانين : « اذا رأيتم ذلك مناسباً » و « انا وجدنا ذلك مناسباً » أن ما نصت عليه هذه القوانين انما هو نظام حديث وليس بحق الهي بل ولا بعادة قديمة . . .

وأقطع دليل على ان هذه القوانين السرديكية ليس لها صبغة مسكونية ، وليست بمؤسسة على مبدأ ايمان ، هو مبدأ حق كنيسة رومة الالهي في اعادة النظر في القضايا الكنيسية : ولولا هذا لما رأينا كنيسة افريقيا (وهي غربية لا شرقية) — على الرغم من وجود هذه القوانين السرديكية — ترفض رفضاً باتاً الاعتراف بهذا الحق للبابا ، ولما رأيناها تحظر على

اكليروسها — من أية درجة كانوا — الالتجاء الى رومة في قضاياهم ، والا وقعوا تحت طائلة الحرم . . . (راجع قوانين المجمع الثاني المنعقد في ميليس)

هذا ولما أراد البابا زوزيموس أن يقيم للافريقيين الدليل على ما له من الحق في قبول قضايا اساقفة افريقيا وكهنتها ؛ اطلق على مجمع سرديكا اسم مجمع نيقيا ! لأنه كان يعلم أن المسيحية لا تعرف المجمع السرديكي مسكونياً !

ولكن ذلك لم يجده نفعا لان كنيسة افريقا بعد ان تأكدت من هذا التزوير كتبت الى البابا سلستينوس — وهو ثاني بابا أقيم على رومة بعد زوزيموس — رسالة مجمعية غاية في الشدة فضحت فيها الغطرسة الرومانية التي كانت قد أخذت في الظهور يومئذ . . . وقد نفت هذه الرسالة نفياً باتاً كل سلطة يدعيها اسقف رومة للتدخل في قضايا كهنة افريقا ، واليك تفاصيل هذه الحادثة التي ملكت على لاهوتييكم المصريين المذاهب وأوقعتهم في حيص بيص :

اقترح القديس أغسطينوس أن يجتمع مجمع افريقي كبير مكون من ٢١٧ أباً في قرطاجة ، ليفصل في قضية البيلاجيوسيين ، فاجتمع في أوائل شهر مايو سنة ٤١٨ وارسل اليه البابا زوزيموس نوابه وهم الاسقف فوستينوس والقسان فيليبوس وآسلوس :

وكان رئيس أساقفة افريقا رئيساً لهذا المجمع فأمر ان يبدأ المجمع

اعماله بقراءة قوانين المجمع النيقاوي المسكوني ، فاعترضه فوستينوس نائب البابا قائلاً : ان المجمع يجب أن يبدأ أعماله بما يحمله هو من التعليمات البابوية !

وبعد أخذ ورد طويلين أصر الآباء على الاطلاع على رسالة البابا التي تحوي تعليماته ،وانما أصروا على ذلك لان ذلك النائب البابوي كان قد أبى ان يلقنهم تلك التعليمات الا شفهياً !

اطلع المجمع على تلك الرسالة فألفاها منطوية على بنود أربعة : يشير البند الاول منها الى حق البابوات في قبول استئناف قضايا الاساقفة وذلك بمقتضى القوانين الـ ٣ والـ ٤ والـ ٥ من مجمع نيقيا !

ويشير ثالث هذه البنود الى قضايا الكهنة والشمامسة ووجوب استئنافها امام مجمع الاساقفة المجاورين. وذلك بمقتضى قوانين نيقيا أيضاً - وأقرب الاساقفة لكنيسة افريقيا هم أساقفة ايطاليا ولا سيما أسقف رومة !

غير ان الآباء الـ ٢١٧ عند ما سمعوا هذه الدعاوي اخذتهم الدهشة وصرخوا كلهم بصوت واحد قائلين . ان نسخ مجمع نيقيا التي بين أيدينا ليس بها مثل هذه القوانين . . ! وكان القديس أوغسطينوس جالساً في هذا المجمع بصفته نائباً عن مقاطعة نوميديا - - كما تدل على ذلك اعمال المجمع نفسه — فعرض على المجمع ان يقبل التعليمات البابوية . بصفة مؤقتة ، ريثما تثبت صحة هذه القوانين وصحة نسبتها الى مجمع نيقيا . .

أفلا يدل ذلك على ان القديس اغسطينوس وباقي اساقفة افريقيا ينبذون التعليمات البابوية اذا ظهر لهم ان القوانين التي يدعمها بها البابا ليست نيقاوية ؟ ؟ ؟ هو كذلك

وعلى ذلك قرر آباء مجمع قرطاجة السادس أن يرسل القس اينوشنسيوس الى الاسكندرية والشماس مرسيل الى القسطنطينية ليطلعا هناك على النسخ الاصلية لقوانين نيقيا . وقد بلغ هذا القرار الى البابا زوزيموس الذي مات في نفس هذه السنة (٤١٨) ثم بلغت بعده الى البابا بونيفاسيوس الاول. كما يثبت ذلك من الرسالة الآتية:

«من اوريليوس أسقف أول كرسي في مقاطعة نوميديا . ومن جميع الاساقفة المجتمعين في مجمع افريقيا وعددهم ٢١٧ . الى بونيفاسيوس السيد الكلي الغبطة والاخ الجزيل الاحترام . . . لقد طلبنا من اخوتنا الاسقف فوستينوس والقسيسين فيليبوس واسيلوس أن يوقفونا على نص النقط التي صرحتم لهم أن يتباحثوا فيها معنا . فذكروا أمامنا بعضاً منها شفهياً لا كتابة . ولكننا طلبنا منهم أن يقدموا لنا كتابة تتضمن موضوع مهمتهم. فأبرزوا رسالة اطلعنا عليها ودوناها حرفياً في أعمال المجمع — وهي الاعمال التي حملها اليكم مندوبوكم — وقد ألفينا هذه الرسالة تشمل مواد أربعاً : الاولى منها خاصة بالتجاء الاساقفة في قضاياهم الى أسقف رومة . والثالثة منها خاصة باعادة النظر في قضايا الكهنة والشمامسة امام

محكمة الاساقفة المجاورين لهم. وذلك في حالة ما اذا كان اساقفتهم قد حكموا عليهم ظلماً.

أما رأينا في المادتين « الاولى والثانية » — الخاصتين باستئناف قضايا الاساقفة برومية واعادة النظر في قضايا الكهنة والشمامسة أمام الاساقفة المجاورين — فقد أوضحنا باسهاب وبجلاء في رسالة بعثنا بها الى البابا السعيد الذكر زوزيموس في العام الماضي. فقد أعلناه بأننا سنعمل بهما موقتاً — تلافيا لاهانته — حتى تصلنا النسخ الاصلية لمجمع نيقيا.

والآن نطلب من قداستكم أن تتركونا نأتمر في هاتين المادتين بما يأمر به مجمع نيقيا، ولا تحتموا باتباع تعليماتكم الا في دائرتكم فقط واذا كانت أعمال مجمعنا (المبعوث بها اليكم) قد تضمنت هاتين المادتين فما ذلك الا ريثما ترد النسخ الرسمية للمجمع النيقاوي.

فاذا كانت هذه النسخ الرسمية التي نحن في انتظارها تتضمن ماينطبق على ما قال به مندوبو كرسيكم الرسولي فاننا لا نتأخر عن العمل بها في جهتنا اسوة بايطاليا.

ولا يخامرنا شك في تنازلكم عن هاتين المادتين اذا كانت قوانين نيقيا على غير ما يزعم الزاعمون... وقد راجعنا العدد العديد من النسخ « اللاتينية » فلم نر في واحدة منها — حتى الرومانية نفسها — ما رأيناه في تعليماتكم...

وعلى كل فبما انه ليس في وسعنا العثور على نسخة يونانية للقوانين

النيقاوية، فقد آثرنا أن نحصل على هذه النسخة من الكنائس الشرقية، اذ بها توجد النسخة الاصلية نفسها (١) ولذلك نرجوكم أن تكتبوا انتم أيضاً الى آباء هذه الكنائس — كنائس انطاكية والاسكندرية والقسطنطينية وغيرها — لكي تحصلوا لنا من هناك على القوانين التي حررها في نيقيا آباؤنا القديسون: وبذلك تكونون قد اشتركتم معنا في اداء خدمة كبيرة لجميع الكنائس الغربية بعونه تعالى: ومن ذا الذي يشك في أن نسخ مجمع نيقيا موجودة على حقيقتها عند اليونان ولا سيما اذا ثبت ان نص هذه النسخ واحد رغم جمعها من كنائس مختلفة؟

وعلى كل حال فاننا سنعمل بتعليماتكم حتى مراجعتها على النسخ الاصلية مراجعة تامة...

مات بونيفاسيوس وخلفه سلستينوس فأعاد النزاع في موضوع الاستئناف. ذلك ان القس ابياريوس — الذي كان قد قطعه اسقفه واعيد الى الكنيسة بواسطة البابا زوزيموس — قد عاد الى غيه فقطعه اسقفه للمرة الثانية... ولكنه قد سبق فعرف طريق رومية فضمه سلستينوس الى حضنه (٢) كما فعل زوزيموس من قبل وأرسله الى افريقا برفقة الاسقف فوستينوس

(١) ليمجد القارىء ذكر الكنائس الشرقية وفي مقدمتها « الام صهيون » Gmorf uar « المعرب »

(٢) لعل الذين يقرءون هذه الرسالة من اخواننا الاقباط الكاثوليك يرحمون على البابا بيوس العاشر والمؤلف والقس يوسف الطوخي (المعرب)

بصفته نائباً عن البابا، ليضطر اساقفة افريقا الى قبول هذا القس المقطوع. فوصل المندوب البابوى ايباريوس في مجمع قرطاجة السابع. ولكن هذا القس – بعد نزاع شديد دام ثلاثة أيام بين آباء المجمع والمندوب البابوي – أقر معترفاً بجميع الجرائم التى ارتكبها والتي قطع من أجلها. وكان ذلك بحضرة فوستينوس الذي وقف مبهوتاً خجلا!

وعند ذلك ارسل مجمع افريقا برياسة اوريليوس رسالة مجمعية الى البابا سلستينوس هذا أهم ما جاء بها:

نرجوكم من الآن فصاعداً ان لا تصغوا الى الذين يذهبون اليكم من هنا، والآن لا تقبلوا في شركتكم اولئك الذين قطعناهم من شركتنا لانكم تعلمون ان هذه هي ارادة المجمع النيقاوي. فاذا كان هذا المجمع لا يسمح بمثل هذه الفوضى لصغار الاكليريكيين وللعالميين. فمن باب أولى أن تكون هذه ارادته بالنسبة للاساقفة....

وهكذا لا يمكن ان يقال أن الاكليريكيين الذين أوقفوا في ابرشياتهم (مقاطعاتهم) عن اداء وظيفتهم (لجرائم ارتكبوها). يقبلون في شركة قداستكم: اهمالاً ورعونة وظلماً.... لتذكر قداستكم ان استئناف قضايا الكهنة والشمامسة مخالف للنظام العام. وانه لا يوجد قانون ينقض ما هو متبع في كنيسة أفريقا. فضلا عن ان قرارات نيقيا صريحة في احالة الكهنة والاساقفة أنفسهم الى رؤساء الاساقفة وقد حكم آباء نيقيا حكما صريحاً ان لا يفصل في القضايا الا حيث نشأت. لان نعمة الروح القدس

انما هي حالة في كل ابرشية. تلك النعمة التي تجعل أحبار السيد المسيح يفحصون القضايا بكل دقة وينشرون لواء العدل في كل حين...

هذا واذا رأى المحكوم عليه انه ظلم في المحكمة الاولى، فله أن يلجأ الى مجمع ابرشيته بل الى المجمع المسكوني عند الاقتضاء.

فلا يأخذن أحداً الغرور فيقول: ان الله يلهم العدل في الحكم شخصاً معيناً ويضن به على آلاف الاحبار المجتمعين في المجامع....

على أنه يهمنا جداً أن تفهموا ان هناك ما يحول دون صحة الحكم الصادر فيما وراء البحار (في رومية) فقد لا يستطيع الشهود في القضية أن يحضروا أمام محكمتكم: لضعف أو لشيخوخة أو لاية علة أخرى.....

أما ايفادكم الينا من ينوب عنكم: فهذا – على ما نعلم – لم يشترعه مجمع الآباء. لان ما ورد برسالتكم التي حملها الينا شريككنا في الاسقفية فوستينوس – كأنه من قوانين مجمع نيقيا – لم نجد له أثراً في النسخ الرسمية لهذا المجمع: تلك النسخ التي استلمناها من الكلي القداسة كيرلس اسقف كنيسة الاسكندرية [1] ومن جزيل الاحترام أتيكوس حبر القسطنطينية

واخيراً نرجوكم ثم نرجوكم أن تفرقوا بين الكاهن والمحضر! فلا تبعثوا الينا بكهنتكم في كل قضية. حتى لا يقال اننا ندخل العظمة العالمية الكاذبة في كنيسة المسيح التي تؤثر أن ترى من رام أن يرى الله نور البساطة وضوء

(١) هو البابا الاسكندري الـ ٢٤ الذي رأس المجمع الافسي المسكوني الثالث (المعرب)

التواضع (راجع مجموعة لابيه ٢ المجلد الـ ٢)[١]

هذا بعض الرسالة التي بعث بها اوريليوس الافريقي الى سلستينوس الروماني ، ولقد آن الاوان لان تخاطب أسقف رومية ـ وقد نفد الصبر ـ بمثل هذه اللهجة صراحةً وشدة . . أما سلستينوس البابا فرأى ان الحيطة خير له وابقى ؛ فاعتنقها ولم يتعرض للرد على هذه الرسالة ؛ وهكذا انتهى الامر . . .

الروماني ـ : لاتنس أن القديس اغسطينوس لم يوقع على هذه الرسالة المجمعية التي بعث بها مجمع قرطاجة السابع الى البابا ؛ ولماذا ؟ لانه بلا شك أعلم أساقفة افريقا واكثرهم حزماً فلم يشأ ان يصادق على رسالة تنكر على البابا سلطة تدخله في قضايا الاساقفة وغيرهم من اصحاب الدرجات الكنيسية .

والدليل على ذلك انه ـ قبل هذا التاريخ بقليل ـ لم يعارض في الاستئناف الذي رفعه انطوان دي فوسال كما يتضح ذلك جلياً من رسالته الى البابا سلستينوس . .

الارثوذكسي ـ : ان هذا الاعتراض الذي يقدمه لاهوتيوكم المعصريون ليس باعتراض علمي ولا جدي . لان اسم القديس اغسطينوس اذا لم يكن بين اسماء الذين امضوا رسالة مجمع قرطاجة السابع ؛ فالسبب في ذلك بسيط جداً وهو أن هذا القديس لم يشترك كليةً في هذا المجمع ولا يرجع السبب

(١) هو فيليب لابيه « سنة ١٦٠٧ ـ ١٦٦٧ » من جماعة الجزويت ، واليه تنسب مجوعة المجامع المطبوعة باليونانية واللاتينية (المعرب)

في عدم اشتراكه في المجمع الى رفضه الموافقة على تلك الرسالة أو امضائها بما أن امضاءه يرى بارزاً في جلسة المجمع الثاني العلنيـة التي تليت فيها تلك الرسالة بحضرته وبحضرة جميع الاساقفة الذين لم يشتركوا في مجمع قرطاجة السابع . . وهذا الحادث مذكور بنوع خاص في اعمال المجمع الافريقي المنعقد في عهد البابا سلستينوس

اضف الى ذلك ان القديس اغسطينوس لم يكن في وسعه الا أن يصادق على هذه الرسالة التي لم تكن لتتضمن الا تنفيذ ما اقترحه هو في مجمع قرطاجة السادس ، وكان مودى هذا الاقتراح أن يعمل ـ بصفة مؤقتة ـ بالمادتين الواردتين في رسالة البابا والخاصتين باستئناف قضايا الاكليروس ، حتى تراجع نسخة البابا على النسخة النيقاوية الاصلية . وان يضرب صفحاً عن هاتين المادتين اذا ثبت أن البابا ارتكب تزويراً في أهم الوثائق الكنيسية . . .

أما الجزء الثاني من الاعتراض فليس له أقل أهمية لانه اذا لم يعترض القديس اغسطينوس على الاستئناف الذي رفعه انطوان دي فوسال ، فذلك لان الاستئناف المذكور حصل ـ باقراركم ـ قبل مجمع قرطاجة السابع ، وهو المجمع الذي استلم لاول مرة القوانين الاصلية لمجمع نيقيا من الكنائس الرسولية الشرقية

وعليه يكون هذا الحادث قد وقع في الوقت الذي كان اساقفة افريقا يعملون فيه بصفة مؤقتة بما ادعاه البابا بشأن الاستئناف ، حتى اذا ظهر

فساد هذه الدعوى عند مراجعتها على النسخ الاصلية للقوانين النيقاوية الشرقية أغفلت اغفالاً ..

هذه هي الحقيقة التاريخية الواردة في اعمال مجامع افريقا .. وهي تصرح بأن القديس اغسطينوس وجميع اساقفة افريقا الغربية لم يكونوا في النصف الاول من القرن الخامس — يعتقدون بسلطان للبابا أو بحقوق له الهية ، بل انهم على النقيض من ذلك قد رفضوا رفضاً باتاً حق تدخله في القضايا ، ونصحوا له أن لا يدخل العظمة العالمية الكاذبة في بيعة المسيح . تلك البيعة التي يجب أن تسير في ضوء التواضع ونور البساطة .. !

وانما تدل جميع حوادث هذه الرواية على ان قوانين سرديكا الخاصة بالاستئنافات لم يكن لها اصلاً صفة مسكونية ولم تكن قط معتقداً للكنيسة او حقاً الهية لاسقف رومية

ومما يؤكد ان الكنيسة الجامعة لم تعتقد لحظة واحدة بهذا الحق الالهي هو ان آباء المجمع الخلقيدوني الـ ٦٣٠ قد نقلوا الى القسطنطينية الامتياز الخاص بالاستئناف والخول لكرسي رومة بموجب قوانين سرديكا ..

لقد ذكرنا في مكان آخر النص الخاص بهذا النقل ونكرره هنا وهو « اذا كان لكاهن قضية على اسقفه أو على أسقف آخر فليقاضه امام مجمع مقاطعته واذا كان لاسقف أو لكاهن شكوى ضد رئيس اساقفته فليرفع قضيته امام كبير الابرشية أو امام كرسي مدينة القسطنطينية الامبراطورية »

ولم ينكر البابا نيقولاوس الاول شرعية هذا القانون التاسع لمجمع

خلقيدونية ولا قيمته القانونية ، بل بلغه في خطابه الى الامبراطور ميشيل بالنص الآتي :

« ان المجمع الخلقيدوني المقدس — بقوله لصاحب الظلامة أن يتظلم »
« أمام كبير الابرشية — قد وضع المبدأ أو القاعدة . وباضافته أداة »
« التخيير (أو) الى كرسي مدينة القسطنطينية الامبراطورية ، فقد »
« منح تخييراً فقط . . . ولكن ماذا كان يقصد المجمع المقدس بكبير »
« الابرشية [1] ان لم يكن خليفة الرسول الاول (أسقف رومة) فهذا »
« هو — في الحقيقة — الكبير الذي يجب أن يكون الاول والاسمى »

وهكذا لما لم يستطع البابا أن ينكر القانون التاسع لمجمع خلقيدونيا — الذي جعل درجة كرسي القسطنطينية آخر درجة في القضاء الكنيسي — اتى بهذا المنطق ليبقى امتياز رومة القديمة على ما كان عليه !

على ان قول النص : « كبير الابرشية » لم يرد به المجمع المسكوني الرابع الا مايفهم منه عادة ، وان سفسطة البابا نقولاوس المضحكة لا يمكن أن تجعل بابا رومة هو المقصود به ، اذ من المؤكد أن القانون الخلقيدوني

---

(١) كانت الكنيسة — كالامبراطورية الرومانية — مقسمة الى ابرشيات على رأس كل منها « كبير ابرشية » وكل ابرشية مقسمة الى مقاطعات على رأس كل منها متروبوليت وكل مقاطعة مقسمة الى عدة مدن على رأس كل منها اسقف وعليه فكبير ابرشية الشرق كان أسقف انطاكية وابرشية افريقا الغربية اسقف الاسكندرية . وكان على افريقا الغربية اسقف قرطاجة وعلى آسيا أسقف افسس الخ الخ

التاسع قد رتب درجات القضاء الكنيسي ، بأن جعل محكمة المقاطعة هي محكمة أول درجة ، وكبير الابرشية محكمة ثانى درجة . وجعل حكم كرسي القسطنطينية هو حكم آخر درجة دون أن يذكر شيئاً عن محكمة رومة القديمة . !

الروماني — : اذا لم يكن للبابا كما تقول حق الهي في استئناف قضايا الاساقفة ، واذا كان هذا الحق قد منحه اياه مجمع سرديكا لحادثة معينة . فكيف تفسر مسلك القديس اثناسيوس الرسولي الذي ـ بعد أن حكم الشرقيون باسقاطه عن كرسيه ـ استأنف ذلك الحكم الظالم امام محكمة البابا يوليوس وما قولك في البابا يوليوس الذي قبل استئنافه واعاده الى كرسيه بمحض سلطته ؟ ألم يكن البابا قد أتى ذلك ـ كما يقول سقراط ـ «١» (في تاريخه ك ١١ ق ٨) وسوزومينوس (في تاريخه ك ٣ : ٥) ـ معتمداً على قانون كنيسي يحظر على الكنائس أن تقضي في شيء بدون مصادقة اسقف رومة ؟

ان هذا الحادث التاريخي كان سابقاً لمجمع سرديكا بل كان السبب المباشر لعقده على ما نظن . فما قولك ؟

الارثوذكسي — : فلنبحث هذه النقط واحدة واحدة لنظهر الحقيقة التاريخية ناصعة ، ونزيل عنها ذلك القناع الذي يحلو لمؤرخيكم الرومانيين أن يحجبوا وجهها به :

ان من يسمع ان الشرقيين قد حكموا باسقاط القديس اثناسيوس عن

(١) مؤرخ كنيسي توفي سنة ٤٠٠ م .

كرسيه ، يتوهم ان جميع الكنائس الشرقية قد دنست يدها بهذا الظلم ، وما ذلك الا محض كذب وافتراء . . فالقديس اثناسيوس أسقطه مجمع صور لاول مرة سنة ٣٣٥ كمرتكب لثلاث جرائم : هي تدنيس المقدسات والقتل والزنى ثم اسقطه مجمع انطاكية سنة ٣٤٠ لرجوعه الى كرسيه بغير مصادقة المجمع ولكن لم يكن بين جميع اساقفة المجمعين المذكورين اسقف واحد تابع لبطريركية الاسكندرية بل ولا اسقف واحد تابع للكنائس الرسولية التي في قبرص وكريت ومقدونيا وأخائيا وبلاد اليونان الخ الخ . اما اساقفة انطاكية فلم يكن منهم في المجمعين الا الاساقفة الاوسابيوسيون الذين انقادوا لاوسابيوس أسقف نيكوميديا وهو اكبر أنصار اريوس : على أن هؤلاء الاساقفة الاوسابيوسيين انفسهم لم يكونوا الأقلية لاتذكر بالنسبة لابرشية الشرق الواسعة النطاق . . فالقول اذاً بأن القديس اثناسيوس حطه الشرقيون عن كرسيه ، فرية بل تلاعب بالالفاظ تعمد به ايهام السذج بأن جميع الكنائس الشرقية قد لطخت يدها بهذا الظلم الشائن ، ومع أن ضد اثناسيوس ، لم يكونوا الا الاوسابيوسيين الذين سموا شرقيين لخضوعهم لبطريركية انطاكية التي كانت تسمى ابرشية الشرق . .

يحلو لمؤرخيكم ان يذكروا ظلم الشرقيين . . ولكنهم يتعمدون ألا يذكروا أن هناك اسقفين غربيين (اورزاس وفالانس) وانهما هما اللذان ـ وضعا للاوسابيوسيين الشرقيين كل الاسباب التي بُني عليها هذا الظلم .. !

ان هذين الاسقفين الغربيين هما اللذان — عند انعقاد مجمع صور —

ذهبا الى مربوط لاجراء تحقيق قانوني عن الجرائم المنسوبة الى القديس اثناسيوس ، وهما اللذان حررا محضراً قررا فيه ادانة اسقف الاسكندرية

على أن هذا الحادث لم يكن القديس اثناسيوس هو الوحيد الذي شهد به على الاريوسيين (٢٩ و ٣٩ و ٤٠) ، بل هناك ايضاً البابا ليباريوس فقد اعترف به في حديثه مع الامبراطور قسطانس (١) وكذلك الاسقف اوسيوس في رسالته الى هذا الامبراطور (٢) وأخيراً الاسقف أبيفانيوس في مؤلفه عن الهرطقات (٣)

ان ما يسمى كذباً على التاريخ ، انما هو الصورة التي يصورها مؤرخوكم الشرق كله مقاوماً الايمان الارثوذكسي ، وواقفاً في وجه القديس اثناسيوس الرسولي . . . فلا ريب في ان مجموع الكنائس الرسولية الشرقية قد ظل

(١) نقل تيؤدوريتوس (ك ٢ ف ١٦) حديث ذلك البابا فقال : انما حكم مجمع سرديكا على مندوبي مجمع صور ، بسبب سلوكهم المعيب في هذه القضية .. على أن اولئك المندوبين قد قدموا للمجمع السرديكي مذكرات طلبوا فيها الصفح عما اقترفوه . اذ قد حرروا في مربوط محاضر أملتها الاغراض لتكون أساساً اتهم مزورة »

(٢) قال اوسيوس : « والآن ياقسطانس ، لماذا تصغى الى اورزاس وفالانس بعد أن ندما واعترفا كتابة بتزويرها : لقد اعترفا بذلك بمحض ارادتهما و بلا ضغط أياً كان . ولو انكرا ذلك الآن . . . »

(٣) قال أبيفانيوس أسقف قبرص — : « بعد أن ندم اورزاس وفالانس قدما ليوليوس أسقف رومية رسالة استغفار ، طلبا فيها العفو عما جنت أيديهما قائلين : لقد كنا المدبرين لما حصل ضد البابا اثناسيوس » !) وليلاحظ القراء ان هذين الاسقفين الغربيين المجرمين يطلقان على اسقف الاسكندرية لقب بابا ..)
(المعرب)

اميناً على دستور الايمان النيقاوي : رغم الضغط الشديد الظالم الامبراطوري يؤيد ذلك ، آباء المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني ، في رسالتهم المجمعية التي بعثوا بها الي مجمع رومة المنعقد في عهد البابا داماسوس

وفضلاً عن ذلك فان العدد العديد الاجزل ممن كانوا يرفضون عبارة: « المساوى في الجوهر » ، انما كانوا يرفضونها لا لينكروا مساواة الاب للابن في الجوهر . بل ليقاوموا مرسيلوس اسقف انقره واشياعه الذين استندوا الى هذه العبارة ليجعلوا الآب والابن روحاً واحداً . . . وقد نفى القديس اثناسيوس والقديس ايلاريوس (١) كل علاقة لهؤلاء بالاريوسيين

هذا وان صورة الايمان التي حررها هؤلاء الشرقيون في مجمعهم المنعقد بأنقره ، لم تكن الا على نقيض الصورة التي حررها مجمع سيرميون الثاني برياسة الامبراطور قسطانس : فان مجمع انقره قد حرم كل الذين يقولون بان الابن مخلوق وانه ليس بابن حقيقي لله وانه ليس ابناً بالطبيعة مولوداً من جوهر الله نفسه . . . على ان القديس اثناسيوس بحكمته الرسولية ، قد توصل الى التوفيق بين صورة ايمان هؤلاء الاساقفة وبين العبارة النيقاوية « المساوي في الجوهر » كما يقول هو نفسه في رسالته الى الانطاكيين . وليلاحظ هؤلاء المؤرخون الرومانيون ـ الذين يزيفون التاريخ

(١) هو اسقف بواتييه بفرنسا ، وقد كان هذا الاسقف الغربي من الابطال الذين انجبتهم الارثذكسية تجلت ارثوذكسيته فى لعنه البابا ليباريوس لعناً مثلثاً لاعتناقه الاريوسية وانكاره لاهوت المسيح (المعرب)

ليتهموا الكنائس الرسولية الشرقية بما هي براء منه - ان مجموع الكنائس الغربية قد جحد الايمان الارثوذكسي بعد ان نبذ صورة ايمان نيقيا وانفصل عن شركة القديس اثناسيوس ، وقبل صلث البدعة الاريوسية بل وارتمى في احضان الاساقفة الاريوسيين انفسهم !!!

على ان الكنائس الغربية لم تجحد الايمان مرة واحدة بل ثلاث مرات :

الاولى سنة ٣٥١ وذلك في مجمع ارلس حيث كان فنسنتوس أسقف كابوا نائباً عن البابا ليباريوس : فان هذا الاسقف ومعه جميع الاساقفة الغربيين قد نزلوا على ارادة الامبراطور قسطانس وحكموا على القديس اثناسيوس بالاجرام وقرروا ارثذكسية الاساقفة الاريوسيين ! (١)

والثانية سنة ٣٥٥ وذلك في مجمع ميلانو حيث صدق ٣٠٠ أسقف غربي على خلع القديس اثناسيوس وقبول الاريوسيين في شركة الكنيسة ولم يفضل العذاب وآلام النفي على جحود الايمان ودوس العدل من هذا العدد الكثير ، الا ثلاثة اساقفة: هم أوسابيوس اسقف فرسايل وديونيسيوس أسقف ميلانو ولوسيفورس اسقف كاجلياري

والثالثة سنة ٣٥٩ وذلك في مجمع ذعيني الشهير حيث اجتمع ٤٠٠ اسقف غربي : ثمانون منهم من الاريوسيين والباقون من الارثوذكسيين وقد آل الامر بهم (الا ١٨ منهم) الى جحد دستور الايمان النيقاوي . والتوقيع على

(١) ولم يعبأوا بقول الكتاب : « يجب ان يطاع الله أكثر من الناس . . . » (المعرب)

خلع اثناسيوس والاعتراف بارثذكسية الاريوسيين .

اضف الى هذا الالحاد — الذي ارتكبه مجموع الاسقفية الغربية — الحاد البابا ليباريوس نفسه بصفته أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة في الغرب كله (١) فان ليباريوس هذا بعد ان سئم آلام النفي مدة سنتين وتاقت نفسه الى ان يعود الى التربع على كرسي رومية الكبير . . . جحد ايمان نيقيا وقطع القديس اثناسيوس من شركة الكنيسة واعتنق الاريوسية . . . . (٢)

ان بعض مؤرخيكم العصريين — عندما شعروا بأن الكبوة التي كباها ليباريوس تضايقهم في تقرير العقيدة التي تجعل لبابا رومية المركز الالهي الذي - على زعمهم - لابد منه للمحافظة على وحدة الكنيسة أخذوا يجادلون في صحة هذه الكبوة ! ولكن فاتهم أنها مثبوتة ثباتاً لا يدع مجالاً للمجادلة والمهاترة .

والدليل الاول على صحة هذه الكبوة : رسائل ثلاث للبابا ليباريوس نفسه (٣) والثاني - شهادة شاهدين لا ترد لهما شهادة ، هما القديس

(١) اما الكنائس الرسولية في الشرق فكثيرة جداً بشهادة كتاب الله نفسه (اورشليم وانطاكية وكنائس افسس السبع وأثينا وقبرص الخ الخ) ، فاذا جاء على الكنائس حين من الدهر انشقت فيه - فهل يكون المجموع هو الذي انشق من الفرد ؟؟ (المعرب)

(٢) فتجلت فيه العصمة الفاتيكانية ! (المعرب)

(٣) حفظ هذه الرسائل الثلاث القديس ايلاريوس في مؤلفه عن المجامع - : الاولى لاريوسيي الشرق : والثانية لزعماء الاريوسيين الغربيين الثلاثة : فالانس

اثناسيوس والقديس ايلاريوس . والثالث — اعتراف الكنيسة الرومانية اعترافاً عاماً مستمراً ، يضاف اليه اعتراف الغرب كله منذ القرن الخامس حتى آخر القرن السادس عشر (١)

هذه هي الحقيقة التاريخية للبدعة الاريوسية . ومنها يتضح بجلاء ان الكنيسة الرومانية — ومعها الغرب كله قد تواطأت مع الاريوسيين على هدم القديس اثناسيوس الذي تتجلى فيه الارثوذكسية النيقاوية ، وان الكنيسة الشرقية كانت دائماً المستودع الامين للمسيحية واكبر نصير للارثوذكسية . . .

وأوزراس وجرمانوس :— والثالثة لفنستوس أسقف كابو : وفي هذه الرسايل الثلاث مثبوت ان ذلك البابا البائس قد جحد الشركة مع اثناسيوس وتبرأ منه وقرر انه انما كان يدافع عنه جهلاً ! ! ثم انضم الى شركة الاريوسيين وجاهر بموافقته على عقيدة ايمانهم ؟ واخيراً رجا اصحابه الجدد ان يتوسلوا لاجله لدى الامبراطور حتى يرده الى كرسيه في القريب العاجل ! ! (راجع ايلاريوس في « الجامع » الجزء السادس من صفحة ١٣٣٥ الى ١٣٤٠)

(١) في بدء القرن الخامس تكلم القديس ايرونيموس عن البابا ليباريوس : وذلك في كتابه : « مشاهير الرجال » ف ٩٧ « وفي جدوله للازمنة » عن سنة ٣٥٤ : على ان هذه الكبوة مثبوتة في ثلاثة كتب قديمة رومانية الاصل : — يرجع تاريخها على رأي الكردينال هرجينروزر الى القرن السادس على أقل تقدير — وهي حياة البابوين ليباريوس وفيلكس الثاني ، وأعمال القديس فيلكس الثاني البابا المستشهد في أيام قنسطانس ، وتاريخ الشهيد القديس اوسابيوس في أيام البابا ليباريوس وفي القرن العاشر كان كفر ليباريوس شائعاً في الكنيسة الرومانية وفي الغرب كله حتى ان الكاهن اللاتيني أوكسيليوس في كتابه (الدفاع عن البابا فرموز ضد البابا سرجيوس) كتب — دون ان يخشى تكذيباً — ما نصه : : من ذا الذي يجهل ان

تدعون بعد ذلك ان القديس اثناسيوس — بعد ان حكم عليه مجمع صور واسقطه عن كرسيه — استأنف هذا الحكم للبابا يوليوس : وان ذلك البابا قبل استئنافه ورده الى كرسيه بمحض ارادته . . .

تدعون ذلك لتشحنوا ادمغة السذج بخرافات ما انزل الله بها من

ليباريوس قد انغمس في الهرطقة الاريوسية ، وان سلوكه كان سبباً لاكبر الفظائع » وفي القرن الثاني عشر — لما أراد انسلوس اسقف هافيلبرج (الكاتب الغربي) أن يثبت لليونان خطأهم في اعادة عماد اللاتين الذين يعودون اليهم — لم يجد مستنداً أقوى من قوله : « ولو ان ليباريوس قد سلم بهرطقات كثيرة ، الا انه مع ذلك رفض أن يعاد عماده رفضاً باتاً »

واخيراً في (القرن السادس عشر) لم يكتف الكردينال بارونيوس بأن يسجل على ليباريوس الهرطقة واثارة الحرب الدموية على الارثوذكسيين ، بل قال صراحة في « جدوله للازمنة » عن سنة ٣٥٧ رقم ٤١ : « لا يمكن ان يوجد تاريخ اصدق من هذا » : : :

غير انه في أوائل القرن السابع عشر قام بعض المؤرخين الغربيين — لا كلهم — مدفوعين بعوامل لاهوتية . . ! وجاهروا باشتباههم في صحة هذا الحادث التاريخي ولم ذلك ؟ لانه يتنافر مع تعليمهم عن البابا بانه المركز الالهي الذي لابد منه للمحافظة على الوحدة الكنيسية ، وانه هو الصخرة التي بنى المسيح كنيسته عليها : والفرد الذي وعده المخلص بعدم تزعزع ايمانه : والذي كلفه بتثبيت اخوته . (وليتهم قالوا : لتضليلهم) .

هذا ، وليلاحظ ان مؤرخي الغرب — ابتداء من المجمع الفاتيكاني الذي نادى بعصمة البابا سنة ١٨٧٠ — اخذوا ينكرون علناً حقيقة الكبوة الليباريوسية او يسدلون عليها الحجب الكثيفة ! ! ولكن هل هم ملومون فيما يأتون ؟ كلا ، لان ايمانهم الحديث يضطرهم الى ذلك : وللضرورة أحكام

سلطان ، اذ يتوهمون أن مجمع صور هو المحكمة المختصة بالنظر في قضية اثناسيوس وبعزله ، وان المحكوم عليه كان في حاجة الى استئناف هذا الحكم ولكن من المقرر الثابت ان الاساقفة الذين تألف منهم هذا المجمع لم يكونوا ليملكوا حق مقاضاة اثناسيوس وعزله . لان اسقف الاسكندرية — بصفته اسقفاً لكرسي رسولي هو ثاني الكراسي الرسولية في الكنيسة — لا يمكن قانوناً أن يقاضيه ويحكم بعزله الا مجمع بطريركيته المؤلف من مجموع أساقفته الارثوذكسيين ، أو المجمع المسكوني . ولم يكن اساقفة مجمع صور من الهيئة الاولى ولا الثانية . . لذلك لما رأى القديس اثناسيوس ان المحكمة التي نصبت نفسها لمحاكمته غير مختصة ، بادر الى الانسحاب منها . غير أن مجمع صور لم يمنعه انسحاب اثناسيوس من أن يصدر حكمه عليه غيابياً وهو يقضي بخلعه من كرسي الاسكندرية

على ان القديس اثناسيوس لم يستأنف هذا الحكم كما تدعون ولكنه — كما يقرر ذلك هو نفسه — ذهب تواً الى القسطنطينية وتظلم للامبراطور قسطنطين من الحكم الباطل الصادر ضده ومن المحكمة المغتصبة التي اصدرته ولما كان الاوسابيوسيون قد اوغروا صدر الامبراطور على اثناسيوس — حيث اتهموه بانه حاول ان ينشر المجاعة في القسطنطينية بمنعه المؤونة التي ترد اليها من الاسكندرية — نفاه الى مدينة تريفاء ، ولم يحتج البابا يومئذ على هذا الظلم !! غير ان قسطنطين — وهو على فراش الموت — ندم على ما جنته يداه . فأوصى ابنه (قسطنطين الصغير) ان يكفر عن تلك الجناية

ويرد العدل الى نصابه : وقد نفذ الامبراطور الجديد ارادة ابيه الاخيرة وأعاد اثناسيوس الى كرسيه سنة ٣٣٨ . . .

ان الاحتقار الذي قابل به الأسقف الاسكندري مجمع صور وحكمه الباطل ، قد أثار سخط الاوسابيوسيين ، فاجتمعوا في انطاكية سنة ٣٤٠ واسقطوه عن كرسيه للمرة الثانية لانه — على زعمهم — عاد الى كرسيه بدون تصريح مجمع آخر . ولم يكفهم خلعه بل عينوا غريغوريوس أسقف كبادوكية خليفة له : وكان غريغوريوس هذا حائزاً لثقة الامبراطور قسطانس ولرضاء الاوسابيوسيين ، فدخل الاسكندرية مسلحاً واستولى بالقوة على العرش البطريركي !

ورغم هذا الاغتصاب لم يفكر اثناسيوس في أن يستأنف حكم الاوسابيوسيين للبابا : ولكنه بادر فكتب « رسالة دورية » الى جميع اساقفة الكنيسة الجامعة انبأهم فيها بما حلّ بكنيسة الاسكندرية ، وأوقفهم على أسماء الظلمة الغاصبين . . .

قال اثناسيوس في هذه الرسالة الدورية مخاطباً جميع الكنائس التي تحت الشمس (لا كنيسة روما وحدها) : « ان قضية كنيسة الاسكندرية انما هي قضية الكنيسة الجامعة بأسرها » . وقد طلب منهم أن يتدخلوا في الامر بهذا الاعتبار . ولكي يقرر طبيعة طلبه قال : « انه في موقفه هذا يشبه الرجل الاسرائيلي الذي — عند ما رأى أن شرف امرأته قد اهين — قسم جسدها الى اثني عشرة قطعة . بعث بها الى اسباط اسرائيل الاثني

عشر وطلب من الجميع أن يتحدوا وينتقموا من الجاني انتقاماً عادلاً . فيغسلوا بذلك الاهانة الكبرى التي لحقت بجميع النساء في شخص امرأته . . ! »

هذا ولو صح افتراض الرومانيين وكان البابا معتبراً القاضي الاعلى في القضايا الاكليريكية ، أفلم يكن الواجب ـ منطقياً ـ ان يطلب اثناسيوس تدخل البابا وحده ، ولاسيما أن البابا يوليوس كان على علم بقضيته منذ سنة مضت ؟ ؛ ثم أن القديس اثناسيوس لم يكن هو الذي ادخل البابا في قضيته ، وانما أدخله الاوسابيوسيون أنفسهم ، لا لانهم كانوا يعتقدون بسلطانه ـ الذي انكروه قولاً وعملاً ـ بل لانهم كانوا يأملون أن يكسبوه لجانبهم ويخرطوه في صفهم . .

كل ذلك رواه اثناسيوس في مؤلفه : « تاريخ الاريوسيين » في السنة التاسعة والثلاثين والثلاثمائة ، أي بعد رجوعه الى كرسيه بسنة كاملة . .

عدد الاوسابيوسيون للبابا يوليوس الجرائم التي رأى مجمع انطاكية أن يتهم اثناسيوس بارتكابها ؛ وأعلموه بأن الواجب يقضي عليه بأن يقطع الشركة مع ذلك الاسقف المعزول . ولما كان البابا ـ على ما يظهر ـ يجهل جميع هذه الحوادث التي كان قد مضى عليها خمس سنوات كاملة . أحال القضية كلها الى اثناسيوس نفسه . . فماذا قابل اثناسيوس سلوك البابا ؟ وماذا كان جوابه عليه ؟ انه عمد فجمع مجمعاً من أساقفة مصر . وماذا عمل آباء هذا المجمع عند وقوفهم على التهم الموجهة الى اسقفهم ؟

هل خطر ببالهم أن يكتبوا الى البابا ليحيل قضية اسقفهم الى محكمته

العليا ؟ كلا بل كتبوا « رسالة دورية » الى جميع أساقفة المسيحية يعلنونهم فيها ببطلان وتلفيق التهم الموجهة الى اسقفهم . ولكن الاوسابيوسيين قد خشوا وقع هذه الرسالة ، ولكي يقللوا من شأنها ويخففوا وطأتها ، ارسلوا الى البابا يوليوس وفداً ناطوا به ابلاغ البابا انهم أصدق من المصريين حكماً غير أن هذا الوفد قد التقى في رومية بوفد آخر للقديس اثناسيوس . فاتفق الوفدان ـ بعد أخذ ورد ـ على أن يعقد أسقف رومية مجمعاً جديداً للفصل بينهما وبينما كان يعقد ذلك الاتفاق الثنائي في رومية . اجتمع الاوسابيوسيون بانطاكية وعقدوا هناك مجمعاً حكم بعزل اثناسيوس ـ على ماتقدم ـ

ولقد قال اثناسيوس في تاريخه عن « الاريوسيين » : « لما عقد هذا الاتفاق ، ارسل البابا يوليوس الى اثناسيوس يطلب منه أن يعين بنفسه مكان انعقاد المجمع الجديد ، الذي سيكلف بفض النزاع القائم بينه وبين خصومه : فاختار اسقف الاسكندرية مدينة رومة مكاناً لاجتماع الاساقفة ومن ثم سافر اليها مسرعاً : وما بلغها . حتى بادر البابا يوليوس فبعث الى الاوسابيوسيين ـ على يد قسيسيه ألبيديوس وفيلوكسين ـ برسالة يعين فيها يوم انعقاد المجمع ويقول لهم : « إن لم تحضروا في اليوم المعين للاجتماع ، حامت الشبهات حول نيتكم ودعواكم » . غير أن الاوسابيوسيين ـ عند ماعلموا أن المحاكمة ستكون في رومية وستتبع فيها الاجراءات القانونية النظامية البعيدة عن التأثيرات الامبراطورية ـ تزلزلت اقدامهم ، وابوا حضور ذلك الاجتماع وادعوا أن حرب الفرس تحول دون تلبية ذلك الطلب

فلم يسع ذلك المجمع الذي طلب عقده الاوسابيوسيون ثم رفضوا حضوره ! الا أن يفحص القضية بحذافيرها ، ثم أصدر قراره ببراءة اسقف الاسكندرية »

هذا ماورد حرفياً في رسالة القديس اثناسيوس الى الرهبان (رهبان مصر) وهي الرسالة التي أثبتها اثناسيوس بنصها في تاريخه عن الاريوسيين .

واذا عرفنا ذلك أمكننا أن نستجلي كيفية تدخل البابا يوليوس في قضية اثناسيوس . فلم يكن هذا التدخل نتيجة استئناف رفعه اثناسيوس لمحكمة رومية ، بل نتيجة اتفاق الخصمين ، وكان الاوسابيوسيون هم المقترحين لهذا الاتفاق . واثناسيوس كان المسلم به .

ولم يكن الغرض من تدخل البابا أن يقاضي بنفسه اثناسيوس وان يعيده بمقتضى سلطته الخاصة الى كرسيه ـ كما تتوهم انت ياسيدي الروماني مردداً دعاوي لاهوتييك ـ بل كان الغرض من ذلك أن يجمع البابا مجمعاً يكون حكماً في الموضوع ، بناء على رغبة المتخاصمين ، وهذا مايخالف الدعاوي الرومانية من كل الوجوه . .

اما اذا كان المجمع قد انعقد في رومة . فما هذا لأن هناك حقاً بابوياً اقتضى ذلك ، بل لان اثناسيوس نفسه اختار هذه المدينة ، كما كان في وسعه ان يختار أية مدينة أخرى . . . .

اما رسالة البابا يوليوس الى الاوسابيوسيين فاننا لم نر فيها شيئاً خطيراً ، ذلك لان الاوسابيوسيين كانوا قد رفضوا الذهاب الى رومية لسببين .

أولهما — : ان الدعوة التي وصلتهم ، انما كانت من البابا يوليوس شخصياً لا من المجمع . وثانيهما ـ : لأنهم اعتبروا ذلك البابا مردوداً لانه قبل في شركته أسقف الاسكندرية المعزول منهم ، قبل أن يعيده الى منصبه مجمع آخر .

لننظر الآن ماذا قال البابا يوليوس عن سببي الرفض المقدمين من الاوسابيوسيين : قال : ـ « ان الرسالة الموقعة منه وحده انما هي صادرة من المجمع كله وكان يجب عليهم أن يفهموا ذلك . وانه اذا كان قد اشترك مع الاسقف اثناسيوس ، فلأن هذا الاسقف كان قد تبرأ لا منه وحده ، بل من المجمع الذي طلبوا هم أنفسهم عقده ثم راقهم أن لا يحضروه بعد ذلك! وقد ختم رسالته لهم بقوله : فاعلموا اذن أن الرسائل التي بامضائي وحدي ، لا تعبر عن رأيي الشخصي ، بل عن رأي الجماعة »

أما السبب الحقيقي لانسحاب الاوسابيوسيين . فهو أنهم كانوا لا ينتظرون من المجمع ـ الملتئم من البابا وأساقفة الغرب — أن يصدر حكماً في مصلحتهم ، وقد فهم البابا ذلك فكتب اليهم معلناً اياهم بمخالفة مجامعهم للنظام الكنيسي حيث قال : « اذا كان هؤلاء الاساقفة (اثناسيوس وأمثاله) مخطئين أو مرتكبين لجرائم . فحاكمتهم يجب أن تكون بالطريقة التي سنها القانون الكنيسي وليس بمثل تلك الاجراءآت (التي اتبعت في مجمعي صور وانطاكية) . فكان يجب أن تحرر الينا جميعاً « نحن اساقفة الكنيسة » حتى ينشر لواء العدل منا جميعاً . لان هؤلاء المتهمين أساقفة

ولان كنائسهم ليست كنائس عادية . بل هي الكنائس التي رأسها الرسل أنفسهم .

اني اعلم أن هذا هو السبب الذي دفعكم الى عدم مكاتبتنا في الامر ، لانكم تعلمون أن القضية قضية كنيسة الاسكندرية (التي هي بلا نزاع كنيسة رسولية) . . . . ألم تعلموا أن العادة قضت بأن تكتبوا لنا وبعد ذلك يحكم بما هو عدل ، فاذا كان هناك تهمة ضد أسقف تلك (الكنيسة) فكان يجب أن يكتب الى هذه الكنيسة (الرومانية) . والآن يطلب منا أولئك الذين لم يعلمونا بشيء والذين عملوا (بدوننا) كل شيء — ان نبادر الى المصادقة على حكمهم دون ان نعلم شيئاً عن موضوع القضية ... كلا فليس هذا تعليم القديس بولس الذي يقضي على الكنائس ان تحكم في القضايا المشتركة مجتمعة لامنفردة كما أتى الاوسابيوسيون ذلك . . . ليس هذا ما تسلمناه من الآباء (الذين في مثل هذه القضايا كانوا يحكمون مجتمعين) . فانتم انما تنهجون منهاجاً جديداً . . . »

هذه رسالة يوليوس الى الاوسابيوسيين ، وانما يؤول ما تضمنته من المنطق الصريح الى الحقائق الآتية : ان قضايا أساقفة الكنائس الرسولية — ولاسيما أسقف الاسكندرية — لا يفصل فيهـا — خارجاً عن الدائرة البطريركية — الا محكمة مؤلفة من جميع الكنائس . وفي هذه القضايا يكون تدخل الكنيسة الرومانية واجباً ، حتى تأخذ مكانهـا في محكمة الكنيسة الجامعة بصفتها عضواً من الاعضاء التي يتألف منها جسم

الكنيسة(١) ولكن الاوسابيوسيين في مجمعي صور وانطاكية لم يراعوا هذا القانون فأتوا ما أتوا مغفلين الكنيسة الرومانية إغفالاً ، مع انها بلا نزاع عضو من أعضاء الكنيسة الجامعة . .

اما المؤرخان اليونانيان سقراط وسوزوميونوس . فلا يمكن ان يستنتج مما قالاه شيء يخالف ما سبقنا فذكرناه ، اذ انهما — عند كلامهما على عدم قانونية مجمعي صور وانطاكية اقتصرا على ان أوردا رسالة البابا يوليوس في هذا الصدد . . .

اما الكنيسة الارثوذكسية فعلى رأينا ، وما زالت ترى — حتى يومنا هذا — ان امثال هذه القضايا يجب ان تمثل فيها جميع الكنائس الرسولية ، وان كل اجتماع يكون الغرض منه الفصل في مثل هذه القضايا ، يكون غير شرعي اذا لم يشترك فيه اسقف رومة (بصفته أسقف كنيسة رسولية) اللهم الا اذا كان هذا الاسقف الروماني هرطوقياً مبتدعاً (٢) او اذا دعاه مجمع فأبى ان يحضره بنفسه أو أن يوفد اليه من ينوبون فيه عنه

تقول أخيراً يا سيدي الروماني ان مجمع رومة الذي اعاد الى اثناسيوس سلطة سلبه اياها السالبون . كان سبباً في انعقاد مجمع سرديكا ! ولقد أصبت فيما قلت . لان المجمع السرديكي لم ينعقد الا بناء على شكاوي الاوسابيوسيين

(١) التي رأسها المسيح (افسس ٤ : ١٥ و ٥ : ٢٣) (المعرب)

(٢) كليباريوس وكثير غيره من بابوات رومة الذين لطخوا وجه المسيحية بالعار (المعرب)

الذين ما فتئوا يقولون بادانة اسقف الاسكندرية الذي برأه مجمع رومة خطأً وغلطاً

على أن ذلك يعكس عليكم نظريتكم القائلة بالسلطان البابوي المعصوم وبعدم قبول الاحكام البابوية للنقض . اذ من المؤكد ان مجمع رومة الذى برأ القديس اثناسيوس ، كان برياسة البابا يوليوس نفسه ، واذ ليس من ينكر ان مجمع سرديكا قد أعاد النظر فى القضية التي حكم فيها مجمع رومية الذي رأسه البابا . (١) وليس في هذا الحادث الا اقطع دليل على ان في ذلك العهد لم تكن الكنيسة الجامعة ولا البابا نفسه يعتبرون احكام رومة غير قابلة

(١) يظهر ذلك جلياً من اعمال المجمع السرديكي ومن رسالة ذلك المجمع الى اسقف الاسكندرية : كما يظهر أيضاً مما رواه اثناسيوس فى ميمره الثاني . ومن رسالة أوسيوس أسقف قرطبة الى الامبراطور قسطانس حيث قال : « انى لا أضع امضائي على حكم صادر ضد اثناسيوس الذي برأته كنيسة رومية والمجمع السرديكى لقد أدركت بنفسك أيها الامبراطور — بعد حكم مجمع سرديكا — انه كان بريئاً بما انك دعوته اليك حينذاك ووعدته بأن تعيده الى كنيسته بالحفاوة والاجلال ، فعلام تستند الآن فى تغيير رأيك فى شأنه ؟

ان أعداءه القدماء لم يزالوا هم هم ، والتهم التي يرفعونها اليك اليوم ضده فى الخفاء (لانهم فى حضرته خرس بكم) هي عينها التي كانوا يتهمونه بها فى مجمع سرديكا ؛ ولما طلبت أنا منهم بالحاح ان يقيموا الادلة التي تؤيد دعواهم . لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ولما كان لديهم حجة أو دليل . لما فروا من وجه العدالة يتعثرون فى ذيل الخزي والعار »

للنقض ولا لاعادة النظر فيها ، وذلك ما تنكره العقيدة الرومانية العصرية انكاراً . . . !

هذا هو التاريخ الحقيقي لمجمع سرديكا ، ولقسط البابا يوليوس في قضية القديس اثناسيوس . وعبثاً تحاول يا سيدي الروماني ان تجد هذا التاريخ الصحيح في كتب مؤرخيكم العصريين ، لانهم لا يرومون — بما يكتبون — الى سرد الحقائق ، بل الى نشر سلطان أسقف رومية المطلق !! وهم يظنون ان بلوغهم هذا الغرض يجعلهم في حل من أن يسقطوا الوثائق التي تعترضهم في طريقهم ! وأن يبتروها ! ويزوروها ! أو يؤولوها تأويلاً يجعل بينها وبين معناها الاصلي فرقاً شاسعاً وبوناً بعيداً

(المجمع المسكوني الثاني)

هذا المجمع المنعقد في القسطنطينية بشهر مايو سنة ٣٨١ م ونودي بالدعوة اليه من الامبراطور تاودوسيوس الكبير لا من البابا داماسوس كما يستنتج ذلك من السندات الكنيسية واجماع كل المؤرخين المعاصرين(١) ولم يرأس هذا المجمع البابا ولا نوابه بل تصدر فيه واحد من البطاركة

(١) ان المجمع قال بخطابه للامبراطور كما يشهد (لابيه فى المجلد الثالث ص٥٨٥) انك أوليت الكنيسة نعمة بهذا المجمع الذي اذعت لانعقاده تحارير دعوتك اليه الخ) وقال سقراط ان الامبراطور دعا الى مجمع الاساقفة الارثوذكسيين ليعززوا جانب ايمان مجمع نيقيا ويتدبروا فى رسامة اسقف القسطنطينية (٥ : ٨) وهكذا قال سوزيمنوس (٧ : ٧) وتاودريتوس (٥ : ٨)

الشرقيين المرقوم اسمه الاول بين الامضاءآت المجمعية .

من هذه الامضاءآت ومن هذه السندات التاريخية يتضح ان المائة والخمسين أباً الذين كوّنوا المجمع القسطنطيني كان كلهم شرقيين ولم يكن للكنيسة الرومانية فيه نصيب ما عدا ان اسقفها حسب الاصول دعي بواسطة منشورات الامبراطور ولكنه امتنع عن تلبية الدعوة وعن المبادرة الى اجتماع عمومي كنيسي وعن ارسال اعضاء اليه وهذا كله لم يكن ليقلل من أهمية المجمع ويجعله غير شرعي او غير مسكوني

ومما يستحق الملاحظة انه لا تمكن القول ان المجمع الثاني المسكوني انعقد عن رضى البابا لان السندات والتقارير الكنيسية والمؤرخ تاودريتوس يشهد معها ان البابا داماسوس كان كتب لآباء المجمع المائة والخمسين في العاصمة ان يأتوا الى رومة لكي ينضموا الى مجمع كبير كنيسي غربي مزمع ان ينعقد ولكن المائة والخمسين أباً رفضوا بتاتاً ان يلبوا هذه الدعوة واليك كلام تاودريتوس « وجد في الصيف الماضي جمهور كبير من الاساقفة الشرقيين في مدينة الامبراطور لاجل قضاء ضرورة كهنوتية فوصلهم خطاب مجمعي من اساقفة الغرب يدعونهم به الى رومة حيث كان مجمع مزمعاً أن ينعقد ولكنهم رفضوا الدعوة حاكمين ان سفرهم (الى رومة) لا فائدة منه وقالوا في الجواب الذي أعدوه (ان كنائسهم تكبدت الصعوبة حتى خرجت من الزوبعة العظيمة التي صدمتها . واشاروا بها الى كسل الغربيين الواضح الذين بدل ما أنهم يأتون الى القسطنطينية وذلك في طاقتهم يطلبون

سفر الشرقيين الى رومة في الوقت الذي ابتدأت كنائسهم ان تنتعش واصبحت في حاجة الى وجودهم في حضرتها) ونص كتابتهم هذا يبرهن بأكثر ما يمكننا ان نقول على شجاعتهم وحكمتهم .

ثم ان المؤرخ تلا جواب المائة والخمسين أباً وهاك نص الفقرة المتعلقة بالموضوع الذي نحن بصدده (قلتم لنا ان شهادة محبتكم الاخوية دعتكم ان تكوّنوا بارادة الله مجمعاً في رومية ولذلك تدعوننا نحن أيضاً اعضاء مجمع الكنيسة بموجب المنشورات الصادرة من الامبراطور محب الله لاننا بعد ما تحملنا وحدنا ثقل الآلام في الزمان الماضي كما قيل لاتملكوا وحدكم دوننا كقول الرسول . نبين الآن أن الامبراطورين اتحدوا في استقامة الايمان وان انفصالنا عن كنائسنا وبعدنا عنها مضر بها ومعر لها في الوقت الذي ابتدأت فيه أن تتجدد وفوق ذلك ان كثيرين منا لايمكنهم بأي نوع كان أن يباشروا سفراً من جديد كما عرضتم لنا نحن المجتمعين بمجمع القسطنطينية لاجل هذه الاسباب التمسنا من اخوينا وشريكينا الاسقفين الموقرين جداً اللذين من سيرياك وهما اوسابيوس وبريسليان أن يتحملا وحدهما مشاق السفر اليكم ليبسطا لكم بالانابة عنا أن مجمعنا يرمي الى اتفاق الآراء وغرضه الوحيد الاتحاد فقط وهما سوف يخبرانكم ايضاً بالغيرة التي لنا من نحو الايمان الحقيقي . لان ماقاسيناه من كل أنواع النوائب من قبل الهراطقة وكل ضروب اضطهاد الامبراطورين الذين لم يظهروا أمامنا الاعظم المهددين كما ظهر الولاة أيضاً الذين تصرفوا معنا بكل قساوة فاننا تحملنا كل ذلك

بالصبر لنستمر أمناء من نحو الايمان المرتب في نيقية بيثينيا بواسطة الـ ٣١٨ أباً من نحو هذا الايمان الواجب أن تعتصموا به انتم وجميع المتزهين عن أن يغشوا كلام الايمان الحقيقي) هذه الاقوال موجهة الى الاخين الشريكين الفايقي الاعتبار داماسوس وأمبروسيوس وجميع الاساقفة القديسين المجتمعين في مدينة رومه العظيمة من مجمع الاساقفة الارثوذكسيين المقدس المجتمعين في مدينة قسطنطين العظيمة)

أن المائة والخمسين أباً القسطنطينيين ابطلوا المناظرة التي ادخلها مقدونيوس على لاهوت الروح القدس وحكموا على بدعة سبليوس التي جددها مارسيل الانكيري مع ابوليناريوس ورتبوا نهائياً الحالة التي عكرت من زمان طويل صفاء كنيستي القسطنطينية وانطاكيا وسنوا سبعة قوانين منحوا بالثالث منها أسقف العاصمة التقدم بعد أسقف رومة

لكن هنا يعرض هذا السؤال العظيم . ترى أية صفة سوّغت أن يجتمع المجمع المسكوني الثاني ؟ وبأية سلطة رسم حدود الايمان والعقيدة وسن الشرائع القانونية وأرغم على قبولها الكنيسة الجامعة هل كان آباؤه منفذين بسطاء لارادة بابا رومية العالية وهل قدّروا أن احكامهم وشرائعهم تستمر مهملة وبلا قيمة طالما لا تتوج بامضاء بابوي كما يظن لاهوتيوكم . أو كان لهم الاستقلال والسلطان الاعلى أن يرأسوا الكنيسة ؟ . السلطان المعصوم من الغلط الصادر من جانب يسوع المسيح والذي احكامه يجب أن تحفظ من كل المسيحيين بلا استثناء ؟

وهذه النقطة الوحيدة الاخيرة التي كانت معتقد كنيستنا الارثوذكسية وهي الحقيقة تجلت بكل السندات الشرعية . أولاً أن المائة والخمسين اسقفاً باعلانهم وانهاء المناظرة الاعتقادية المتعلقة بلاهوت الروح القدس لم يرتكنوا قط على سلطة أو على كلام البابا بل على الشهادة المشتركة شهادة كنائسهم الخصوصية التي التقطت درر الايمان من افواه الرسل انفسهم وقد حفظت بأمانة هذا الايمان الرسولي كوديعة مقدسة والشرح الذي ادخل على دستور الايمان في فصل الروح القدس لم يكن من قبل الـ ١٥٠ أباً كتحديد اعمى وخاضع لتحديد بابوي بل كان شرح الايمان الرسولي ايمان الكنائس الشرقية جمعاء المجتمعة حينئذ في القسطنطينية . قالت كل كنيسة من هذه الكنائس (أومن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب المعبود والممجد مع الاب والابن)

ان القديس غريغوريوس النيسي الذي كان أحد أعضاء المائة والخمسين اخبرنا ما هي قاعدة تعليم وتحديد المجمع القسطنطيني الذي هو أن الروح القدس اله حق ومساو في الجوهر للاب والابن) كما قال في الكتاب الرابع من مؤلفه ضد انوميوس : انه يكفينا هذا الدليل التقليدي الذي تسلمناه من آبائنا والذي تسلمه آباؤنا من الرسل بالخلافة الغير منقطعة)

والقديس باسيليوس أخو غريغوريوس النيسي قال لمقدونيوس قبل اشتهار المجمع القسطنطيني المسكوني الثاني « ان احذر ان تفصل الروح القدس من الآب والابن فان التقليد يمنعك من ذلك ، هكذا علم السيد

وهكذا كرز الرسل وهكذا حفظ الآباء وهكذا اعترف الشهداء ويكفيك أن تقر بما تعلمت (ضد بدعة سبليوس رسالة ٢٤) وقبل هذا وذلك كتب القديس اثناسيوس برسالته الرابعة الى سرابيون التي اثبت فيها لاهوت الروح القدس وقدم هذا الدليل الذي افتتحه بهذه المقدمة بقوله (لنعتبرن التقليد الاصلي والتعليم والايمان الكنيسي الكاثوليكي الصادر من فم السيد نفسه والذي علمه الرسل والذي حفظته الكنيسة فانه على هذا التعليم وعلى هذا الايمان بنيت الكنيسة والذي يرفضه لا يكون مسيحياً ولا يستحق أن يطلق عليه اسم المسيحي) فدونك القاعدة الوحيدة لتعليم وتحديد المجمع الثاني المسكوني وحيال هذه الايضاحات من الصعوبة بمكان ان يخطر على البال ان ما حدده الـ ١٥٠ أباً تصرّف به حسب تعليم واختيار البابا بدل ان تعرف وتعلم ان ما حدده المجمع كان حسب تعليم المسيح يسوع الذي اتصل الى كنائسهم بواسطة الرسل كما اعلنوا بذلك صريحاً

وانه من المضحكات جداً الافتراض انهم اعتبروا احدودهم الشرعية باطلة بدون تصديق بابوي وانهم كانوا يرون ان تعليم البابا ذا أهمية أكثر بكثير من تعليم المسيح يسوع ورسله مع العلم أنه كانت لديهم الشهادات الشرعية للتعليم الرسولي الالهي التي يبنون عليها قوانينهم. ولكن الـ ١٥٠ أباً لم يخطر على بالهم ان يكونوا في حاجة الى تصديق أي كان بابوي. ولذلك فانكم باطلا تفتشون على تنويه لذلك في منشورهم المجمعي الذي رفعوه الى البابا داماسوس والى المجمع الروماني وأني الاحظ على ان امكان هذا التصديق

هو لاغ للغاية وذلك بهذا المنشور المتعلق بتحديد وسن قوانين المجمع القسطنطيني التي قالوا فيها عن تأكيد «ان كلام الايمان وجد هكذا مرتباً تلهج به دائماً الكنائس المشتركة» وما هو مرتب لا يحتاج الى تصديق متأخر

(المعرب. هنا يورد المؤلف الكلام على طريقة مناظرة بين روماني وارثوذكسي)

الروماني — انك لا تجهل انه قبل المجمع المسكوني الثاني اجتمع مجمع روماني تحت رئاسة داماسوس بابا رومية وبطرس «الاسقف» الاسكندري وأعلن الاعتقاد بلاهوت الروح القدس

الارثوذكسي ـ لست بجاهل ذلك واني لعالم ان اعمال هذا المجمع الروماني أرسلها البابا الى انطاكيا للتصديق عليها بواسطة القديس ملاتيوس من الـ ١٤٦ اسقفاً اساقفة هذه الايالة الذين كانوا مجتمعين حينئذ نحو سنة ٣٧٨ هذا الذي لم يقله لاهوتيوكم ولم يقولوا ان الفضل في كل ما حصل بخصوص الايمان بهذا المجمع الروماني يعود على (الانبا) بطرس الذي كان حينئذ في رومة فان هذا خليفة القديس اثناسيوس أخطر البابا داماسوس وأفهمه بأن معتقد الغربيين في نظر الكثيرين ملتبس سواء بالنسبة لكونهم قبلوا أحزاب المقدونيين في الشركة بدون أن يطلبوا منهم الانكفاف العلني عن ضلالهم المختص بالروح القدس، وسواء كانت الكنيسة الرومانية في

عهد البابا يوليوس وليباريوس نظمت في الارثوذكسية مارسيل الذي من انكيرا رئيس حزب سبليوس المتجدد وسواء كانت الكنيسة الرومانية الى ذلك الوقت لم تعلن رأيها بخصوص التعليم الابوليناري الذي كان ينكر روح يسوع المسيح أو نفسه البشرية

فهذه الثلاث ضلالات التي شجبها علانية القديس اثناسيوس في كثير من مؤلفاته (١) وشكاوي القديس باسيليوس الكبير من اشتراك رومة والغرب مع مارسيل الانكيري أولاً ومع الهراطقة الآخرين الذين كانوا في زمانه ليست تلك الشكاوى مشهورة عند كل أحد ولذلك نحن نكشفها حالاً . ان البابا داماسوس لما حسب حساباً لمحوظات القديس بطرس الاسكندري الحقة جمع المجمع الروماني وبسؤاله والاتفاق معه حكما معاً شاجبين ضلال المقدونيين بخصوص الروح القدس وضلال السابليوسيين المتجدد الذين لم يسلموا على وجه التحقيق الا بأقنوم واحد في لاهوت الثالوث

(١) ان القديس اثناسيوس كتب سنة ٣٦٢ م الى كنيسة انطاكيا باسم المجمع الاسكندري يقول (انه يجب عليكم أن تطلبوا من هؤلاء الذين يريدون العود الى الوحدة الكاثوليكية ان يوقعوا على دستور نيقيا وان يعترفوا صريحاً ان الروح القدس ليس مخلوقاً . والذي يبرهن على انه انفصل حقيقة من الاريوسيين . والذي لن يتجزأ على قسمة الثالوث الاقدس (منشوره الى الانطاكيين) وعدا ذلك ان القديس اثناسيوس كتب مؤلفات كاملة ضد ذوي بدعة سبليوس الذين كانوا في زمانه وضد الابوليناريين . ومثله القديس باسيليوس فند بمؤلفاته الخصوصية ضلال مقدونيوس وابوليناريوس وسبليوس المنسوب الى مارسيل الانكيري

الاقدس وضلال الابوليناريين الذين نزعوا من ناسوت المخلص نفسه العاقلة

هذه هي الحقيقة التي دعت الى اجتماع مجمع رومة في عهد داماسوس البابا سنة ٣٦٨ الذي هو بالحري مجمع اسكندري أكثر مما هو روماني ولكن كيف ما كان اسكندرياً رومانياً فانه لم يشجب ضلال المقدونيين ويعلن لاهوت الروح القدس . من أين استنتجتم أن قضية المقدونيين وبالحري قضية أنصارهم انتهت بسلطان البابا الاعلى في مجمعه الروماني وان تحديد الاعتقاد المتعلق بلاهوت الروح القدس هو صنع كلامه المعصوم من الغلط ؟ لكن ألا ترون ان اعتقاداً مثل هذا ينافي كل تاريخ الكنيسة . والذوق السليم يقول لنا أن كل قضية فصل فيها بواسطة سلطة عالية وانتهت بحكم ارفع فهي غير قابلة أن تعرض للبحث فيها من جديد وكل قضية سبق الحكم فيها وتجدد النظر القضائي فيها فيكون السبب في ذلك أن السلطة التي حكمت فيها من قبل ليست سلطة رئيسية ويكون حكمها ليس الحكم الاعلى ولذا فان قضية المقدونيين بعد الذي حصل بخصوصها في مجمع رومة برئاسة البابا داماسوس قد أعرضت من جديد أمام مجلس المجمع المسكوني الثاني الذي بعد اختبار ذي شأن ومستوف ومداولة نطق مجلسه حاكماً لا بناء على سلطان البابا أو سلطان مجمعه بل بناء على السلطان المشترك الكنيسي الرسولي كما أقمنا الدليل على ذلك سابقاً . هذا الذي يوضح وضوحاً جلياً أن الكنيسة العامة اعتبرت في كل زمان جلسة وهيئة المجمع الثاني المسكوني المرجع الذي لاينقض والسلطة السامية التي لايتطرق اليها الغلط . هذا ما خص بمجمع

الـ ١٥٠ أباً القسطنطيني لا بمجمع بابا رومية وهو القضاء على هرطقة مقدونيوس وتحديد الاعتقاد بلاهوت الروح القدس

ان بعض مؤرخيكم العصريين استندوا على فقرة للقديس ابيفانيوس (في كتابه مجموع الهرطقات عدد ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١) ولاحظوا ببساطة أن الاضافة المتعلقة بلاهوت الروح القدس أدرجت في قانون مجمع نيقيا في جملة كنائس قبل اذاعة المجمع الثانى المسكونى وتصوروا أن يقللوا بذلك من سلطان الـ ١٥٠ أباً القسطنطيني . فأكرر القول وقد قلت سلفاً ان هذه ملحوظة بسيطة فانه على تقدير حقيقة ذلك فانه لم يبق أقل نزاع بأن الكنيسة العامة نسبت في كل زمان هذه الاضافة للمجمع القسطنطيني المسكونى الثانى وسمته دستور نيقياً دائماً لانه كمل بأضافة مجمع القسطنطينية الجديدة لعلمها ان الاضافة المتعلقة بلاهوت الروح في الدستور ماجاءت شريعة ملتزمة بها كل الكنائس بلا استثناء الا لكونها صادرة من سلطة عليا وهي سلطة المجمع الثانى المسكونى الذى له حق هذا التشريع

ولكن لماذا تحضرون الى الوسط ذكر المجمع الروماني المنعقد تحت رياسة البابا داماسوس والقديس بطرس الاسكندري قبل اشتهار مجمع الـ ١٥٠ أباً القسطنطيني ؟ ولا تسألون ابداً من اين أتى أن المجمع الثانى الروماني نفسه انعقد برئاسة البابا داماسوس والقديس امبروسيوس أسقف ميلان في الوقت الذي اذيع في القسطنطينية مجمع الـ ١٥٠ أباً ولم يكن فى الكنيسة حينئذ لا اسم ولا سلطة المجامع المسكونية . ذلك المجمع الرومانى

الذي كان اكثر عدداً من مجمع الآباء الـ ١٥٠ القسطنطيني والذي رأسه البابا شخصياً وفصل في ذات الاحكام التي حكم بها المجمع القسطنطيني ضد هرطقة مقدونيوس وسبليوس وابوليناريوس ومع ذلك فان المسيحية جمعاء لم تنسب الى مجمع رومة المركب من البابا والاساقفة الغربيين الحكم الشرعي فى هذه النقط العقائدية بل الى مجمع القسطنطينية المركب من الاباء الشرقيين دون سواهم والى هذا أعطت فقط اسم وخاصة المسكونى بصوت عموم الكنيسة . الى مجمع القسطنطينية لا الى مجمع رومة بالرغم عن تفوق هذا بالعدد وترؤسه بالبابا

وهذا ثابت ان مجمع القسطنطينية بالرغم عن انه لم يرأسه البابا أو نوابه بالرغم عن انه لم يحو بين اعضائه اسقف غربى لم ينقصه اقل الاصول الجوهرية التى تحدد المسكونية الكنيسية . وبالعكس ان المجمع الغربى بالرغم عن كون رئيسه البابا نفسه وبالرغم عن تفوقه بالعدد عن المجمع الشرقي فانه كانت تنقصه الشروط والاصول التى توجب ان يكون مسكونياً كنيسياً . وهذا ماحملنا على القول ان الكنائس الشرقية المجتمعة تكمل وتتوافر فيها شروط المسكونية بذاتها بدون أن يتمثل معها اسقف غربي وبغير حضور اسقف رومة نفسه وبالعكس اذا اجتمعت كل كنائس الغرب وكان الرئيس فيها البابا بشخصه وكانت أكثر عدداً من كنائس الشرق فانها غير أهل ان تكوّن اجتماعاً مسكونياً بدون حضور ومساعدة الكنائس الشرقية الحقيقية.

وهذا مايدعونا الى القول أيضاً ان مسكونية المجمع لاتعبّر بالنظر الى الاجتماع والكمية المعتبرة الكنيسية كيفما كانت بل بالنظر الى اجتماع الجمعية أو على الاقل المكوّنه من الكنائس التى هي شهادة شرعية لتقليد الرسل والتى حكمها هو حكم الكاثوليكية الرسولية فالكنائس الشرقية « بدون البابا والكنائس الغربية » تضم رزمة هذه الشهادات الالهية ذات السيادة

فهاك الدرس العظيم الذي يقدمه لك المجمع القسطنطيني المسكونى الثانى اذا تمعنت جيداً في التاريخ : هذا الدرس يعلمك كم انت على بعد من الحقيقة اذا اعتقدت بسلطة البابا العمومية واذا افتكرت بان حكمه بمادة التعليم هو الشريعة العليا للعالم المسيحي ، هذا العالم المسيحي بقدر ما انه فى الشرق كما فى الغرب لم ينظم ايمانه حكم البابا داماسوس بخصوص الاعتقاد وكمية مجمعه الغربي لكن حكم العقائدي الصادر من مجمع الشرق القسطنطيني ولو ان الحكمين اتفقا على شيء واحد .

ان استقلال وتفوق المجمع المسكونى القسطنطيني لم يشاهدا فى الحكم الذي أصدره الـ ١٥٠ أباً ورد به على السؤالات المتعلقة بالعقائد التى تقدمت الى محكته بل شوهدا على الخصوص بالمسألة المتعلقة بكنيسة انطاكيا .

ان الكنيسة الارثوذكسية فى هذه المدينة تكبدت منذ السنة الـ ٣٦٢ هرطقة دخلت فى حضنها بواسطة تدخل لوسيفار الذى من كاجليار ، هذا الاسقف الغربى الذى لم يكن ملتهباً اعجاباً بفضائل القديس ملاتيوس سمح بلا تفويض ولا رخصة أساقفة المقاطعة لبولينوس آمراً اياه باتفاقه مع

شرذمة قليلة دنيئة كانت غير راضية عن الراعي الاول ان يرقى كرسي أسقفية انطاكيا فهذا التدخل المخالف للقانون لم يتردد البابا داماسوس من تعزيزه وتعضيده ولكن المجمع المسكونى الثانى أيضاً لم يقصر عن أن يسفه هذا التدخل والتعدى حيث قال فى قانونه الثاني (لا يتعدين الاساقفة على الكنائس التى خارج حدودهم ولا يشوشوا الكنائس . . . فلا يتعدوا خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات أو معاطاة امور اخرى كنيسية من دون أن يدعوا) وقال في تحريره المجمعى الى البابا داماسوس ومجمعه الغربى على سبيل التذكير والتفكير حيال مثل هذه الضجة الصارمة (انه يوجد بالنسبة الى ولاية الكنائس في العالم أجمع قانون قديم يجب أن لاتفوتكم معرفته وجرياً وراء هذا القانون القديم الذي سنه الآباء القديسون في نيقية أن اساقفة المقاطعة هم الذين يدبرون امور المقاطعة وأما الاساقفة المجاورون فيمكنهم أن يشتركوا معهم على شرط أن يرغب الاولون ذلك ويكون وجهة العمل الخير فان كل الكنائس عندنا تخضع لهذا القانون فانه بعد هذا القانون تحددت مراكز الاساقفة المشهورين في كنائسهم مثل القسطنطينية وانطاكيا ومدن كبيرة اخرى الخ)

ولكن قبل أن ينهال المجمع الثانى المسكوني بصارم التقريع واللوم على رؤوس الغربيين كانت مضت عشرون سنة كاملة والكنيسة الانطاكية المسكينة تتلوى على غضونها من شدة الآلام التي تضرب عادة اطنابها دائماً على أثر الانقسام الذي يحدث في الجماعة كلما اصطبغت بوصمة الانقسام

والانشقاق مثلما احدثه لوسيفاريوس الذي من كاجليار ورضي به البابا داماسوس الذي كان يرنو بالشفقة الشخصية نحو بولينوس (الدخيل)

ان القديس ملاتيوس والقديس باسيليوس الكبير اتكلا على غيرة القديس اثناسيوس وفي سبيل صلح الكنيسة الانطاكية مع بعضها كتب هذا رئيس أساقفة قيسارية الى الاسقف الاسكندري يقول («انه يتعلق بكم علاج داء هذه المدينة ويتطلب منكم في الواقع ونفس الامر أن تفرغوا في سبيله كل حكمتكم وشفقتكم الانجيلية. فان الانشقاق الذي دب في هذه المدينة لم يأتها من سبيل الهراطقة لكن من سبيل أبنائها المتحدين في الايمان»

(رسالة باسيليوس الـ ٩٩)

كان هذا القديس بقوله هذا لزميله القديس اثناسيوس ان صلح كنيسة انطاكية متعلق به وحده يشيد قصوراً من أمانيه الجميلة بان أسقف اسكندرية كان يتفوق البابا داماسوس والغربيين محاربك ذلك الشقاق وفي الوقت نفسه يحرّض على الجهاد في سبيل ربح اولئك الاناس (الغربيين) جاذباً اياهم الى حظيرة الوحدة بقوله (ان اتحاد جميع القواد يعود على المجموع بمزايا جزيلة وتروع الذين يدهم السلطان كثرة العدد كما أن الصديقين في كل مكان يقتفون بلا عائق آثار الاساقفة الذين يرمون الى غرض واحد ويكون شعارهم وحدة الرأي والاحساس)

ان القديس باسيليوس ومعه القديس ملاتيوس لم يسددا سهامهما نحو القضاء على شقاق الكنيسة الانطاكية لكنهما قصدا أيضاً من تدخل

القديس أثناسيوس ان الغرب يثبت تمام اتحاده مع ارثوذكسي الشرق وذلك بأن يعلن صريحاً وجلياً وعلى المكشوف مثل الشرقيين ضد مجمع ريميني الذي لم يكف عن أن يريب الكنائس وضد بدعة المقدونيين واشياعهم وضد بدعة السبليوسي مارسيل الذي من انكيرا وضد بدعة ابوليناريوس. البدع التي انتشرت كثيراً ووجدت لها الغرب ملجأ (القديس باسيليوس رسالة ٦٦ و ٦٩ و ٨٠ الموجهة الى القديس اثناسيوس) والاسقف الاسكندري لم يبخل بتوسطه ومن جانب آخر ان القديس باسيليوس والقديس ملاتيوس وجملة من الاساقفة الآخرين الشرقيين كتبوا مباشرة الى البابا داماسوس في المعنى ذاته) القديس باسيليوس رسالة ٧٠ و ٩٢ الى البابا داماسوس)

ولكن القديس اثناسيوس توفي سنة ٣٧٣ م بدون أن يتناول من البابا داماسوس شيئاً آخر سوى استهجان مجمع ريميني والقديس باسيليوس لم يلبث طويلاً حتى اظهر غرور البابا وتأسف من سلوكه ناظراً ومقدراً شكاوي الارثوذكسيين الشرقيين وحرصهم على القوانين الشرعية وأسئلة الاعتقاد التي أهملها البابا داماسوس وناسه الغربيون فاعاب عدة مرار بتحاريره كبرياءهم وجهلهم واشتراكهم بجنايات جميع الهراطقة في عصره. وفي خطابه الى اوسابيوس السامو سطي قال هذا الاسقف (انك تفاوضت نفسك مع ناس رومية وقد حدثني الاخ ذوروتاوس بكل الامور ... فتردد في ذهني مقالة ديوميدس ليتك لم ترج لان الرجل متصلف. وحقاً ان طبيعة الاخلاق الصلفة كلما لوطفت كلما ازدادت تشامخاً فانه اذا تعطف الرب علينا فالى

اى شيء اكثر من تعطفه نحن نحتاج ؟ ولكن اذا استمر غضب الله فماذا تكون مساعدة حاجب الغربيين ؟ فانهم والحق يقال ليسوا على شيء من العلم ولا يطيقون أن يتعلموا . ولكنهم موعبون من وساوس كاذبة يفعلون الآن ما كانوا قبلاً يفعلونه على ماركلس بانهم يخاصمون الذين يقولون لهم الحقيقة ويثبتون الهرطقة لانفسهم (القديس باسيليوس رسالة ٢٣٩ (١)

وحبوط مسعى القديس باسيليوس بدا أيضاً بنوع أعظم في قضية ملاتيوس الانطاكي . فان البابا والغربيين ظهروا بمظهر العداء للاسقف القديس باعتبارهم ابولينوس . فلما انتشرت المنشورات البابوية الخاصة بهذا القرار والاختيار في الشرق لم يطق رئيس اساقفة قيسارية (باسيليوس) أن يكظم غيظه وأقام الحجة بهذه الفقرات قائلاً (اني لا أرضى أبداً بهذه المنشورات ولو قيل لي انها هابطة من السماء والسبب انها غير مطابقة لنظام الايمان الحقيقي ولذلك فاني ارفض في شركتي الرسول الذي يتكفل بحملها (القديس باسيليوس رسالة ٢١٤)

(١) وردت هذه الرسالة في الجزء الاول من تاريخ الانشقاق (ص ١٤٠) وزاد فيها مؤلفه الكلام التالي (على اني مع قطع النظر عن الشكل العام كنت أريد انا ذاتي ان احرر لهامتهم لا في الامور الكنيسية (الا بقدر ما يشار به انهم لا يعرفون حقيقة أحوالنا ولا يقبلون الطريق التي بها يستطيعون ان يتعلموا) بل بوجه اجمالي في انه لا يجب التعدي على المنحطين من المحن ولا الظن بأن الكبرياء رتبة حالة كونها خطية تكفي وحدها لان تجعل عداوة مع الله)

هذه الامور أعرضت على بساط البحث هناك حين طرد القديس بطرس الاسكندري من كرسيه طرده الملك فالنص الاريوسي فذهب الى رومة واستمر فيها الى سنة ٣٧٨ الى حين سمح الامبراطور الاراتيقي بعود الاساقفة المنفيين الى كنائسهم وفي اثناء اقامة خليفة القديس اثناسيوس في رومة فهم البابا باحتياج الكنيسة الرومانية ان تصرح بنوع غير ملغوز ولا ملتبس بالحكم ضد الارتقات الثلاث التي تحوم حولها الافكار يعني المقدونية والسبليوسية والابولينارية فاجرى البابا ذلك في الوقت المعين كما أسلفنا في المجمع الروماني المنعقد نحو سنة ٣٦٨ قبل رجوع القديس بطرس الى الاسكندرية بزمن قليل

اما بالنظر الى مسألة الكنيسة الانطاكية فقد تنازل أخيراً البابا ومجمعه الى الاعتراف بالقديس ملاتيوس لكن قصدوا في الوقت نفسه ان القديس بولينوس موضوع ملاذهم وحمايتهم ان يشترك في الولاية معه مدة حياته ويخلفه كاسقف شرعي وحده بعد وفاته . هذا القرار بلغ الى الـ ١٤٦ أباً المجتمعين في انطاكيا . وفي نفس هذه السنة او بعدها بقليل على الترجيح لم يرفض هذا القرار كلية لكن بعد سنتين انعقد المجمع الثاني المسكوني القسطنطيني وهذا أبعد من أن يصادق على قرار البابا ومجمعه فالغاه تماماً وبخلوص نية لكونه مخالفاً للشريعة

وانظر كيف تمر الامور . ان القديس ملاتيوس توفي أثناء وجود المجمع المسكوني الذي عقد جلساته في غضون سنتين كاملتين . وعلى اثر

موته اعلن اكليروس وشعب انطاكيا انهم لا يرغبون بولينوس وانهم اجمعوا على اختيار القديس فلابيانوس (هذا الحبر الذي قلد بعدئذ الوظيفة الكهنوتية للقديس يوحنا فم الذهب) وكل أساقفة الابرشية الشرقية سروا وقبلوا هذا الانتخاب وشرطنوا المنتخب الجديد . ان هذا العمل تحول خاضعاً لحكمة المجمع الثاني المسكوني الذي أعلن بطريقة شرعية قانونية جلوس فلابيانوس على الكاثدرا الانطاكية وهذا بعكس ما تضمنه قرار البابا داماسوس الذي حكم بغير طريقة شرعية وبعكس القانون مريداً ان يتولى بولينوس الكنيسة الانطاكية بعد وفاة ملاتيوس وقد أبلغ الـ ١٥٠ أباً البابا داماسوس حكمهم الاصلى الذي الغوا به قراره بهذه الفقرات والتي هي «انهم بالنظر الى كنيسة انطاكيا بمقتضى قانون قديم سنه مجمع نيقيا» كرسوا قانونياً الجزيل الوقار فلابيانوس باجماع عام واتفاق كل أعضاء هذه الكنيسة وقد صادق كل المجمع على هذه الرسامة بما أنها شرعية ونحن نسأل قداستك ان تصادق عليها مفضلاً مخافة الله وفائدة وبنيان الكنائس على كل الاميال الخصوصية) راجع تيؤدوريتس (٥ : ٩) وقد نفذ حالاً حكم المجمع الثاني المسكوني فاعتزل بولينوس وظيفته تاركاً مكانه الى القديس فلابيانوس وانحسم بذلك شقاق كنيسة انطاكية

وفوق ذلك قد بدا استقلال المجمع الثاني المسكوني وتفوقه في الحكم الذى اصدره بخصوص الكنيسة القسطنطينية . فان الـ ١٥٠ اسقفاً عزلوا مكسيموس السينيكي الذى تسلق كاثدرا العاصمة بواسطة القديس

بطرس الاسكندرى واذاعوا بواسطة قانون خصوصي الذى هو الرابع من قوانين المجمع قائلين (ان هذا الرجل لم يكن ولن يكون اسقفاً أبداً بسبب كون هذا الشخص بقدر ما انه غير متمسك بالعقيدة الارثوذكسية بقدر ذلك كانت رسامته ضد الشريعة وبعكس القانون لانها كانت صنع الاساقفة المصريين الذي خال على بساطة وحسن ظن بطرس الاسكندري لا صنع اساقفة المقاطعة المشترك باختيار الاكليروس وشعب القسطنطينية كما تتطلب ذلك القوانين صريحا (ولم يجر المجمع المسكوني الثاني بصفة كونه موكلاً من البابا او بسلطانه اجراءاته هذه من عزل مكسيموس السينيكي مع العلم ان البابا لم يحضر المجمع ولم يرسل له تعليمات عن هذا الامر، فالمجمع اذاً تصرف بسلطانه الخصوصية. ومما يزيد المسألة أهمية أيضاً ان المجمع اعتبر حكمه من طبقة عليا لا يقبل النقض لانه هو ذاته رقى على كاثدرا العاصمة القديس اغريغوريوس النزينزي وبعد استقالته رسم المجمع ذاته اسقفاً شرعياً لكرسي العاصمة وهو الرجل الحسن العبادة القديس نكتاريوس الذي حرز الانتخاب بالتصويت العام من الاكليروس والشعب

ومما يجدر بالذكر ان البابا داماسوس لم يخطر على باله ان يدعي على الـ ١٥٠ أباً انهم بأعمالهم تعدوا حدودهم او اغتصبوا حقوقه الالهية وتجاوزوا القوانين بل بالعكس قبل برضى وخلوص نية ما جرى في المجمع الثاني المسكوني ، هذا القبول من البابا تضمن معنى عظيماً فان حكم المجمع بخصوص قضية كنيسة العاصمة وفى الوقت نفسه بخصوص

كنيسة انطاكية بلغه بهذه الجمل القاسية (انه بخصوص الولاية على كل كنائس العالم يوجد قانون لا تجهله وبمقتضى هذا القانون الذي صادق عليه الاباء القديسون في نيقيا ان أساقفة المقاطعة هم الذين يجرون رسامات المقاطعة وان الاساقفة المجاورين يمكنهم أن يشتركوا معهم لكن بشرط ان الاولين يرضون بذلك ويكون المقصود منه خيراً وانك لترى ان جميع الكنائس عندنا تساس بهذا القانون وانه بموجب هذا القانون تنظمت وتحددت أساقفة الكنائس الاعظم شهرة مثل كنائس القسطنطينية وانطاكية واورشليم والمدن الاصلية الاخرى)

(اما بالنسبة لكنيسة القسطنطينية المرتبة حديثاً فنحن قد أجرينا رسامة نكتاريوس الجليل اسقفاً باجماع واتفاق المجمع واشراف الامبراطور التقي تاودوسيوس ورضى عموم الاكليروس والشعب . وبالنظر الى كنيسة انطاكية فان أساقفة المقاطعة والابرشية الشرقية اقروا قانونياً على فلابيانوس الوقور باجماع واتفاق جميع أعضاء هذه الكنيسة وصادق كل المجمع على هذا التعيين لانه شرعي . وبالنظر الى كنيسة اورشليم التي هي أم كل الكنائس (لاحظ هذه الميزة بفكرك) فنحن قد اعترفنا باسقفية كيرلس الحسن الديانة المحب لله المكرس قانونياً بواسطة اساقفة مقاطعته . هذه الامور جرت اذاً بحسب القانون والشريعة ولذلك نحن نسأل تقواك ان تبارك لذويها بها كما باركناها نحن بمحبة روحية وخصوصاً بمخافة الله التي تقهر كل شهوة بشرية وتفضل بنيان الكنائس على

جميع العواطف الخصوصية فان الكلام الذي يلاحظ الايمان بهذا النوع قد ترتب بشعور عام والمحبة المسيحية التي ضربت أطنابها فيما بيننا لا تزعزع أركانها وتنفيها كلمات الرسول الذي قال (انا لابلس وانا لكيفا) فانه واضح اننا جميعاً في المسيح الغير منظور ونحن بمساعدة الله نحفظ جسد الكنيسة غير منقسم ونحضر امام مجلس الله بثقة واطمئنان) فصدى هذا الصوت لم يصدر من أدنى طالباً انعاماً بل صدر من أستاذ يلقي به درساً على تلميذه فلم يقل المجمع المسكوني الثاني للبابا داماسوس ولمجمعه أن يثبتوا مطلقاً التثبيت على ارادتهم ويعتبروا قانونياً رسامة أساقفة القسطنطينية وانطاكيا وأورشليم بل أعلنهم قطعياً بأن هذه الرسامات أجرتها تلك الجهات بمقتضى الشريعة وان المجمع حكم بصحتها وان كل ما أجرته اشترك جميع الاساقفة القديسين بتقديم تهانيهم له ولو ان هذا يعز على البابا وناسه الغربيين الا انه يجب عليهم أن يكظموا غيظهم وأن يقابلوا المخاتلات والألاعيب بالمودة الروحية لا الجسدية وبمخافة الله التي تكبح جماح كل الشهوات البشرية وتفضل بنيان الكنائس على كل العواطف الخصوصية وقد أدمى (أعدم) المجمع بالتلميح كل ما أجراه البابا وناسه الغربيون سالفاً ضد القديس ملاتيوس باختيارهم بولينوس

ان البعض من مؤرخيكم المصريين علقوا كثيراً على الكلام الآتي الذي نسب الى بونيفاسيوس الاول وهو (ان الامبراطور تاودوسيوس الكلي الحلم والذكاء الواثق ان رسامة نكتاريوس تظل مختلة طالما نحن لا

تعترف بها بعث الينا من جانبه مأمورين مع اساقفة يسأل حسب الاصول المتبعة خطاب الشركة الذي يثبت وسامة نكتاريوس) (خطاب البابا بونيفاسيوس الاول الى اساقفة الليريكون)

ان غبار هذا الالتماس العظيم تصاعد من فوهة مخزن بضائع الاوامر العالية الكاذبة (البابوية) المنسوبة الى مجموعة ايسيذوروس ماركاتور فان صبغة التاريخ فيها توضح كذبها . وهي كيف امكن الامبراطور ثاودوسيوس الكبير الذي مات سنة ٣٩٥ أن يرسل وفداً مثل هذا الى البابا بونيفاسيوس الاول الذي ارتقى الكاثذرا الرومانية سنة ٤١٨ ؛ نحن نعلم من المجمع الثاني المسكوني نفسه من تحريره المجمعي الى مجمع رومة ان الامبراطور ثاودوسيوس ثبت بنفسه رسامة نكتاريوس التي اجراها الـ ١٥٠ أباً المجتمعون الذين أعلنوا حالاً في خطابهم الى الامبراطور ان أعمالهم قد انتهت وقد صادق الامبراطور على كل أوامرهم ونصوص أحكامهم الكنيسية التي لم تنقصها رسامة نكتاريوس (قال الـ ١٥٠ أباً لثاودوسيوس نحن نسأل حكمك أن تتنازل الى تثبيت حكم المجمع بخط الانامل التقوية لكي كما تمجدت الكنيسة ببركات هذا المجمع بمنشورات دعوتك اليه تشرفه بختم احكامه بخط التثبيت (مجموعة لابيه جزء ٣ ف ٥٨٥) هذا التثبيت الامبراطوري أعطي بلا أمهال وبنوع خاص كما قال سقراط (٥ : ٨)

كل هذه الاحوال تبرهن على انه لم يخطر على بال المجمع ولا على بال الامبراطور ان يعطوا امتيازاً للبابا أن يثبت أحكام المجامع التي كانت رسامة نكتاريوس

جزء منها فاذاً التأويل بان هذا الجزء أوجب طلب تحارير الشركة هو مخالف مطلقاً للآثار القديمة فانه يفترض بان هذا الطلب وجّه الى البابا وحده ويستنتج من هذا التقدير ان المسير كان الغرض منه الاعتراف بالمكانة العالية البابوية مع أنه واضح ان تحارير طلب الشركة لم ترفع الى البابا وحده بل رفعت الى جميع الاساقفة ذوي الكراسي الكبيرة . كما يحصل من كل الاساقفة ذوي الكراسي الكبيرة وقت رسامتهم بما فيهم البابا نفسه . هذا التصرف الرسولي ليس له غرض آخر الا تثبيت الشركة المتبادلة كما لاحظنا على ذلك بالخصوص

أخيراً ان المجمع الثاني المسكوني شرح في القانون الثالث من قوانينه فكره وفكر الكنيسة الجامعة بخصوص طبيعة واصل التقدم البابوي هذا القانون منح التقدم للقسطنطينية بعد مدينة رومة يعني ميّزه عن اسكندرية وانطاكيا والكراسي التابعة وذكر السبب في هذا الامتياز الجديد وهو ان القسطنطينية صارت مدينة امبراطورية مثل رومية القديمة . هذا ما يسوقنا الى ان ندرك بوضوح تام ان تقدم رومية القديمة كان يرمي الغرض منه الى صفة عرش المملكة وبالنتيجة انه لم يكن له ادنى صبغة الهية

ان المجمع الرابع المسكوني جدد هذا القانون مبيناً معناه حين قال صريحاً في قانون ٢٨ (ان الآباء هم منحوا رومية القديمة امتيازات التقدم الكنيسي باعتبار انها المدينة الاولى ولهذا الاعتبار ذاته أصبحت القسطنطينية رومية

الجديدة أو مركز الامبراطورية فيجب أن تحرز نفس الامتيازات و نفس الدرجة التي لرومية القديمة)

ان لاهوتييكم بسفسطتهم المزوقة اداعوا أن البابوات لم يعترفوا بالقانون الثالث القسطنطيني والقانون الـ ٢٨ الخلقيدوني ولاشك أن هذين القانونين يفسر ان اعتقاد الكنيسة العام وبالاخص اعتقاد الكنائس الشرقية الرسولية جماء من نحو أصل وماهية التقدم الروماني لعلمها ان هذا التقدم ليس هو وضعاً الهياً وليس له معنى الامتياز الروحي

أنا أعرف جيداً أن (القديس) البابا لاون الاول ادعى أن القانون الثالث للمجمع الثاني المسكوني لم يبلغ وقت صدوره الى الكنيسة الرومانية (انظر خطابه الى انوطوليوس القسطنطيني) فاننا رغم الوقار الذي يستحقه مثل قديس كهذا فان هذا الادعاء يناقض التاريخ الصحيح فانه بمعزل عن كل شك ان جميع الاعمال المتعلقة بالتحديدات الشرعية والقوانين التهذيبية اذيعت حالاً بواسطة الامبراطور تاودوسيوس قبل انحلال عقد المجمع بناء على طلب الـ ١٥٠ أباً أنفسهم وانها عرفت حالاً في الكنيسة الرومانية كما عرفت في جميع الكنائس الاخرى وان البابا داماسوس تلقاها واعتبرها مسكونية مثل جميع أساقفة الكنيسة الجامعة

فلاهوتيوكم ومؤرخوكم علقوا على كلمات القديس لاون الاول مشيعين ان القانون الثالث القسطنطيني استمر في طيات الخفاء الى زمن المجمع الرابع المسكوني ولكن أليس من الصعوبة بمكان أن نفترض امكان اختفاء قانون

له هذه الاهمية قانون صادر من مجمع مسكوني ومذاع بسلطة امبراطورية ومبلغ الى كل الكنائس . ان الـ ٦٣٠ أباً الخلقيدونيين يناقضون ويكذبون رسمياً هذا التعلل وذلك في قانونهم الـ ٢٨ الذي استندوا به باقرار واضح على القانون الثالث الذي للمجمع الثاني المسكوني

فهوذا ٦٣٠ كنيسة تعلم شهرة هذا القانون العامة وذلك في اجتماع حافل أعظم بكثير من اجتماع المجمع الثاني المسكوني . أتقولون بعد ذلك ان الكنيسة الرومانية كانت تجهل وجود القانون الثالث القسطنطيني ولذلك لم تقبل مضمونه ؟ هذه حجة كاذبة مطلقاً لانه من اقتفاء أثر حركات المجمع الرابع المسكوني يستنتج ان اناطوليوس القسطنطيني كان في الصف الاول من ذلك الاجتماع اجتماع الـ ٦٣٠ أباً بعد أسقف رومه وكان جالساً قبل اسقف اسكندرية واسقف انطاكيا وكان يصوت في الاول ويمضي في الاول باعتراف نواب البابا

ويوجد أهم من ذلك وهو أن هؤلاء نواب (القديس) لاون الاول أنفسهم الذين ما كانوا يجهلون وجود القانون الثالث المسكوني أقروا أمام الـ ٦٣٠ أباً الخلقيدونيين واستعملوا كل قوة لازمة لهم في أول جلسة المجمع الخلقيدوني في شرحهم له على سبيل الدفاع عن حرمة القوانين التي انتهكها ديوسقورس من ضمن الشكاوي التي قرف بها وهو الخطأ الممقوت الذي أتاه في مجمع افسس في حق فلابيانوس القسطنطيني حين أجلسه في الكرسي الخامس . فأدلوا بهذا واضحاً أن لفلابيانوس كان الحق في الجلوس مثل

أناطوليوس خليفته الذي أشغل بعده الجلوس في مجمع خلقيدونية يعني في الكرسي الاول بعد أسقف رومه . ان ٦٣٠ أباً فهموا جميعاً ان نواب البابا حسبوا من ضمن ذنوب ديوسقورس اقصاء فلابيانوس الى الكرسي الخامس محقراً القانون الثالث للمجمع الثاني المسكوني الذي يمنح أسقف القسطنطينية الكرسي الاول بعد اسقف رومه (١) ان ديوجين السيزيكي هنأ هؤلاء النواب لمعرفتهم القانونية بقوله لهم (عفارم) أحسنتم ان لكم علماً جيداً بالقوانين والنواب اشتموا بانشراح رائحة هذا البخور (المديح) (لابيه مجموعة ٤ جزء ١١٥) فكيف بعد محاكمة وتذنيب ديوسقورس الاسكندري يجرأ نواب البابا والبابا نفسه ان يعترضوا على القانون الـ ٢٨ لمجمع خلقيدونية الذي ما خرج عن كونه جدد القانون الثالث القسطنطيني وأوضحه ؟ هذا سر نجتهد أن نكشفه في محله اهـ (٢)

(١) اذا كان فلابيانوس لايستحق الرتبة الاولى حسب القانون المسكوني فتكون الرتبة الخامسة كثيرة له في مجمع افسس فانه ما كان يستحق أن يجلس بعد أساقفة رومة واسكندرية وانطاكية واورشليم فقط بل بعد اسقف افسس واسقف هيرقلية هذه التي كانت مطرانية البيزنطية

(٢) يظهر من نهاية هذا المجمع وما تخلله ومن آخر مقدمة الجزء الثالث (مقدمة المجامع) أن المؤلف رحمة الله على أنفاسه كان يقصد أن يدون تاريخ السبعة مجامع التي يعتبرها الروم واللاتين مسكونية والتي منها مجمع افسس المسكوني الثالث ، ومجمع خلكيدون الذي سبب انقسام المسيحية المؤلم : وقد قال لنا الاستاذ فرنسيس افندي المتر تلميذ المؤلف أن استاذه كتب عناصر المجمعين الآخرين ، وان أصلها الخطي موجود تحت يده كما قال لنا أن استاذه

(قضية القديس يوحنا فم الذهب)

لقد حدث في الفترة الواقعة بين انعقاد المجمع المسكوني الثاني والمجمع الثالث حادث أراد لاهوتيوكم ان يرهقوه حتى يذعن الى تأييد الرياسة الرومانية ولكنه بتحليل ظروف هذا الحادث التاريخي يتضح جلياً كالنهار بأن رومية لم تكن معتبرة وتتذ في أفقية المسيحية انها ذات السلطة الرئيسية والعليا على الكنيسة ولقد فهمتهم من ذلك اني أريد الكلام في موضوع قضية القديس يوحنا فم الذهب

وهاك تاريخ الحادثة كما أجمع عليه بشكل واحد المؤرخون القدماء سقراط وسوزيمنوس وتيودوريتس وعلى الاخص بلاديوس الذي كان شاهد عيان لهذه الحادثة المحزنة

ان تاوفيلس الاسكندري لاغراض مادية محضة ابتدأ في اضطهاد القديس ايسيذوروس القسيس الذي كان الزميل الملازم للقديسين اثناسيوس وبطرس اثناء الشدايد التي قاسياها بسبب الايمان وهو الذي كان يدير مستشفى الاسكندرية بمعاونة اربعة آخرين من الرهبان معروفين في التاريخ باسم

برأ بطريركنا المفضال بطل الارثوذكسية ديوسقورس من كل وصمة هرطقة حاول أخصامه في مجمع خلكيدون أن يلصقوها في جبهته وان سنده كان مجموعة المجامع لاحد الآباء اليسوعيين المدعو (لابيه) التي كتبها باللغة اليونانية واللاتينية.
(المعرب)

الاخوة الطوال لانهم كانوا طويلي القامة

ولما ادرك تاوفيلس ضرورة صبغ سلوكه هذا بصبغة عقائدية فعل ما هو : انه بعد ان كان لغاية هذه اللحظة مولعاً بمؤلفات اوريجانس وحامياً عنها لدرجة جعلته يعتبر القديس ابيفانيوس هرطوقياً لانه كان على اختلاف مع الرئيس الاكبر لمدرسة الاسكندرية تحوّل بغتة في سنة ٣٩٩ واوضح في رسالته الفصحية لهذا العام بأن مؤلفات أوريجانس ملحدة حتى يتمكن بذلك من ان يلصق تهمة الهرطقة بايسيذورس والاخوة الطوال الذين كانوا مع جميع رجال نيتريا شديدي التعلق باللاهوتي القدير

فالقديس ايسيذورس وزملاؤه الاربعة عارضوا بشدة في الحكم على مؤلف يعتبرونه مستقيم الامانة ويعتقدون انه اتهم زوراً بآراء غريبة عن تعاليمه وخصمهم الذي لا يبغي منهم غير ذلك امر بالقبض عليهم ولكنهم هربوا من الاسكندرية وبحثوا لهم عن ملجأ في نيتريا التابعين لها فحرمهم تاوفيلس ولم يكتف بذلك بل توجه بنفسه الى الصحراء وهناك امر رجاله بحرق مسكن الرهبان فالتهمت النيران الصوامع والكنيسة والكتب والاسرار المقدسة المحفوظة بها ولكن لطف الله بالرهبان فنجوا من الحريق

(١) فماذا فعل القديس ايسيذورس والاخوة الطوال المضطهدون لهذه الدرجة هل سلكوا طريق رومة لدفع شكواهم الى رئيسهم البابا كما يفعل رجال المعتقد الروماني كلا ثم كلا لكنهم اتجهوا الى القسطنطينية ورفعوا شكواهم الى اعتاب امبراطورهم واسقفهم الذي كان وقتئذ يوحنا ذهبي

الفم ومع ذلك فقد كان الرهبان مستقيمي الايمان وعلى الاخص القديس ايسيذورس الذي عاش في احضان القديس اثناسيوس والقديس بطرس الاسكندري محامي الايمان المستقيم « نقطة اولى »

(٢) وماذا عمل الامبراطور اركاديوس بعد ما سمع حكاية الاضطهادات التي لقيها القديس ايسيذورس والاخوة الطوال هل أحالهم على محكمة بابا رومية كما يعمل ذلك الآن ملوك المعتقد الروماني ؟ كلا فانه أمر توفيلس بالحضور الى القسطنطينية ليحاكم بمعرفة مجمع برأسه أسقف رومية الجديدة ومع ذلك فان اركاديوس كان امبراطوراً مستقيم الرأي ولم يتهمه أحد بهرطقة ما لصدور الامر منه (نقطة ثانية)

(٣) ماذا صنع توفيلس الاسكندري حينما أجبر بأن يحاكم في القسطنطينية امام محكمة مجمعية هل قدم نقضاً ضد الامر الامبراطوري محتجاً بأنه طبقاً للنظام الكنيسي لا يمكن محاكمته الا أمام محكمة رومية القديمة ؟ كلا بل حوّل كل طرفه الى اتهام ذهبي الفم وأساقفته بالهرطقة وقد وجه كل مجهوداته الى اظهار يوحنا فم الذهب بأنه متمذهب بمذهب أورنجانس المهرطق وجذب الى صفه في هذه الوجهة القديس أبيفانيوس الخصم اللدود لكل الهرطقات ولكنه لم ينوه مطلقاً عن فحص قضيته أمام محكمة رومة القديمة ومع كل ذلك فان تاوفيلس كان اسقفاً مستقيم الرأي ولم تفكر الكنيسة أبداً في الشك في استقامة امانته (نقطة ثالثة)

(٤) وماذا صنع القديس ابيفانيوس حينما اخطره تاوفيلس بعدم

استقامة ايمان يوحنا ذهبي الفم هل كان سلوكه مسلك رجل يعتقد بان قضايا الايمان وقضايا الاساقفة مختصة بقانون الهي بمحكمة بابا رومية القديمة؟؟ كلا فانه سار الامر على طرف نقيض ، وبصفته متروبوليت جزيرة قبرص حكم على الغلطات المنسوبة لاوريجانوس اولاً في مجمعه المنعقد في سالامين ثم في مجمع ثان عقده بناء على دعوة توفيلس في نفس القسطنطينية بعد ان رفضا اشتراك وضيافة يوحنا ذهبي الفم الذي اعتبراه هرطوقياً وحصل كل ذلك منه بدون أن يشعر بابا رومية القديمة بعلم ما وبدون أن يأخذ منه تصريحاً ما ومع ذلك فان القديس ايبفانيوس كان أسقفا ارثوذوكسيا وتقياً مشهوراً في كل الكنيسة بنشاطه ضد الهرطقات (نقطة رابعة)

(٥) وتوفيلس بعد ان مهد الطريق بواسطة القديس ايبفانيوس حضر القسطنطينية ليس كمذنب بل كقاض . والامبراطورة افدوكسيا لم تكن تبغي سوى الخلاص من يوحنا فم الذهب الذي كان يوبخها علانية على فسادها النسائي فعقد اسقف الاسكندرية مجمعه في سنة ٤٠٣ بسنديان (أو بلوطة) خارج حدود عاصمة الملك مخافة الشعب الذي كان شديد التعلق براعيه وحاكم يوحنا فيه حسب المعتاد وعزله عن كرسيه ولم يتسرب لذهنه أدنى شك بان حق خلع الاساقفة يملكه بابا رومية القديمة وحده (نقطة خامسة)

(٦) والقديس يوحنا فم الذهب الذي أمر أربع مرات بالحضور الى مجمع السنديان (البلوطة) رفض الاذعان لذلك محتجاً بان المجمع المكوني

فقط هو المختص بمحاكمته ولم يخطر على فكره لحظة ما بأن يستغيث بمحكمة بابا رومية القديمة قبل خلعه وبعد ان خلع (نقطة سادسة)

(٧) والامبراطور اركاديوس قضى على يوحنا فم الذهب بالنفي تنفيذاً لحكم مجمع السنديان وحينما ركب السفينة ليمضي الى المنفى هاج الشعب والجيش طالباً راعيه وتداخلت القوة العلوية حيث حدثت في القسطنطينية زلزلة عظيمة اهتزت لها على الاخص السراي الامبراطورية بهزات عنيفة فخاف الامبراطور والامبراطورة من الانذار السمائي وقبلا حالاً عودة الراعي القديس فرجع القديس الى المدينة بعد خروجه منها واستقبله الشعب بالشموع والتراتيل والافراح والتهاليل وعند ما استقر في دار اسقفيته لم يشأ أن يمارس وظيفته الكهنوتية قبل ان يحل مجمع السنديانة حلاً قانونياً ولم يخطر بباله ان ينقضه بحكم البابا ولكن بحكم مجمع مكوّن من ستين اسقفاً اجتمعوا بناء على دعوته « نقطة سابعة »

ولماخاب تاوفيلس بارح العاصمة الملوكية في الحال مصمماً على العودة اليها حينما تسمح له ظروف موافقة اكثر وفعلاً بعد مضي زمن قليل على هذه الحوادث عادت الامبراطورة الى كره اسقف القسطنطينية الذي لم يسمح لاي شخص مالخروجه عن احكام الانجيل فما كاشفت افدوكسيا تاوفيلس الاسكندري بمشروع انتقامها حتى بادر الاخير باعلان خلع ذهبي الفم نهائياً وأرسل ثلاثة اساقفة مصريين لمباشرة رسامة خلفاً له وعلى ذلك نفي الاسقف القديس في سنة ٤٠٤ بارادة امبراطورية في مدينة

نيقية ثم في القوقاز على حدود ارمينيا وسيبريا ولكنه عارض في هذه التصرفات الاستبدادية بجوابات ارسلها الى اينوشنسيوس الروماني وفلابيانوس الانطاكي والى مشاهير الاساقفة الآخرين اخوته وزملائه وهذه هي النقطة الوحيدة التي اعتقد لاهوتيوكم انها برهان على لزعامة العامة لباباوات رومية فيقولون بان ذهبي الفم كاتب اينوشنسيوس الاول ليشتكي من خلعه ظلما ومن نفيه ويطالبه بالغاء كل ما اتخذ ضده ومعاقبة الجناة وعلى ذلك يستنتجون ان القديس فم الذهب اعترف لبابا رومية بأنه الرئيس والقاضي الاعلى للكنيسة

ولكن لاهوتييكم المدربين في علم المنطق ليسوا مدققين في درس وتحليل المؤلفات التاريخية التي يستشهدون بها فلقد ذكروا خطاب ذهبي الفم الى البابا اينوشنسيوس الاول وهذا حسن ولكنه كان يجب عليهم أن يلاحظوا ان هذا الخطاب لم يكن مرسلاً للبابا وحده بل لجميع الاساقفة المتحدين كما يدل نص الخطاب بوضوح على ذلك وهذا ما يثبته بلاديوس شاهد العيان الذي بعد ان دون النص قال مؤكداً بأنه ارسل في الغرب ليس فقط الى البابا ومجمعه بل أيضاً في الاقليم الروماني الى فنيريوس اسقف ميلان ومجمعه وخروماس بمدينة اكويلا ومجمعه. وكما تدل عليه آثار الخطابات التي كتبها ذهبي الفم في هذا الخصوص لاشهر أساقفة الغرب والشرق وهاك نص اهم قطعة واردة في هذا الخطاب حسب ترجمته الحرفية: «فارسل دعوتي الى جميعكم وارجو في محبتكم ان تستيقظوا وتتأثروا من حدوث

مصائبي وان تبذلوا كل مجهود لكم لايقاف تيار هذه الفاجعة . . . وبما انكم علمتم الآن بكل الحوادث يا اسيادي الجزيلي الشرف والكلي الاحترام فاظهروا شجاعتكم وعناية همتكم لايقاف مجرى مظالم الفظائع التي صارت الكنائس فريستها حتى لا يمتد هذا الاضطراب الى كل كائن تحت الشمس وتكرموا بالكتابة بأن كل ما حصل بهذه الصفة من جهة واحدة وطرف واحد دون الباقي وفي غيابنا رغم اننا لا نرفض المحاكمة هو مخالف لقوانين الكنيسة وليس له قيمة فضلا عن عدم مطابقته للطبيعة بل بالعكس ان الذين تجرأوا على انتهاك حرمة الشريعة هم الذين يستحقون الحكم ويستوجبون القصاصات المحددة في الشرائع الكنسية)

(امانحن الذين لم نأت أية جريمة ولا نستحق أي حكم فتفضلوا بالسماح لنا بالتمتع بلا انقطاع برسائل شركة محبتكم وكل ما بقي كما كان في السالف . . . ولكن اذا ارادوا التمادي في المظالم الفظيعة التي اقترفوها ضد الشريعة فلتعقد محكمة عادلة نحاكم امامها وندافع فيها عن قضيتنا ونكشف عن الاسباب بحضور الهيئة المسكونية وتثبت براءتنا «١»

ومن ذلك يتضح جلياً أولاً انه لم يقل أو يطلب شيئاً الى بابا رومية

(١) ان مؤلفيكم تجاسروا على ترجمة او تزوير خطاب ذهبي الفم كما يأتي: استعملوا نفوذكم واكسروا هذه الاجراءآت الغير عادلة واعلنوا رسمياً بان حكمهم لاغ وضعوا هؤلاء القضاة المتهورين تحت التوبيخ الكنسي وبأمركم يعود البريء الى كرسيه » ولا يمكن تصور جراءة اكثر من ذلك التزوير

لم يكن مذكوراً ومطلوباً الى باقي الاساقفة وعلى ذلك يكون من السخافة استنتاج رئاسة بابا رومية من كلام موجه الى جميع الاساقفة الذي لا يدل مع ذلك الا على الرئاسة المشتركة لجميع الرؤساء الروحيين ثم من ذلك ايضاً يتجلى ان هذه الرسالة الاصلية الخاصة بطلب نقض حكم ثاوفيلس في مجمع السنديان أرسلت الى بابا رومية والى جميع الاساقفة في الولايات المختلفة وان ذهبي الفم يعرض الحكم في قضيته الى محكمة الهيئة المسكونية وليس الى محكمة بابا رومية كما حكم بذلك لاهوتيوكم

والبابا اينوشنسيوس الاول فهم تماماً معنى هذه الرسالة العامة وفهم ان القديس يوحنا فم الذهب لم يلجأ الى محكمته بل الى محكمة مجمع مسكوني وان كل ما طلبه من محبته هو القيام بالعمل بالاشتراك مع باقي رؤساء الكنائس نحو الاسراع بدعوته الى الاجتماع .

وهذا ما امكن استنتاجه من جوابه على يوحنا فم الذهب ومن خطابه الى كهنة القسطنطينية المخلصين لراعيهم المضطهد ففي الاول بينما يحاول بكل ما في وسعه تعزية زميله المظلوم فانه يخبره ان موضوع رغبته في العلم بدعوة مجمع مسكوني أمر صعب الحصول عليه في الوقت الحاضر وانه يلزمه لذلك ان يتجمل بالصبر وفي الثاني بعد ان عدد الآثام التي اقترفت ضد يوحنا فم الذهب واصل كلامه بهذا النص : « والآن ماذا نصنع ضد الذين احدثوا كل ذلك في ذلك الوقت فمن اللازم ان يحاكموا في مجمع تقضي الضرورة بانعقاده كما قلنا فيما سبق وان المجمع فقط هو الذي

يمكن اطفاء جذوة مثل هذه الضوضاء وللحصول على ذلك يكون من صالحنا ان نكل معالجة الامور لارادة الهنا الاعظم ومشيئة سيدنا المسيح فهو الذي يعزيكم في جميع الشدائد التي حركها حسد العدو لتجربة المؤمنين ويلزمنا أن لا نيأس من رحمة سيدنا بثبات ايماننا لانه فيما يخصنا فان جل موضوع أفكارنا هو معرفة الكيفية التي يمكن بها عقد مجمع مسكوني حتى بارادته تبطل هذه الحركات المقلقة » (حسب رواية سوزيمينوس في التاريخ الكنيسي ٨ ، ٢٦)

وقد تحقق لنا الآن ان البابا اينوشنسيوس الاول الذي لم يخطر على فكره ان يوحنا فم الذهب جعله القاضي الاعلى لقضيته يعترف في خطابه بأن القاضي الوحيد المختص هو المجمع المسكوني وان همه الوحيد هو ايجاد الوسائط لجمعه حتى ان سلطته العليا تفصل في الموضوع كما ان المؤرخ سوزيمينوس الذي دون هذا النص لخص كل عمل البابا في قضية يوحنا فم الذهب فيما يأتي : « ولما اتصل لعلم اينوشنسيوس أسقف الرومانيين بما جرى ليوحنا تأثر للغاية واستهجن عمل محدثي هذه الفتنة وعمل على عقد مجمع مسكوني وكتب في هذا الخصوص الى يوحنا والى البعض من كهنة القسطنطينية « الخطابين السابق ذكر محتوياتهما » « سوزيمينوس تاريخ الكنيسة ٨ ، ٢٦ »

ولم يكن شيء اصعب من عقد هذا المجمع المسكوني كما يتضح ذلك جلياً من الجواب البابوي السالف ذكره ولماذا ؟ لان المجمع المسكوني الذي

يلزم ان يكون من كتلة الكنائس الوسولية الشرقية لا تمكن عقده الا بمعرفة امبراطور الشرق اركاديوس وهو قد سبق ان وافق على الظلم الذي حصل ورغماً عن وجود هذه العقبة الكؤود فان البابا اينوشنسيوس الاول لم يذكر مطلقا انه في امكانه ان يعقد بواسطة هونوريوس امبراطور الغرب مجمعاً مسكونياً يتكون من الاساقفة الغربيين ولو وصل عددهم الف

فالتجأ بالطبع الى اركاديوس فارسل الى القسطنطينية بعثة من خمسة اساقفة وقسيسين مهمتهم ان يقنعوه بوجوب عقد المجمع المرغوب وتحديد الميعاد والمكان للاجتماع ولكن بعثة البابا طردت بفضيحة كاناس تداخلوا فيما لا يعنيهم وان القديس يوحنا فم الذهب بناء على امر امبراطوري نفي الى مكان أبعد من منفاه الحاضر وهذا ما رواه سوزيمينوس « تاريخ الكنيسة ٥ ، ٢٦ » وهذا ما يستنتج من رسائل القديس يوحنا فم الذهب (رسالة ١٢٣)

وأيضاً بعد هذا الرفض القطعي من جهة اركاديوس فان البابا لم يفكر في عقد مجمع مسكوني غربي مع ان هذا كان أمراً ميسوراً لديه لان هونوريوس امبراطور الغرب كان يعضده بكل قواه في هذه القضية ولم يتبادر مطلقا الى ذهنه بأن يتذرع بقوانين سرديكا المشهور وينظر في قضية يوحنا فم الذهب بأمر رومة وبقضاة ينتخبهم البابا بمعرفته وقد مات المسكين يوحنا في مدينة كمان في سنة ٤٠٧ بعد ثلاث سنوات قضاها في النفي بدون ان يتحصل على العدل من الناس

« كلمة المعرب الاخيرة »

الى هنا انتهى المؤلف السعيد الذكر غبطة الانبا كيرلس مقار بطريرك القبط التابعين في كتابه هذا (الوضع الالهي) وقد علمنا من مقدمته للجزء الثالث (كما أسلفنا ص ١٠٠ و ١٠١) انه كان في نيته لو لم تقصف الايدي عمره ان يوالي الكتابة حتى ينتهي من الكلام على باقي المجامع السبعة التي في عرف الكنيسة البابوية والكنيسة الرومية هي مسكونية وقد اخبرنا حضرة تلميذه النابغة الاستاذ فرنسيس افندي المتر رئيس شمامسة كنيسة مار بطرس ومار بولس في العباسية انه يوجد في خزانته مسودة بقلم ذلك المغبوط باللغة الفرنسية تحتوي على رواية المجمع الثالث والمجمع الرابع وفي هذا الاخير اظهر المؤلف بالدليل والبرهان براءة القديس انبا ديسقورس. وأني بلسان الكل ارجو الاستاذ ان لا يضن على أمه الكنيسة بهذا الكنز ويخرج لنا من خزانته هذه التحفة لكي نعرّبها ونجعلها موضوع مديح وذكرى صالحة في فم كل من يقف عليها ويرى حسنات ذلك الرجل الكريم على الكنيسة الشرقية وخصوصاً الكنيسة القبطية

وفي هذا المقام لا يسعني الا ان اذكر بالفخر همة نيافة مطران قنا الذي قوى عزمي ونشطني وشجعني وفوق ذلك مد لي يد المساعدة بمبلغ لا يستهان به واقراراً بتعبي الذي تكبدته في ترجمة هذا المؤلف النفيس

اهدانى بوشاح من حرير وطبعاً كل واحد منصف يشاركني فى شكر هذا الانبا الغيور على مجد كنيسته

وحذار ان ينسى القارىء فضل الابوين الفاضلين نيافة الانبا مكاريوس ونيافة الانبا تاوفيلس في اشتراكهما معى بهذا التعب ومساعدتهما أيضاً كما اسلفت فى المقدمة

والمنصف يشكر معى ايضاً حضرة الشاب الغيور مرقس افندى سيداروس رئيس قلم الافرنجي بالمحافظة الذي ارشدني الى أحد معارفه في قنصلاتو ايطاليا وهو المسيو زغيب حتى تمكنت بواسطته من ترجمة الجمل اللاتينية بقلم احد آباء اللاتين الذي ترجمها الى الفرنسية على قدر الامكان فلهم الفضل جميعاً

فهرست الجزء الثالث

اما فهرست الجزء الاول والثاني فقد ادرجت في آخر الجزء الثاني

فهرست

كتاب الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة

وجـــــه

الجزء الأول

الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة حسب كتب العهد الجديد

ـــه

الجزء الثاني

﴿ الوضع الالهي حسب الايمان الرسولي في الاجيال الاولى الثلثة ﴾

﴿ الفصل الاول أصل وطبيعة تقدم رومة في الكنيسة ﴾

وجه

صحيفة فهرست الجزء الثالث

اما فهرست الجزء الاول والثاني فقد ادرجت في آخر الجزء الثاني